الحوار مع الذات والآخر

محمد علي التسخيري

سرشناسه : تسخیری، محمد علی، ۱۳۲۳ –
عنوان و نام پدیدآور : الحوار مع الذات والآخر / محمد علي التسخيري.
وضعیت ویراست : [ویراست 2].
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، المعاونية الثقافية ١٤٣٢ ق. = ٢٠١١م. ١٣٩٠
مشخصات ظاهری : ۳۲۸ ص.
شابک : 978-964-167-176-3
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : وحدت اسلامی
موضوع : تقریب مذاهب
موضوع : اسلام و ادیان دیگر
شناسه افزوده :مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی
رده‌بندی کنگره :۱۳۹۰ ۹۳ح ۵ ت/۲۳۳/۵ BP
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/٤۸۲
شماره کتابشناسی ملی :۲٤۳۲٤۰۲

اسم الكتاب: الحوار مع الذات والآخر

تأليف: محمد علي التسخيري

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - المعاونية الثقافية

الطبعة: الثانية، ١٤٣٢ هـ . ق - ٢٠١١م

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

السعر: ٦٠٠٠٠ ريال

ردمك: ISBN: 978-964-167-176-3

العنوان: الجمهورية الإسلامية في ايران / طهران

ص . ب: ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥ تلفكس: ٤-٨٨٣٢١٤١١-٢١-٠٠٩٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

المحتويات

المدخل ٧
الإقبال العالمي على الإسلام بمثابة المقدمة: ٩

الفصل الأول: الخطاب الاسلامي والعودة الى الوسطية ١٩
الخطاب الإسلامي والعودة إلى الوسطية ٢١

الفصل الثاني: الدور الحضاري للأمة.................................. ٦٣
ـ الأمّة الإسلامية وخيار السلام العالمي ٦٥
ـ قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية ٨٣
ـ الدور الحضاري المسقبلي للأمة وموقع منظمة المؤتمر الإسلامي.......... ١٠١
ـ دور منظمة المؤتمر الإسلامي في دورتها الحالية ١٢٠
ـ الإيسيسكو والقرن الحادي والعشرون: التحديات والمسؤوليات.............. ١٢٧
ـ القيم الانسانية المشتركة ودورها في تعزيز التضامن بين الشعوب والامم . ١٣٦

الفصل الثالث: العلاقة مع الأديان.................................... ١٥١
ـ القيم والمصالح اساس العلاقات بين المسلمين والمسيحيين................ ١٥٣
ـ سيدنا إبراهيم (ع) نموذج الإنسان الحضاري الكامل....................... ١٥٩
ـ العلاقة بين الحق والتكليف والعدالة.................................. ١٧٢

ـ فلسفة العلاقة بين السلام والعدالة ١٧٨
ـ الحوار بين الإسلام والمسيحية: الموانع والحلول ١٨٣
ـ بيروت ملتقى الأديان والمذاهب والثقافات.. ٢٠٨

الفصل الرابع: العلاقة مع الغرب ٢١٩
ـ تأملات في رؤية غربية.. ٢٢١
ـ تساؤلات حول العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب ٢٣٢
ـ رسالة الى المشاركين فى ندوة لندن ٢٤٣
ـ بين نظرية القراءات والاجتهاد الإسلامي.. ٢٤٨
ـ الأحداث الإرهابية: تداعياتها والموقف الإنساني المطلوب..................... ٢٦١
ـ العولمة وموقف الأمّة ٢٧٩
ـ تقرير موجز عن ندوة الحوار بين الاسلام والغرب ٢٩٩
ـ أهم القضايا العالقة بين الإسلام والغرب ٣١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

كانت سرعة تقدُّم العلم الإنساني منذ أواخر القرن العشرين مذهلة، إذ حوّلت اللاممكن إلى ممكن وبدأت مصطلحات من قبيل «ثورة المعلومات» «تحوّل العالم إلى قرية صغيرة» و«العالمية» و«العولمة» تظهر في المؤلفات العلمية حتى لقد راحت الأمية، وفق المعايير العلمية تقاس على أساس من إمكان التعرّف على الحاسوب وعدمه.

وقد ترك هذا التحوّل العجيب آثاره في جميع الميادين: فالعلاقات الاقتصادية بين الشعوب قد تغيرت، والعلاقات الدولية انقلبت رأساً على عقب، وتأثرت الثقافات بهذه الظاهرة بل وحتى المقولات الاعتقادية والايديولوجية لم تبق مصونة من هذه الآثار.

وهكذا دكّت الجدر الحديدية المقامة على حدود المعسكرين الشرقي والغربي وانطرحت في البين أسئلة جادّة بين المذاهب الوضعية، وانهارت سمعة نظريات ماركس فجأة وظهرت حقيقتها إلى العلن أمام العالم، كما وضحت الصورة القبيحة للصهيونية المتمرّسة خلف الدين اليهودي في نفس الحال الذي تجلّت للعيان فيه أحقية الأهداف الفلسطينية السامية أكثر من ذي قبل، وتعالت شيئاً فشيئاً الصرخات الرافضة للسياسات العدائية لحكّام أميركا في الشرق والغرب، وبالتالي ارتفعت وتيرة التساؤل عن الأديان الإلهية.

كل هذا يعدُّ من الآثار الإيجابية للتنمية وسرعة الاتصالات إلاّ أنّه لايمكننا أن نغفل عن الآثار السيئة لهذه الظاهرة التي تشكّل تهديداً حقيقياً للأخلاق الإنسانية أو نتعامل معها بشكل انفعالي.

ومن المسلّم به عند المحققين والباحثين أنّ أسلوب التعامل مع هذه الحقيقة قد طرح منذ مدة طويلة إلاّ أنّ أهمية هذا الموضوع نقلته مؤخراً من المجالات المحدودة إلى الاجتماعات العلمية في مختلف البلدان ولذا كان من الطبيعي أن تقع هذه الفكرة موقع البحث والتمحيص بين علماء العالم الإسلامي.

وعلى هذا الأساس رأى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ضرورة طرح هذا الموضوع للبحث بين علماء السنة والشيعة في إطار المؤتمرات السنوية التي يعقدها في أسبوع الوحدة الإسلامية فجعل موضوع المؤتمر السادس عشر «عالمية الإسلام والعولمة».

وبمناسبة انعقاد هذا المؤتمر تقرر نشر بعض الكتب في مجال موضوع المؤتمر وكان منها مجموعة المقالات التي كتبها سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري وألقاها في اللقاءات العلمية التي حضرها في شتّى أنحاء العالم وقد أعطيت المجموعة عنوان «الحوار مع الذات والآخر» موضّحة الموقف الإسلامي تجاه الآخرين من سائر الأديان.

وإننا نرجو أن يكون نشر هذا الكتاب القيم ذا أثر في تهيئة أرضية اتساع الحوار بين أتباع الأديان الإلهية مما يمكنهم ـ عبر الاستفادة من الآثار الإيجابية للعولمة في مجال الاتصالات ـ من الوصول إلى الحلول العلمية للصعوبات التي تعترض سبيلهم الحضاري مستمدّين من هدي الأديان، متجاوزين لكل الآثار السلبية لهذه الظاهرة العالمية.

وقد تضمّن الكتاب في طبعته الثانية بعض تنقيحات مؤلفه وكذلك تنقيحات المراجعين في المعاونية الثقافية إتماماً للفائدة.

المعاونية الثقافية

* * *

الإقبال العالمي على الإسلام

بمثابة المقدمة

عزيزي القارئ! وجّهت إليّ مجلة رسالة الثقافة الصادرة في طهران في عددها المرقم ٢٣/٣ سؤالا عن «سر هذا الإقبال العالمي على الإسلام»، فأجبتها بما يلي:

هناك عوامل كثيرة أوجدت هذا الإقبال العالمي على الإسلام في الفترة الأخيرة وربما كان أهمها ما يلي:

١. ما يتمتع به الإسلام من تعاليم منسجمة تمام الانسجام مع الفطرة، تشبع حاجة الوجدان، وتسمو بالأخلاق وتتعامل مع طبيعة الإنسان تعاملا واقعياً، وتنظر إليه ككل وتعمد الى حل كل مشكلاته وتحقق الانسجام بين الجانب العقائدي، والجانب العاطفي، والجانب السلوكي.

وهذه الجوانب وإن كانت تتمثل في الإسلام منذ انطلاقته قبل أربعة عشر قرناً إلاّ أنَّ الذي أوجد هذا الإقبال الأخير عليه من خلالها ناتج عن حركة فكرية علمية قام بها المفكرون الكبار لشرح هذه الخصائص وعرضها بأسلوب يتناسب ومتطلبات العصر، ويجيب على تساؤلاته ويشرح الجوانب المضيئة في هذه الشريعة وهؤلاء هم من امثال الإمام الخميني، والإمام الصدر، وسيد قطب، والشهيد المطهري، وأبي الأعلى المودودي، ومالك بن نبي وغيرهم.

٢. فشل معظم الأطروحات اللادينية في إشباع حاجة الإنسان إلى المأمن الروحي الحقيقي لا بل فشلها في إشباع حاجاته المادية وتحقيق ما يصبواليه من سعادة... وقد أدّى تساقط هذه المذاهب الإلحادية لتكوين موجه بشرية هائلة متّجهة إلى الدين من جديد ليشبع لها نهمها وجوعتها. ولمّا لم يكن هناك من دين فيه كل هذه الجامعية وهذا الشمول وهذه النظرة الحياتية المستوعبة وهذه الواقعية في التعامل، غير الإسلام كان من الطبيعي أن نجد الإقبال الهائل عليه وعلى تعاليمه.

٣. نجاح بعض التجارب الإسلامية في بعض المناطق وفي طليعتها تجربة الثورة الإسلامية الكبرى في ايران بقيادة الإمام الخميني الراحل(قدس سره)؛حيث قدّمت هذه الثورة نماذج كبرى من الشعبية الخالصة التي تتناسى كل المصالح المادية الضيقة في سبيل تحقيق الأهداف المعنوية الكبرى، وحيث استطاعت أن تكسر الكثير من الأساطير من قبيل أسطورة انحصار الثورة بالمبادئ المادية وبالخصوص في الاشتراكية، وأسطورة انقسام العالم المعاصر إلى قوتين لا ثالث لهما، وأسطورة عدم إمكان الاستقلال في المجال السياسي، وأسطورة «الدين أفيون الشعوب» وأمثالها.

وقدّمت للعالم تصوراً جديداً عن مشاكله وحلولها بعيداً عن التصورات السابقة كما أنّها استطاعت أن تعبّئ الجماهير المسلمة وتزرع في نفوسها الأمل الكبير بالمستقبل ممّا فتح أمام العالم كله أفقاً جديداً لم يكن ليتصوّره من قبل.

كما تساءلت المجلة عن «ظاهرة الصحوة الإسلامية»، فأجبت:

إنّ أهم العوامل لهذه الظاهرة الكبرى ـ ظاهرة الصحوة الإسلامية ـ تكمن في ما يلي:

أوّلا: نفس ما أشرنا إليه في جوابنا السابق طبعاً مع ملاحظة التأثيرات الأوسع لتلك العوامل في عالمنا الإسلامي. ذلك أنّ العالم الإسلامي أقرب بكثير

من غيره إلى تفهّم تراثه القيم والتعامل بكل تصوراته وتعاطفه مع هذه الرسالة من خلال إيمانه بها حتى ولو كان هذا الإيمان ضعيفاً أو موروثاً إلاّ أنّه على أيّ حال يوفّر جواً طبيعياً للتعامل الايجابي الأكبر مع القضية الإسلامية خصوصاً بعد وضوح جوانبها من قبل أولئك المفكرين الذين أشرنا لهم.

على أنّ فشل الأنظمة الأخرى ارجع الكثير من الشاردين عن المسيرة الإسلامية ـ من المسلمين ـ إليها وأعاد لهم الثقة بإسلامهم العظيم.

ثم إنّ نجاح التجربة الإسلامية أوجد شعوراً جماهيرياً كبيراً بعظمة الإسلام وأعاد للأمة اعتزازها بنفسها وثقتها بمستقبلها وقدرتها على صنع هذا المستقبل.

ثانياً: الدور الرائع الذي لعبته الحركات الإسلامية في نشر التوعية والحماس الثوري بين أبناء الأمّة، وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة أو تلك إلاّ أنّها نجحت في تأجيج الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام وأوجدت شعوراً ذا مساحة معتد بها بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت والعودة إلى الإسلام.

ثالثاً: ردود الفعل التي اعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الإسلامي ،برغم التخطيط الدقيق لهذا الهجوم والعمل على أن يستوعب مختلف الجوانب رغم التمزيق القومي والوطني والعنصري، والتاريخي ورغم أنّه زرع في وجود الأمّة البؤرة السرطانية الخبيثة (اسرائيل)، وأثقلها بالحكام العملاء وسرّب إليها سمومه الفكرية والعاطفية وملأ حياتها بالمجون والترف والفسق، فإنّ هذا الهجوم انتج نتائج عكسية إذ أيقظ الأمّة وعلّمها أنّ عزتها تكمن في إسلامها وقد كان تأثير الهجوم بشكل معكوس بأسلوبين:

الأوّل: كشف نفسه وحضارته وأخلاقه أمام أبناء هذه الأمّة ،إذ راح ينهب وجودها ويحطم شخصيتها ويعبث بقيمها.

الثاني: أنّه دفع الحريصين المؤمنين بمستقبل الأمّة لأن يتّخذوا موقف المواجهة والتخطيط للصحوة. وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير

المسلمة تلك الصيغ الرجعية للحكومة الإسلامية، وتلك الأطروحات المشوّهة للوحدة الإسلامية.

وهكذا أثّرت كل هذه العوامل أثرها الكبير في الاسراع بالصحوة والنهضة ممّا جعل الأمّة على اعتاب تحوّل تاريخي كبير، نسأل الله ـ جلّ وعلا ـ أن يحققه قريباً عاجلا.

وتساءلت المجلة عن «مركز النهضة الإسلامية الدينية»، فأجبتها:

بطبيعة الحال لا أعدّ ايران في هذا المجال فهي اليوم قلب النهضة الإسلامية الأصيلة، ومنبعها الدفّاق؛ لاأقول هذا محاباة أو تعصباً، وإنّما أقول ذلك عن وقوف حسن على واقع العالم الإسلامي، وتلمّس كامل لكل أبعاد الصحوة والنهضة الإسلامية فالكل اليوم ينظر إلى ايران باعتبارها المحور النموذج والامام والموجّه، بل أستطيع أن أقول: إنّ العالم كله يذعن لهذه الحقيقة، ولا أدلَّ على ذلك من تجمُّع التآمر المعادي للدين ضد ايران وتمركزه على هذه الثورة الإسلامية، وربما أمكنني الإشارة إلى دور ايران في المؤتمرات العالمية للسكان كالقاهرة وبكين وغيرها حيث وقفت تحمل لواء الدفاع عن الدين عموماً والإسلام خصوصاً بكل قوة وأذعن العالم لهذا الوقوف والصمود.

فإذا تجاوزنا ايران أستطيع القول بأنّ مظاهر النهضة تشمل كل العالم الإسلامي على اختلاف ما بين مناطقه من حيث الوعي والحماس.

كما تساءلت المجلة عن «دور الفكر الإسلامي والفكر الثوري في العلاقات الدولية القائمة»، فقلت:

إذا أردنا أن ندرك عمق هذا الدور علينا أن نلاحظ الأمور التالية:

١ ـ إن مساحة التخطيط والتآمر ضد الإسلام وضد الثورة الإسلامية، مساحة ضخمة حقاً تتمثل في تجمّع العقول السياسية المخططة في مراكز علمية وسياسية لاتحصى لدراسة هذه الظاهرة، واتخاذ الاستراتيجيات الجامعة ضد نموّها وانتشارها ومحاولة الفصل بين الجماهير الإسلامية، لا بل الجماهير المستضعفة وبين قيادتها، كما تتمثل في وسائل الاعلام الموجّهة ضد الإسلام ومظاهره وضد كل ما يمتُّ بصلة إلى الإسلام، وتتمثل أيضاً بالمؤتمرات

الدولية الواسعة الأبعاد والتي تعمل على مسخ الهوية الإنسانية ومحو العائلة الإنسانية، ونشر التفكّك والتميّع، والفساد الأخلاقي، كما تتمثل في عشرات المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد بين الدول الكبرى نفسها وبينها وبين دول المنطقة لوقف هذا التحرك الإسلامي العظيم، بل إنّنا نجد الغرب يعطي الضوء الأخضر للشيوعين لاستعادة دورهم القيادي في الجمهوريات الإسلامية التي ورثت الاتحاد السوفيتي السابق لا لشيء إلاّ خوفاً من امتداد المد الثوري الإسلامي لهذه المناطق.

ولانستطيع هنا أن نستوعب كل هذه المساحة وإنّما نريد الإشارة إلى أنّ كل ردود الفعل هذه تترك أثرها الكبير على الساحة الدولية وتغير من الاستراتيجيات الدولية والمعاهدات وتفتح مجالا لتصوير عدو كبير للعالم الغربي، وصبّ كل الاهتمامات لمحو هذا العدو الكبير، كما تترك أثرها في سعي الدول الاستكبارية لاستغلال الأمم المتحدة والمحافل الدولية الأخرى للوقوف أمام هذه النهضة ومحاصرتها والعمل على ضربها في مهدها وقطع اتصالها بجماهيرها.

ولذلك استطيع القول بكل صراحة إنّ الحركة الثورية الإسلامية هي الهاجس الأكبر للطامعين وهي حجر الزاوية في كل تخطيط إستراتيجي عالمي. وهذه الحقيقة ذكرتها بصراحة الإستراتيجية الامريكية التي كشف النقاب عنها عام ١٩٩٧.

وعن «العلاقة بين الإسلام والغرب»، قلت للمجلة:

لتلخيص العلاقة بين الإسلام والغرب اوضح مايلي:

أ. أتصوّر أنّ الإسلام بمقتضى واقعيته المعروفة يسعى عن طريق الدعوة والعرض السليم إلى التحدّث مع الفطرة الإنسانية والتأكيد على أنّ كل ما جاء به من تصوّرات عن الواقع والحياة إنّما يقوم على أساس منطقي سليم ينسجم مع تطلعات الفطرة الإنسانية، وما يطالب به هو أن يحصل الجو الحر الموضوعي للاستماع إلى صوت الإسلام.

ورغم الحرية التي يتمتع بها العالم الغربي أو يدّعيها في فسح المجال

للآراء في أن تعرض نفسها إلاّ أنّ الإسلام يواجه عقبات كبرى في هذا الصدد أهمها التشويش والتشويه الدعائي الواسع الأبعاد ضده وضد كل مقدساته، وذلك عبر القنوات الاعلامية الواسعة وبمختلف الأساليب الماكرة التي كثيراً ما تستغل الفن والقصة والعلم لتموير أفكار معادية للإسلام.

وأؤكد أنّ هذه الحملة تنطلق من منطلقات:

الأوّل: تعصّبي، حيث نجد الجهات المتعصبة الصليبية تحمل حقداً تاريخياً ضد الإسلام دونما تأمل في ما يطرحه الإسلام من أفكار إنسانية.

الثاني: مصلحي، انطلاقاً من النظرة المادية الرأسمالية للحياة؛ ذلك أنّ الإسلام بمقتضى مبادئه لايسمح بخضوع الشعوب الإسلامية للمصالح التوسعية الغربية كما لايسمح بشكل عام باستغلال المستضعفين من قبل الأقوياء المستكبرين الأمر الذي يقف عقبة أمام الاستغلال المادي الوضيع.

الثالث: قومي وطني انطلاقاً من تصور الغرب أنّ المسيحية أو بشكل عام الدين الذي لايتدخّل في معمعان الحياة هو من الخصائص الوطنية والقومية للشعوب الاوربية. وهذا فهم خاطئ للدين والتراث الوطني والقومي، وهو الأمر الذي يرفضه المنطق التغييري للبنية الإنسانية، فالمهم أن يدين الإنسان بدين الحق بعيداً عن مسائل التعصب الطائفي والقومي والوطني.

الرابع: امتلاك الإسلام لخصائص الدين القيم على الحياة وأساليبه المعنوية والأخلاقية هي الحل البديل للفراغ المعنوي الذي تشعر به الإنسانية وهو أحد العوامل المهمة التي حطمت نظام الإلحاد الشرقي وقضت على احلامه بالتالي أعطت دورا جديداً للتعاليم الإسلامية لتملأ هذا الفراغ بعد أن لم تكن باقي الأديان على مستوى الحاجة الحضارية الموجودة.

ب. اعتقد أنّ أفكار العالم الغربي قد طرحت بشكل كاف في مجال العالم الإسلامي. فالمثقفون المسلمون يطالعون غالباً وباستمرار ما ينتجه هذا الفكر، بالإضافة إلى أنّ الجماهير الإسلامية اليوم مغرقة باحداث العالم الغربى التي تتحدث عنها وسائل الإعلام الغربية.

بل إني أعتقد أنّ ما يُعرض في العالم الإسلامي عن الغرب فيه الكثير من

المبالغة المقصودة، الأمر الذي قد يغوي الكثيرين بهذه الجنّة الموهومة، وهم لايعلمون ما تستبطنه هذه الحضارة المادية من نقاط ضعف كبرى تمزّق العلاقات العائلية، وتقضي على الروح الإنسانية وتحرك الكوامن الحيوانية الغريزية دونما سيطرة.

ج. لايمكننا أن ننكر أنّ الكادر الإعلامي الغربي مدرك لرسالته ومنسجم مع حضارته، ويعرف بدقة ما هي واجباته بغضّ النظر عن مدى إنسانية هذه الرسالة وتلك الواجبات.

أمّا الكادر الإعلامي في العالم الإسلامي فالذي أظنه أنّه في الغالب بحاجة ماسّة لتفهّم الرسالة الإسلامية وأهدافها الحضارية وواجباته تجاه هذه الرسالة، وأظن أنّ أكبر نقاط الضعف التي ابتلى بها هذا الكادر هو عدم توفّر ذلك الفهم الكامل من جهة والتبعية العمياء لأهواء الحكومات المصلحية بل والعميلة أحيانا من جهة أخرى، ومن هنا فإنّ عليه أن يحرر نفسه من هذه القيود ويبدأ مرحلة جديدة تحكمها خطوط عمل أساسية مستمدة من معين الرسالة الإسلامية وفي طليعتها: ضرورة نشر الروح التغييرية الثورية التي يريدها الإسلام في النفوس فتجعلها مستعدة لتطبيق كل تعاليم الإسلام على كل شؤون الحياة.

د. أعتقد أنّ كلاً منا لايدرك الآخر وربما كان من الصعب أن نصل إلى قواسم مشتركة، وسرّ هذا الأمر أنّ مبانينا ومنطلقاتنا مختلفة تماماً؛ فالعالم الإسلامي يقوم على أسس تصورية لايؤمن بها الغرب والعكس بالعكس.

وكمثال على ذلك لنلاحظ الأسس التالية:

١. الفطرة الإنسانية: وهي وجود أصيل يسوق الإنسان إلى الحقيقة الإلهية بشكل طبيعي وبدونه يفقد الإنسان إنسانيته.

٢. الأخلاق الفاضلة: العدل، التعاون، الإخلاص للمبدأ وما إلى ذلك هي جزء لايتجزأ من إنسانية الإنسان.

٣. الإنسان الفرد والمجتمع محتاج لتنظيم شؤون حياته كلها إلى الله وإلى الدين والقيم في الحياة.

٤. التكامل البشري من مقومات الحياة الاجتماعية، والفوارق الطبقية

العرقية، والقومية، والوطنية أمور منبوذة بشرياً.

٥. الغرائز الجنسية بحاجة لضبط عاقل يضمن قيام علاقات عائلية متكافئة.

٦. الاستغلال والاستعمار والاعتداء وتسخير مصادر الآخرين لمصالح ضيقة واحتلال أراضي الغير وإهانة المقدسات كلها أمور مرفوضة.

هذه بعض الأسس فهل نتفق عليها؟

المسلمون يقبلونها بشكل تام ولكن هل ينسجم معها الغرب؟ أستطيع أن أؤكّد أنّ الغرب قد لايدرك كنهها؛ لأنّها بعيدة عمّا اعتاد عليه مع الأسف.

نعم إذا استطعنا أن نصل إلى مستويات من التفاهم حول هذه الأسس وأمثالها فقد يكون من الطبيعي أن نصل إلى قدر مشترك من الفهم المتبادل لبعضنا البعض.

ولست متشائماً في تحقق هذا الهدف إذا توفرت النية المخلصة الموضوعية المطلوبة لمعرفة الحقيقة.

نعم إنني أعتقد أنّ البشرية جمعاء تسير شيئاً فشيئاً نحو مرحلة فناء النزعات الإلحادية والظواهر الإنكارية لله تعالى رغم إمكان تواجد بعض النتوءات الصغيرة دائماً.

وهناك علامات كبرى تشير إلى هذا الاتجاه الحضاري نستطيع أن نشير منها إلى ما يلي:

١. الاتجاه العالمي لإقرار حقوق الإنسان؛ فرغم أنماط الاستفادة السيئة من المنشور العالمي لحقوق الإنسان من قبل الدول الكبرى إلاّ أنّه يعبّر عن اتجاه معنوي نحو إقرار حقوق الإنسانية التي نادت بها الأديان. وأيّ إنكار للجانب الروحي والفطري للإنسان يفقد الإنسان أيّ ادّعاء للحقوق الإنسانية.

٢. الاتجاه العالمي للجماهير نحو الحلول الدينية بعد فشل كل الحلول المادية، أنّه اتجاه حضاري يحاول الماديون إنكاره ويعمل المستعمرون على كبته وخنقه والتآمر عليه إلاّ إنّه اتّجاه حقيقي؛ فالجماهير سواء في العالم الإسلامي أو في غيره أدركت أنّ السعادة الإنسانية إنّما تكمن في إحياء القيم المعنوية واستعادة وجودها في حياة الإنسان.

والأمر في العالم الإسلامي أوضح، فإنّ الجماهير الإسلامية اليوم تعمل على استعادة دور الدين في الحياة وهي تتوسل بكل الوسائل لإقامة نظام إسلامي للحياة رغم كل العقبات التي تقف في طريقها.

فالعصر اليوم هو عصر السيطرة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهو عصر الاتجاه نحو المعنويات.

٣. الانهيار الهائل للنظام الإلحادي الشيوعي نتيجة مخالفته للفطرة الإنسانية، وهو ما أشار إليه الإمام الخمينى(رحمه الله) في رسالته التي وجّهها إلى غورباتشوف قبل الانهيار بأكثر من عامين، حيث قال له: إنّ الشيوعية مرشحة للدخول في متحف التاريخ؛ لأنّها تخالف الفطرة الإنسانية، ودعاه إلى الدين وبالخصوص إلى الدين الإسلامي؛ لأنّه الإشباع الحقيقي للجوعة الإنسانية. وهذا ما اعترف به غورباتشوف في خطاب الاستقالة حيث قال بأنّ الانهيار كان بسبب إنكارنا للنعم الإلهية.

وعلى أيّ حال فإنّنا نستبشر خيراً بعصر الدين والمعنويات. أمّا ما يقال أحيانا من أنّ الحكم الديني سوف يؤدي لاضطهاد الأقليات، فهذا أمر موهون؛ فإنّ القواعد الدينية الإسلامية توجب على الدولة احترام حقوق الأقليات ومنحها درجة المواطنة الكاملة وحمايتها من أي اعتداء، وتاريخ الإسلام شاهد على هذه المعاملة، رغم أنّ الإسلام لم يكن مطبقاً بشكل كامل إلاّ في فترات قليلة.

وتمتع الأقليات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية اليوم بكل الحقوق شاهد على هذه الحقيقة.

إنّني أعتقد أنّ عودة الحكومات الدينية سوف يترك أثره الكبير على العلاقات الدولية، حيث ستسود روح التعاون المشترك لنشر الأخلاق الحميدة وتتم عملية تحريك الطاقات الإنسانية الكامنة وتقام الحياة على أسس متينة منسجمة مع الفطرة.

وإنّني لأنتظر عالما تسوده العدالة، والتعاون والمحبة الدينية، والتفاهم الموضوعي وهو ما بشّرت به كل الأديان وتمثّل في الإسلام بالاعتقاد بظهور المهدي القائد الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا. ولهذا

فإنّي أعتقد أنَّ البشرية يجب أن تستعدّ بل وتعمل على إقامة نظام ديني عالمي يحقق الأهداف السامية للبشرية.

وتساءلت المجلة عن«علاقة الدين بالحياة»، فأجبت:

من المسلّم به أنّ النظام الاجتماعي لايمكنه أن ينفصل عن الايديولوجية التي يحملها المجتمع (موضوع التطبيق لذلك النظام)، بل لايمكن تصور قيام نظام حياتي شامل دون أن يسبقه تحديد للموقف من الوجود والإنسان والحياة، أي دون أن تسبقه فلسفة معينة. وحتى الرأسمالية التي طرحت فكرة فصل المسألة الاجتماعية عن المسألة الواقعية لم تستطع مطلقاً أن تنجو من نظرة مادية خالصة للحياة.

وعليه فعندما يدخل الدين إلى الحياة فمعنى ذلك أنّه ينفذ إلى عمق الوجدان الاجتماعي ويغيّر القاعدة التي يقوم عليها النظام، ومعنى ذلك أيضاً أنّه ينفذ إلى كل المشكلات الحياتية فيغيّرها وفقاً لتصوراته (طبعاً إذا كان هذا الدين ديناً واقعياً واجتماعياً يطرح حلوله لكل المشكلات الاجتماعية).

ومن هنا أستطيع التأكيد على أنّ الدين إذا دخل إلى أي ساحة، عمل على تغييرها تغييراً جذرياً، وحاول أن يصوغ علاقاتها وسياساتها وفقاً لمنطق جديد.

وأخيراً تساءلت المجلة عن «توقّعي لمستقبل النهضة الإسلامية» فكان جوابي: انطلق في تصوري لمستقبل النهضة الإسلامية من أمور:

أوّلا: من دراسة سير التاريخ الإنساني الذي يتّسم رغم كل النكسات بالسير الصاعد لصالح الأهداف المعنوية.

ثانياً: من قناعتي باللطف الإلهي الذي يسير بالإنسانية نحو الكمال.

ثالثاً: من الوعود القرآنية القطعية بالنصر المؤكّد للحركة الإسلامية إذا صدقت مع نفسها وتحلت بكل الخصائص القرآنية.

واعتقد بعد هذا أنّ الغد أمام النهضة الإسلامية مشرق خصوصاً إذا لاحظنا ما تتمتع به عناصر النهضة من حيوية مبدعة، وإمكانات مادية معنوية، وإيمان جماهيري بمستقبل هذه النهضة وثقافة حضارية مضحية... وأعتقد أنّ كل من

له بصيرة يدرك تماماً أنّنا على أعتاب عالم يسوده حكم القرآن الكريم.

عزيزي القارئ!

نقلت هذا الحديث الصحفي ليكون مقدمة لهذا الكتاب الذي أُعدّ ليكون داعية حوار إسلامي ـ إسلامي أوّلا، ثم لينطلق فيصنع حواراً إسلامياً مع الآخرين يوضح لهم مبادئه الإنسانية ويكتشف معهم نقاط الاشتراك ممّا يمهّد السبيل لتعاون إنساني يعود بالنفع على الإنسانية جمعاء.

* * *

الفصل الاول:

الخطاب الاسلامي
والعودة الى الوسطية

الخطاب الاسلامي والعودة الى الوسطية

انا لا نعني بالخطاب الاسلامي هنا الخطاب التعليمي السطحي او المعمّق، كما لانقصد به الخطاب الادبي والبلاغي، وانما نريد به الخطاب الاعلامي الذي يلامس حس الجماهير، ويوجّه الرأي العام.

ولسنا بحاجة - كما نعتقد - للدخول في عملية تفلسف الخطاب وتحدد له تعاريفه وأقسامه وعناصره وضوابطه، فذلك امر يكاد يتّضح ببداهة لدى المفكّرين.

ومقاصد الشريعة واضحة فيه، وتتلخص في كونه يوصل الحقيقة للآخرين او فلنعبر عنها بعملية ايصال الحقيقة من قبل الشاهدين عليها الى الغائبين عنها كما قال: «ليبلغ الشاهد الغائب»[١].

وللاسلام اسلوبه الرائع في الدفع نحو الحوار البنّاء الموضوعي، والمنطق، بشكل يعد نظرية متكاملة وسبّاقة في تاريخ الفكرالانساني.

ولكننا نشعر بأدواء يبتلى بها الخطاب الاعلامي الاسلامي بشكل فضيع في عصرنا الحاضر مما يقعده عن تحقيق مقاصده. ولعلنا نستطيع جمعها تحت عنوان «التطرف المرفوض» والابتعاد عن «العقلانية» و«الوسطية» و«التوازن».

ولسنا بحاجة للحديث عن مدى التزام الاسلام بهذه الامور، فهي ظواهر

---

١) رواه البخاري ومسلم والنسائي واحمد.

واضحة في تشريعاته، وضوحها في مفاهيمه واخلاقياته[١].

ومن الجدير ذكره أننّا لانريد بالخطاب الاعلامي ذلك الخطاب المتداول والمتدني احيانا الى مستوى الاهتمام بالقضايا الجزئية والعادية وربما العامّية، بل ما نركز عليه هو إعلام المفكرين الاسلاميين الذي يخاطب عقول الأمّة وثقافتها ونهج حياتها ويحدد موقعها الحضاري البشري.

فمحاولتنا هي نقد ذاتي لحركة المفكرين الاعلاميين ودعوة الى تحقيق الوسطية:

بين السطحية والتعمق التعقيدي

وبين الاتجاه المتسرع المتهور والنفس التغييري الطويل

وبين التخصص وعدم الاحتكار

وبين الانغلاق والتأثر المفرط

وبين التعصب والتنازل المبدئي

وبين الرجعية والتقدمية المزيفة

وبين الافراط في التقييم واللامبالاة.

وكلها نماذج غير حاصرة لأدوائنا في الخطاب.

النقد الذاتي لحركة المفكرين الاسلاميين اليوم

تختلف النفوس والآفاق من حيث الموضوعية والسعة الى حد كبير، فبين من لا يأبه لأي نقد شخصي مهما كان حاداً عنيفاً، وبين من تجرحه كلمة ناقدة مهما كانت موضوعية بنّاءة.

إلّا أنَّ نقد الحركة والاتجاه الفكري أمر طبيعي، وكثيراً ما يدعو الأفراد

---

١) راجع كتاب «الظواهر العامة في الاسلام» للمؤلف.

للتأمل واعادة النظر دون أن يصحب ذلك تأجج حماسي بليد، او عاطفة جريحة ضارية تسدُّ السبل على التفكير الهادئ.. وتلك هي سنة الغضب الطافح عن حده.

وما نحاوله هنا هو تحريك حسّ النقد الذاتي لمسيرة الفكر الاسلامي السائد اليوم في عالمنا الاسلامي المعاصر، والذي يطالعنا بشكل كتاب او مقال او محاضرة تطرح منفردة او تنضم الى مجموعة نطلق عليها عنوان ندوة او مؤتمر فكري.

على أنَّ منهجنا في هذا الحديث لا يتوجّه بالاتهام الصريح الى الرموز الفكرية التي تطالعنا اسماؤها في هذه الصحيفة الاسلامية او تلك، وانما يطرح بعض الامراض والنقائص التي لايشك أحد في ماهيتها المرضية، ثم يترك للمفكر نفسه أن يتجرد من دوافعه الذاتية - والمفروض أنهّ يعمل مخلصاً في سبيل إعلاء كلمة الله - فينظر هل تمسه لفحة من هذا اللهيب، أو تدنّس ثوبه لوثة من هذا القتام؟

وقبل أن نطرح بعض هذه الانماط المرضية نسارع للتركيز على حقيقتين موضوعيتين هما:

الاولى: وجود بعض المفكرين الواعين الذين منحهم الله تعالى القدرة على التحليق الفكري المجرد، والاخلاص له- جل شأنه - الامر الذي جنّبهم الوقوع في المزالق وجعلهم مهبط الهداية الالهية.

الثانية: توقّع التغيير الشامل للحركة الفكرية الاسلامية، وانسجامها بالتالي مع التغيير الشامل الذي يسري كالعافية الالهية الى أوصال عالمنا الاسلامي الكبير.. فنحن إذن الى التفاؤل أقرب منا الى التشاؤم.. بل إننا لنجدنا نأمل أملاً قريباً في طلوع اسلامي فكري مشرق، يغمر الارض نوراً بحوله تعالى وقوته.

أما وقد ركزنا على هاتين الحقيقتين، نودّ أن نستعرض - بما يتناسب وحجم هذا المقال - بعض نقاط الضعف، والحالات المرضية التي قد يبتلى بها الفكر، او فلنقل يبتلى بها المفكرون.

وأولها - بكل صراحة - (التبعية المكممة للأفواه) والتي غالبا ماتتشخّص بشكل تبعية لذوي النفوذ، وهذه التبعية المقيتة قد تفرضها ظروف الطرف المسيطر، كما قد يلجئ اليها الضعف النفسي للمفكر، وحاجته الاقتصادية او النفسية الى مثل هذه التبعية.

ويمكننا ان نفترض لهذه التبعية من آثارالسوء الشيء الكثير، فقد تبدأ بعنصر المجاملة، وعدم التعرض لما يغضب، وتنتهي الى عملية التزييف المتعمّد بعد أن تمتلئ البطون من الحرام، وتنتفخ الاوداج من دماء المقهورين.

وبين تلك البداية وهذه النهاية يمكن تصنيف الكثير الكثير ممّا يكتب او يلقى في عالمنا الاسلامي وباسم الاسلام، والتربية، والتوعية**!!**

فهل فكّر بهذا الامر اولئك الذين باعوا أثمن جوهرة في الحياة وهي (الحياة المعقولة) للصغار التافهين، فراحوا يمتدحون جاهلا لايعقل ما ينطق ولايملك من مسوغات الوجود المسيطر.

نعم؛ لنتائج التبعية درجات، فمنها ما لا يتجاوز الإعراض عن ذكر ما يغضب، والاقتصار على التوعية البعيدة عن تحريك أبناء الأمّة ضد الظلم، في حين نجد المظاهر الاخرى تصل الى حد التسويغ لما يفعله هؤلاء المسيطرون حتى ولو كان قد بلغ من الوضوح ما لم تبلغه الجريمة نفسها.

والعينة المرضية الاخرى - على الصعيد الفكري - هذا (التكرار الممض للفكر دونما ابداع وابتكار) لا في مجال الموضوع ولا على صعيد الحلول والاستنباط.. وانه لما يملأ القلب ألماً ألا نجد من يرفع الخطوة التالية لخطوة رفعها مفكر كبير هو المرحوم آية الله الشهيد الصدر[١] في المجال الاقتصادي، وذلك على الرغم من مرور نصف قرن على هذه التجربة من جهة، والحاجة الماسة الى مثل هذه الخطى الفكرية الكبرى من جهة اخرى.

---

١) هو الامام الشهيد محمد باقرالصدر، استشهد عام ١٩٨٠ في العراق على يد مجرمي نظام صدام البائد، وافكاره المبدعة في الفقه والفكر والسياسة لاتخفى على احد، له: اقتصادنا، فلسفتنا، دروس في اصول الفقه، الاسس المنطقية للاستقراء وغيرها.

وأمامنا الساحة الفكرية، فلنسر فيها، ولنبصر هذه المظاهر، ونعمل بالتالي على ادانتها بأي شكل كانت.

أما نقطة الضعف الاخرى والتي تبدو للعيان فهي مسألة (عدم التعامل مع الواقع القائم) و(الابتعاد - إلاّ لماماً - عن المشاكل الواقعية للأمة) لعوامل كثيرة، منها ما سلف من عدم التعرض لما يغضب ذوي النفوذ، ومنها عدم الاحساس بألم الجماهير بعد تمام عملية التخدير، وغيرذلك.

وإلاّ فكم هي الكتابات التي نشهدها عن الأرضية المناسبة لتطبيق الاسلام كله في اطار وحدة اسلامية شاملة تتناسى الحدود والمصالح الضيّقة؟ وهل تتوفر الدراسات الكافية للمبادئ المنحرفة التي تسود عالمنا الاسلامي كالقومية الضيّقة، والماركسية، والأفكار الرأسمالية والعلمانية والهرمنوطيقيا والعولمة وغير ذلك، مع أنَّها مشاكل يعاني منهاجسم الأمّة وفكر شبابها الناهض.

واستطراداً في هذا المجال نجد (الفراغ الهائل في الدراسات الجامعية الاسلامية) فأين هي المناهج التي تشبع هذا النهم؟ وهل استطعنا العمل على تلبية هذا الشوق الجامعي المتطلّع للاسلام وهو واقع قائم لاشك فيه، فماذا نحن في قباله فاعلون؟ وحتى التجارب التي طرحت لأسلمة الجامعات جاءت ناقصة مبتلاة البوزوفيتية وبالاثباتية المستوردة دون ملاحظة عدم انسجامها مع واقعنا الاسلامي.

واذا أردنا أن نستمر في عرضنا لنقاط الضعف فاننا سنجد أمامنا قائمة طويلة ملأى بها وكلها ممّا لايمكن غفرانه.

إننا سنجد أمامنا مثلا: ضعف العرض وقلة التجديد في ذلك، وإهمال مسألة الاثارة الحماسية القائمة على أساس الفكر الأصيل، وهي جانب قرآني أهملناه في بحوثنا، وغير ذلك كثير.

ونعود فنكرر ماقلناه آنفا من أنَّ هذه الآفاق قد تكون غير عامة ولكنها - على أي حال - تمتلك مواقعها في وجودنا الفكري، الأمر الذي يتطلب نقداً ذاتياً

موضوعياً يقوم به كل فرد، وكل مجموعة، مستهدفين القيام بالواجب الالهي التاريخي، عاملين على المواكبة - على الاقل - لمسيرة تطلعات الأمّة، والتي تطوي المسافات الطويلة لتقع عل الهدف الكبير حيث يكون الدين كله لله، وفي الارض كل الارض بعونه تعالى، والله على كل شي قدير.

الفكر الاسلامي بين السطحية اللامباليةوالتعمّق اللاطبيعي

ولكي نتجنب التعقيد في حديثنا علينا أن نوضح اصطلاحي (السطحية اللامبالية) و(التعمّق اللاطبيعي) الى الحد الممكن.

فالاصطلاح الاول، يعني محاولة اخذ الامور بظواهرها، وعرضها على الفهم العرفي العادي، والتغاظي عن كل تساؤل يطرح حولها ويتطلب غوراً في اعماق النفس الانسانية أو التعقيدات الاجتماعية لتتسنى الاجابة عنها.

أمّا الثاني، فيكاد يكون على العكس من الاول، اذ يعني التأمل الدقيق في كل حركة وسكنة، والعمل على فلسفتها والانطلاق ولو بمناسبة خفية جداً، الى آفاق قد لا تكون قد خطرت في ذهن من طرحوا تلك الامور أو قالوا تلك الأقوال.

واذا كان الاتجاه الاول يستبطن بساطة في النظرة، واستهانة بالمشكلة، وتصغيراً للفكرة، وفصلاً لها عن مبانيها وأسسها الحقيقية، فإنّ الاتجاه الثاني يتضمن بدوره اغراقاً لامسوغ له أحيانا، وخصوصا في المجال الاعلامي لا العلمي، وتصوراً مغلوطاً للفهم العرفي، على أساس أنَّه فهم لمجتمع يكوّنه الفلاسفة والعقلاء الألمعيون قاطبة، وتحميلاً للفظ أو المشكل لما لامسوغ له.

والمستعرض لأساليب البحث في شتّى أنماط الفكر الاسلامي ومدارسه اليوم، يجده في كثير من الحالات قلقاً بين المنهجين آنفي الذكر، الامر الذي يبعده نوعاً ما عن الحقيقة، وبالتالي يفقده القدرة على توجيه ابناء الأمّة الوجهة الصحيحة وايجاد الوعي الجماهيري المطلوب كمقدمة لنهضة هذه الأمّة، وتحقيق آمالها العريضة،و بهذا يعود فكراً حكراً على المتفلسفين والعلماء، أو

مبتذلاً سطحياً لا يأبه به من له إلمام بالثقافة الاسلامية والعلوم الانسانية.

واذا تأملنا في طبيعة الافكار الاسلامية، والمنهج الذي يتعامل به التصور الاسلامي مع المشاكل الانسانية، وجدناه منهجا متوازناً مرناً يسير مع الفهم الفطري العرفي من جهة، حتى ليتصوّر الانسان القرآن الكريم كتابا يقرؤه كل الناس، ويفهمه كل الناس، وتتعامل معه مختلف الفئات على اختلاف مستوياتها، ولكنه - في الوقت نفسه - يتسامى في معانيه، ويبلغ شأواً بعيداً من العمق، حتى لتحار في ادراكه أعظم العقول.. وربما اراد القرآن الكريم ان يعبر عن معاني ضخمة في عالم الغيب ويوصلها الى الأفهام فيجدها - أي الأفهام - قاصرة عن الاستيعاب المباشر، ولذا فهو يعمد الى التشبيه، ولكن لما كان التشبيه عاملاً ايجابياً في تقريب المعنى، وعاملاً سلبيا لما قد يؤدي اليه من ايجاد تطابق بين المشبَّه والمشبَّه به، فإنَّ الآيات الشريفة تطرح فكرة إرجاع المتشابهات الى الآيات المحكمات التي لا تتخللها دلالة ظنية، لكي يتم لعملية التشبيه أن تحقق دورها التقريبي دون أن يصاحب ذلك أي تصور منحرف... وربما كان هذا بعض أهم التحليلات لفكرة وجود (المحكم والمتشابه) في القرآن الكريم.

هكذا إذن يتّسم التعبيرالاسلامي والمنهج الاسلامي في التعامل الفكري بصفة التوازن بين الوضوح والعمق، فهل وعى الفكر الاسلامي هذه الحقيقة؟

إنَّ على الفكرالاسلامي أن يتصور تماماً أنّ التصوّر الاسلامي تصوّر جامع يربط بين كل أجزاء الكون في عملية متناسقة لتحقيق هدف واحد، ويربط بين كل مكونات الفطرة الانسانية في شكل متسق لتحقيق هدف الخلقة الانسانية، ويربط بين كل مكونات التشريع الاسلامي في وحدة رائعة لتحقيق الهداية التشريعية للانسان. ومن هنا فلا يمكن أن نتعامل مع المشاكل الانسانية المطروحة ببساطة التلميذ، وسذاجة البدوي، وسطحية العامل البسيط، فنتصوّر هؤلاء جميعاً أهلاً للتعامل المباشر مع النصوص الاسلامية للوصول الى واقع

التصوّر الاسلامي عن الكون، والحياة، والتاريخ، والانسانية، واحكامها التشريعية، نعم، لايمكننا أن نمر على مشاكل كبرى كمشكلة (الجبرية) و(الارجاء) و(المعاد الجسماني) و(العدل الالهي) و(الصفات الالهية) و(النظام السياسي) وأمثالها من آلاف المشاكل التي تطرح وتتطلب الحلول والمواقف الصحيحة، لايمكننا أن نمرّ عليها مرور الكرام، وأن نتعامل معها بسطحية لامبالية، وكأننا أمام مسألة رياضية بسيطة، ثم نسخر من كل اولئك الذين أضاعوا أعمارهم في التماس الحلول ووضع التصوّرات المعقدة لها.

إنَّ هذا في الواقع يعني انفصالا عن الحقائق الكبرى، ويعني استهانة غير طبيعية بالفكر الاسلامي الأصيل. بل وربما راح ينفي أصل التأمل والتدبر، وهما من أول ما يأمر به الاسلام.

إلاَّ أنّنا نلاحظ في الطرف المقابل اتجاهاً مضاداً يعمل على إدخال المفاهيم الاسلامية الواضحة في قوالب فلسفية معقدة تحول الثقافة الاسلامية الى ثقافة الفلاسفة، والمجتمع الاسلامي الى مجتمع العباقرة، متناسية الواقع القائم، والوضوح الفطري في الافكار، وان الاسلام يراد له أن يستقرَّ في وعي الجماهير ليصوغ لها حياتها كلها، ويسير بها نحو الكمال.

ولن نحاول هنا أن نضرب الامثلة على هذا الاتجاه، فهو واضح لمن يتأمل في أنماط من التفسير العلمي المغرق للحقائق القرآنية والتي تجعل القرآن كتاباً لتعليم العلوم الطبيعية، وفي أنماط من التفسير العرفاني المغرق والتي تحوّله الى كتاب لتامُّل العرفاء لاغير، وفي أنماط من التفسيرالفلسفي المغرق الى الحد الذي يظهر فيه وكأنه كتاب مؤلف من رموز فلسفية لاتفهم إلّا بعد عمر طويل.

وخلاصة ما نريد تحقيقه من هذا الحديث، أنّنا ندعو الى تحقيق التوازن الذي تركّزه كلمتا (البيان والحكمة)، فلا نغرق في التعامل مع الظاهر متناسين

أنَّ الظاهر لا يتحمّلها.

وليس حديثنا هذا مقتصراً على تفسير الآيات أو شرح الاحاديث، وإنّما يعمّ كل تعامل فكري مع المشاكل والتساؤلات المطروحة، فإنَّ الملاك واحد في كل هذه الامور، والمنهج واحد في شتّى أنماط التعامل الفكري الاسلامي.

فاذا ركّزنا على النظام السياسي الاسلامي - مثلا - وجدنا أنَّ الاكتفاء ببعض التعبيرات العامة، كالشورى والعدالة، واعتبارها كل المضمون السياسي، يعدُّ أمراً سطحياً بلا ريب بعد معرفتنا لمشاكل الحكم ودوره الأساس في الحياة، في حين أنّنا إذا رحنا نتطلّب من النصوص الاسلامية أن تعطينا تصوّراً مباشراً لموقف الاسلام المحدد من جميع التعقيدات والتفصيلات الدقيقة في التشكيلات السياسية الحاضرة، وتشرحها بالتفصيل، فإنا نكون قد حمّلنا النصوص مالا تتحمّل، فقد تكون هذه التعقيدات في حلولها موكولة الى خبرة ولي الامر ومايراه عبر الشورى من مصالح.

والحقيقة، أنّنا نجد الخطين الآنفين يتجلّيان في مجال البحوث العقائدية بشكل واضح، وخصوصاً مسألة (الصفات الالهية) وأمثالها، الأمر الذي يجرّ الى إفراط وتفريط، وكلاهما مضر بالصورة الاسلامية النظيفة التي يراد توعية الأمّة بها.

الثورية بلا ايمان سراب

وهذا الحديث نوجّهه الى كل من يخفق قلبه بالثورةوالتغيير، ويتلظّى بنار الظلم والكبت، ويعمل لمقارعة الاحتلال والطغيان. وكل ما نرجوه هوالتفكير في خلق السماوات والارض وفي خلق الأنفس وفي الهدف الحياتي المتعالي، عسى أن نكون قد ساهمنا في طرح قضية انسانية مهمة على صعيدها الفكري (الايديولوجي) والعملي.

ولسنا في هذا نخاطب الأفراد فقط - وان كانوا معنيين بكل دقة - وإنّما نركّز على تلك النظم والحركات والجبهات التي نعتقد أنَّ هناك الكثير الكثير

منها ممّن هو صادق في طلبه للحياة الأفضل، ومن هو مخلص مع إحساسه بالظلم والكبت والجبروت ولزوم الثورة عليها.

ماذا تعني الثورية؟

الثورية ليست منهجا محضاً كما يتصوّره بعضهم، ولذا يطلقون على كل عمل (يتسم بالعنف، ويخرق القوانين المتداولة، ولايبالي بكل العواقب) صفة الثورية، ويظنون أنها ما هي إلّا عمل أهوج يقوم به حاطب ليل، كما أنها ليست هدفاً متعالياً محضاً كما يتصوّره الاخرون، فيرون كل فرد استطاع أن يقدم أهدافاً لأمة فيها بريق الحرية والعدالة والمساواة، ويعد البشرية بمستقبل افضل، هذا الفرد هو رجل الثورة، دون نظر الى مدى وضعه وتنفيذه للخطة التي تسيِّر به نحو تلك الاهداف. وإنما الذي نتصوّره من خلال القراءة والفعل الوجداني للثورية هو: أنَّ (الثورية) هدف ونظرية متعالية من جهة، واسلوب تغييري جامع لتحقيق ذلك الهدف والنظرية السامية من جهة أخرى. ونحن وإن كنا نفضل استعمال مصطلح المنهج التغييري فقد جارينا الشائع في الاستعمال.

وصدق من قال:

المتعامل بلا هدف هو حاطب ليل.

وأنّ الهادف بلا عمل طوبائي حالم.

والثورية بمعنى التغيير المحوري - كما يبدو من التامل في التعبير السابق - ليست بلا ضوابط، أو حركة ضد الضوابط.. كلا، وإنما نعتقد أنَّ الثورية هي المجال الأهم لعمل هذه الضوابط؛ فماهي اذن؟

أنَّ ما نتصوّره من ضوابط يمكن ان تلخص فيما يلي:

اولا: على صعيد الهدف النظري يجب أن تتوفر العناصر التالية:

أ: الفطريةالانسانية.

ب: الشمول.

ج:التكامل.

ثانيا: على صعيد العمل يجب تحقيق العناصر التالية:

أ: التغيير المحوري.

ب: الشمول والتنسيق.

ج: الواقعية.

د: العلو على الواقع.

ولمزيد من التوضيح نقول:

إنَّ الهدف يجب ان يكون انسانياً بلا ريب، وانسانية الانسان تحددها شخصيته الانسانية العامة التي يشترك بها أفراده جميعاً والتي بها يتميّز العمل الانساني عن غيره، وهي المعيار في تقدّمية الفرد أو الفكرة ورجعيته أو رجعيتها. فما هي هذه الشخصية العامة؟ إنّها لا تعدو ما تعبر عنه النصوص الاسلامية بالفطرة، أي ما فطر عليه الانسان وعجنت به طينته بما يميزه عن باقي الموجودات. ومهما حاولت النظريات المشوهة، ومهما أنكرالمنكرون، وبالرغم من كل تلك التصورات التي تنتهي بالانسان الى حيوانية وضيعة فأن الفطرة هي التي اعطته شخصية متميزة عن غيره وأهّلته لصنع الحضارة والتطور، في حين بقيت مجتمعات الحيوانات (اذا صحت تسميتها بذلك) كما هي منذ ظهرت لحد اليوم، ونحن مطمئنون لبقائها كذلك (ولايعني هذا نسيان التغييرات الطفيفة والعضوية في تشكيلها وبنيتها).

ومن هنا فإنَّ أي رفض للفطرة يعني رفض الوجدان الانساني، وكل تعارض مع الوجدان مصيرة الى الزوال والرفض لا محالة.

فاذا عدنا الى الفطرة وجدنا أنَّ الذي يؤمن بها ينحصر في اطار التصور الديني، فلايمكن بأي حال من الاحوال أن تنسجم (المادية) و(الايمان بالفطرة). وهذه أمامنا كل النظريات المادية فلنستقرئها وحينئذ سنجد أنها تنكر الفطرة لا لشيء إلاَّ لأنّها جعلت المعايير المادية هي الحكم الوحيد على الفكرة، والفطرة ليست ممّا يقاس بالمعايير المادية.

إنَّ الفطرة بما تحمله من معالم عقلية، وعملية، وخلقية، ودوافع أصيلة

وإمكانات تركيبية هي الجو الطبيعي الذي يمكن أن يعرف فيه مدى صحة أيّة رؤية، أو تصور بطلانها، ومدى تقدّمية أية فكرة ورجعيتها، وأنّى تسير مسيرة نحو التكامل، وبالتالي مدى ثورية أية فكرة أو عمل.

هذا عن الفطرية، فماذا عن الشمول؟

الحقيقة هي أننا نعني به كون الهدف ناظراً لمستقبل الانسانية جميعاً، وعاملاً على تحقيقه كأفضل مايكون، متناسياً كل مصلحية ضيقة، أو امتداد عرقي ضيّق، أو تعلق جغرافي وهمي، أو ارتباط زمني اعتباري، ذلك أنَّ الوجدان والفطرة يشهدان بوحدة المستقبل، ويدفعان لتحقيق هذه الوحدة، ويحمّلان الانسان مسؤولية العمل لها. وهذا الاحساس الوجداني هو الحافز لاندفاعه نحو العدالة ونفوره من الظلم، وعطفه على الآخرين، وهو سر إطلاقنا العفوي على كل عمل يخدم المجموعة صفة (الانسانية).

(فالشمول) إذن معلول (للفطرية) وليس نّداً لها،وكذلك التكامل.

أما (العمل) الثوري فإنه لن يكون صادقاً مع ذاته وصفته إلاّ اذا ركّز على محورالبناء الاجتماعي واستهدف تغييره، وهذا يعني الايمان بالترابط البنيوي للمجتمع، وأنَّ هناك جوانب يترك تغييرها أكبر الأثر على الجوانب الاخرى، كأن نقول: إنَّ نوعية التغيير السياسي تنعكس كأشدّ ما تكون تأثيراً على الجوانب الاجتماعية الاخرى، كما يعني أنّ العمل الثوري يوجّه الخطى كلها نحو هذه النقطة ويعمل عبر هذا الايحاء المركّز، وحتى لو انه أقدم على اصلاح في جانب من الجوانب القائمة على محور فاسد فإنه يقدم على ذلك بهدف تغيير المحور المذكور، وهذا ما كنا نقصده من الشمول والتنسيق.

أمّا الواقعية: فنعني بها ملاحظة الواقع وعدم الغرق في طروحات طوبائية لا تاخذ الواقع الفطري الانساني الأصيل، والحاجات الانسانية الصادقة والاشباع المتناسب العادل لتلك الحاجات، وكذلك الظروف الزمكانية الطارئة للمجتمع مادة للتغيير.

أما الصفة الاخيرة التي اشترطناها في العمل، وهي العلو على الواقع، فهي

لازمة من لوازم التغيير، والا فاذا كان الانسان أسير تصوره التجريبي الانعكاسي الذهني بحيث لاتنعكس في ذهنه الاّ ايحاءات الواقع الذي يعيش فيه، ولايجول الاّ بين هذه الايحاءات، بل وربما يمنح هذه الايحاءات صفة الثبوت والجمود والاطلاق، فإنه حينئذ لن يستطيع أن يبصر حالة وتركيباً أسمى حتى يعمل على تحطيم هذا التصميم القائم لتحقيق التصميم الاسمى المذكور.

ومن هنا فإنّ الانسان هو الذي يعلو دائما على واقعة، ويعمل على النظر اليه من عالٍ ومقارنته مع الصورة الايديولوجية التي يملكها كقاعدة لمجموع الحياة، وبالتالي على تحطيم الجوانب اللامنسجمة وتغييرها الى الصورة والجوانب المثلى.

وبدون هذا العلو قد يستطيع الانسان أن يحطم واقعاً لهدف السيطرة عليه، الا انه سوف يكون ـ كما قلنا ـ حاطب ليل في اسلوب عمله.

دور الايمان بالله في تحقيق هذه العناصر

وبغضّ النظر عن الأسس الفطرية التي يملكها الايمان والدوافع الواقعية للمعرفة الالهية، وما تفرضه الفطرة من لزوم التعرف على المنعم والمولى الحقيقي، والقيام بحق العبودية له، بغضّ النظر عن كل ذلك فإنَّ الايمان بالله تعالى يوفر للانسان كل العناصر الثورية اللازمة، سواء على صعيد الفكر أم على صعيد العمل، ذلك إنَّ الانسان المؤمن على يقين من وجود خط طبيعي انساني تقود الفطرة الانسان فيه نحو مراحله المتعالية، ومطمئن بأنَّ المطلق الذي يرتبط به ليس مطلقاً وهمياً صاغه قصوره الذهني ووعيه الاجتماعي ليكون هذا المطلق الوهمي يوما ما قيداً على تطوّره الحضاري، بل إنّه المطلق الحق المستجمع لكل صفات الكمال، وحينئذ فان المسير اليه متواصل، بل كلما تم القرب منه تعالى ازدادت نعمة الله عليه، فالخطوة اليه يقابلها ميل من العودة الالهية على العبد بالرحمة ـ كما تؤكد ذلك النصوص الكثيرة - فالمسيرة

✁✍✌☜⧫♦▤⬂⬄☜⧠☠ ✁✍✌⬄☜⬆⓿⬆☜⬄

✁✍✌☟☞⬄⧫☝⬄☺⬂⬅◆❑ ✁✍✌☟⬄⬄☜⧠☟⬅

③♦❷⬀▫♦➔⬉❍⬅⬄☟ [1].

ومن الطبيعي أنّ الاعتقاد بالوحدانيـة الالهيـة، وأنّ الجميـع بالنسـبة الـى الله تعالى على حد سواء، وأنّ الخلق يستهدف كله هـدفا واحـدا، ويحمـل مسـؤولية واحدة؛ من الطبيعي أن يترك هـذا الاعتقـاد علـى حركـة المـؤمن أكبـر شـعور بالشمول الانساني في الهدف من تحركه.

وبالمستوى نفسه يترك الايمان بالله أثره على العمل الثوري ليعـود المـؤمن حركية ثورية واعية في اطار مسيرة يعلم منطلقها ويبصر هدفها (تماما كعملية السعي الرمزية في فريضة الحج الكبرى)، فهو ينطلق اولا مـن مركـز وجـوده الفـردي (الـروح) و(الـنفس) فيغيّـره التغييـر الشـامل، ثـم ينطلـق الـى السـاحة الاجتماعية لا مغيّرافحسب بل يقف في طليعة المغيّرين (واجعلنا للمتّقين اماماً) متّجهاً الى مركز الباطل، ضارباً إيّاه، معيرا الله جمجمته، عالماً أنّ النصـر مـن عنـد الله يؤتيـه مـن يشـاء مـن عبـاده، مطمئنـاً مـن حسـن النتيجـة فهـي احـدى الحسنيين (النصر او الشهادة)، مقتحماً كل العقبات والآلهة الوهميـة مـن المـال والولد والمقام، مضحّياً بالمصالح الذاتية في سبيل المجتمـع والمصـالح العامـة، شاعراً كل الشعور بالمسؤولية الداخلية (بينه وبين ربّـه)، منسـجماً مـع توجّهـه الفطري كل الانسجام في خدمة الانسانية دائماً وأبداً.

وبهذا يتحول الانسان المؤمن الى ثـوري بكـل معنـى الكلمـة: رؤيـة فطريـة واضـحة، وشـمول فـي الرؤيـة يتجـاوز الـذات الضـيقة، وسـعي تغييـري ذاتـي واجتماعي يركّز على صميم المشكلة دون أن يتناسـى أطرافهـا، ويأخـذ الواقـع بعين الاعتبار بالرغم من علوّه عليه وسعيه لتغييره الى الوضع الأفضل.

---

١) فاطر، ١٠.

أسس الثورية الوهمية أو الناقصة:

والذي نعتقده أنّ البشرية جرّت جرّاً الى ثورية مادية دون أن تشعر في أغلب الأحيان بأنّها طريق مسدودة لاتنقذ صاحبها من سجنه، ذلك أنَّها من جهة وجدت نفسها- كموجود مكرم - تعيش في اقصى درجات الذل والمهانة والاستعباد والاستغلال، تنهشها ذئاب تنتمي لفصيلتها، وتشرب دماءها وحوش لا تسمى بشراً فحسب بل تعتبر نفسها مثل الانسانية السامية وتنظر للآخرين أناساً عبيداً وهمجاً رعاعاً ودهماء لاتريد إلّا العلف والعنف. نعم وجدت البشرية نفسها كذلك، في حين كانت تستصرخها طاقات الخير والعدل الكامنة في أعماقها وتستحثها نحو النور.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان المسؤولين أو القيمين على الشؤون الدينية كانوا قد تحولوا - وخصوصا في اوروبا - الى حاشية في بلاط السلطان وأداة بيد الملوك الاقطاعيين الى الحد الذي صرخ فيه أحد الثوار بأنّ عليه أن يشنق آخر قسيس بأمعاء آخر ملك! وغرقوا في الخرافة، الامر الذي لم يدع للجماهير فرصة التفكير بالخلاص عن طريق الدين، وهو في الواقع طريق الخلاص الحقيقي.

وهنا كانت الفرصة سانحة لبعض أصحاب الدعوات المادية لطرح دعاواهم والمتاجرة التاريخية بشعارات الثورة والعدالة والانسانية، ممّا ظن معه المحرومون أنَّ الخلاص يكمن في هذه المادية، بل ظن بعضهم أنَّ المادية تعني الخلاص، وأنَّ الايمان يعني الرضوخ للظلم والاستعباد. وكانت الردة العظيمة، وانتفخت الأوداج المادية، وتصوّرت البشرية أنها ستصل الى الجنة الشيوعية الموهومة أو الفردوس الرأسمالي الحر الكاذب خلال سنوات.

ولكن سرعان ما انكشف الوميض عن نار لاهبة أحرقت الاخضر واليابس، والفيت قطعان الغرب لاهثة تسعى نحو ملجأ وملاذ.

أمّا الاسس التي طرحتها المادية للحركات التحررية فيمكن أن نجعل من

أهمها: الوطنية الجغرافية، القومية العرقية، المصالح المشتركة، التاريخ، وغير ذلك.

وعلى الرغم من أنّ كلاًّ من هذه الأسس يمتلك قدرة نسبية على التجميع والتحريك العاطفي، وربما التحريك التعصبي الوهمي، إلّا أنَّها:

أ: لايمكن أن تشكّل أي منبع لتلك النظرية الثورية ذات الروح الفطرية والشمول، أو لذلك العمل الثوري بأبعاده المذكورة آنفاً؛ وبالتالي فهي تفقد الدوام الثوري المطلوب، اذ سرعان ما تتحول الى حركات شخصية أومصلحية تستغلّ لصالح هذا المعسكر المستعمر أو ذاك، فتنفّذ أغراضا امبريالية ولكن بصيغة ثورية، وهذا ما قد ينطبق على الاحزاب القومية ضيقة الأفق - مثلاً - في عالمنا الاسلامي.

ب: لاتملك ما يضمن تحقيق مسيرة حضارية صاعدة ثورية ومتقدمة، فهي تربط الانسان بآلهة وهمية مزيفة جرّدها الانسان - نفسه - من نسبيتها وأضفى عليها صفة الاطلاق وراح يعبدها ويجعلها معياراً لمسيرته، وحينئذ فسوف تشكل - بلاريب - قيداً على المسيرة بعد ان كانت وليدة ظرف خاص.

كما أنّها لاتستطيع أن تحقق عنصر المسؤولية الداخلية وتدفع للتضحية بمصالحة الذاتية في سبيل المصالح العليا، وهو شرط القدرة على التغيير الثوري الشامل. وخلاصة الامر؛ انها لاتستطيع ان تمنح الانسان تغييراً روحياً ضرورياً للقيام بدوره الحضاري المطلوب.

ج -كثيراً ما تؤدي الى التمزيق بدلاً من التوحيد والتحشيد، ذلك لأن هذه الأسس الموهومة كثيرة المصاديق ومتعدّدة الاتجاهات ومتكثّرة في التعريف، ومتناقضة في أحيان أخرى، خصوصاً إذا لاحظنا أساس المصالح المشتركة، فإنَّه بعد التأمل لايبقى لنا أساس يركن اليه الجميع فيكتلهم للثورة، على أنّها اهداف وضعية سرعان ما ينتبه الوجدان والفطرة اليقظان الى تفاهتها وسخفها، الأمر الذي يدفع الانسان للتخلي عن تحركه الثوري وربما في منتصف الطريق.

ويشتدّ هذا التناقض اذا أريد لهذه الأسس أن تصنع جيلاً ثورياً في عالمنا

الاسلامي بعد ملاحظة تنافيها الواضح مع أسس العقيدة والنظام الاسلامي، الأمر الذي يدع المقاتل الثوري قلقا بين ما يؤمن به بشكل أولي، وما عليه أن يفعله وهو ينتمي الى هذه الحركة غير الاسلامية.

ومن هنا نفسّر ما جاء في البيان الصادر عن المؤتمرالقطري التاسع لحزب البعث العراقي المنعقد في بغداد في حزيران ١٩٨٢ من توجيه نقد لاذع لبعض البعثيين العراقيين الذين تصوروا إمكان الجمع بين انتمائهم للاسلام وانتمائهم لحزب البعث (العربي الاشتراكي) فراحوا يمارسون بعض الطقوس الدينية، الأمر الذي عرضهم لهذا النقد اللاذع، حيث قال البيان المذكور آنفاً بالحرف الواحد:

(ان انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب ونشأ جدل بين الحزبيين حولها وصار بعضهم في حالة من الحيرة ازاء هذه المسألة.

هل على الحزبي لكي يكون بعثياً جيداً ان يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة؟) ثم يضيف: (وقبل ذلك علينا أن نتساءل: اذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلا اخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلا لحل المسائل الجوهرية في الحياة فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي؟!)

الرأي القرآني الفصل:

ومهما كان موقفنا من الحياة فإنّ أحداً لايشك في أنَّ الانبياء (عليهم السلام) كانوا قادة تحركات حضارية كبرى تركت أكبر الآثار الثورية على حياة الانسانية. هؤلاء الأنبياء كانوا يركّزون في دعواتهم على محورين أساسين هما: (عبادة الله، واجتناب الطاغوت) وذلك وفقاً للآية الشريفة:

⌨■□✌↑🕮 ⇗♏✍→🗎 ❼✍× ✍◆☪⇗✙⌂➔♦✍ ⇳⑨•☽•♑◆❒⁂

[illegible] [1].

أما الالحاد أو الشرك فلا يمكن معهما تحقيق التحرك المطلوب والعمل النـــــــافع ﴿[illegible]﴾ [2].

ويقـول تعـالى فـي سـورة العصـر: ﴿[illegible]﴾ [3].

فهم وحدهم القادرون على تحقيق النجاح على المدى الانساني.

ولسنا بصدد بيان نظرية العمل الثوري في القرآن الكريم بقدر ما نريد التاكيد على أنّه يركّز على ضرورة عنصر الإيمان في كل عمل تغييري ثوري تماماً كما يركّز على أنَّ المؤمنين والانبياء عبر التاريخ كانوا في طليعة الثّوار صلابة وطهارة وعملاً على التغيير الشامل.

يقـول القـرآن بهـذا الصـدد: ﴿[illegible]

---

١) النحل، ٣٦.

٢) النور، ٣٩ .

٣) العصر، ١ - ٣.

[illegible] [1] .

ويقــول: [illegible] [2] .

ويقـــــول تعـــــــالى: [illegible] [3] .

ويقـول أيضـا: [illegible] [4] .

فالهدفية والإيمان هما إطار العمل الثوري في التصور القرآني.

اللاموضوعية

يجد المرء ظاهرتين غريبتين في مجال من يعطون رأي الاسلام في مسألة أو موضوع من المواضيع. ولئن عبّرت إحدى هاتين الظاهرتين عن جهل وتعالٍ على الواقع فإن الاخرى تعبّر حتما عن عدم التفات للعواقب السيئة التي

---

١) القصص، ٥ و ٦.

٢) آل عمران، ١٤٦.

٣) السجدة، ٢٤.

٤) الصف، ٤.

تترتب عليها.

أما (الظاهرة الأولى) فهي ما نطالعه أحيانا في بعض الصحف والمجلات واسعة الانتشار وحتى ما نلاحظه في أماكن التجمّع العامة من قيام بعض الكتّاب البعيدين عن الاطّلاع على الأحكام الاسلامية ومصادرها التشريعية، قيامهم باعطاء رأي في بعض القضايا ناسبين ذلك الرأي للاسلام، ومستشهدين برواية (أو روايتين) مدّعين أنّها تدل على المقصود .. ولقد استشرى هذا الداء حتى رأينا بعض الخارجين على العرف الديني من أمثال اصحاب المجلات الخلاعية يحاولون أن يعطوا رأي الاسلام للناس! وأخيراً فقد طالعنا بعض الآراء البعيدة عن روح الاسلام والتي أبداها بعض الرياضيين المشهورين أو بعض الحكام العسكريين البعيدين عن عالم الفتوى والتشريع!! وكلٌّ منهم يصرعلى أنَّ هذا هو رأي الاسلام الذي يجب أن يطبق..

وحتى بلغ الأمر ـ وشرّ البلية ما يضحك ـ أنَّ أحد رؤساء الولايات المتحدة الأميركية هو الآخر أدلى بدلوه، وصار يصنف المسلمين، بل ويعلن أنَّ هذا الأمر ـ مثلاً ـ يتطابق مع الاسلام أو لا!!!

والمفارقة العجيبة هي أنَّ الذين أشرنا اليهم آنفاً ينادون بالتخصص وفصل الدين عن المجالات الاخرى سياسية كانت واقتصادية، ويعترضون على تدخل العلماء في شؤون السياسة وغيرها، ولكنهم سياسيين كانوا أو عسكريين يسمحون لأنفسهم باعطاء الآراء والتدخل في شؤون الدين.

وعندما يعترض على أمثال هؤلاء بأنَّهم ليسوا بأهل لذلك، يتعللون بحجة أنَّه ليس الدين وقفاً على احد وأن الاسلام جاء لجميع الناس، وأنه ليس في الاسلام طبقة خاصة تدعى برجال الدين وما الى ذلك.

والموقف من هذه الفئة واضح للواعين، ويجب أن يكون واضحا للجميع وألّا فالخطر الشديد يهدّد مصيرنا ويدفعنا الى تصوّر اسلام لا يمتّ الى الواقع بصلة.

إنّنا نقول: نعم ليس الدين وقفاً على أحد، وكذلك فانه ليس في الاسلام طبقة خاصة تدعى بـ(رجال الدين) كما هو الامر في المسيحية الكنسية، كل ذلك صحيح، ولكن أين هي الموضوعية؟

أليست الموضوعية تقتضي منا أن نقوم ـ قبل إصدار أي حكم أو التعبير عن أي رأي من آراء الاسلام العظيم ـ بمعرفة مصادر التشريع والاطلاع على اسلوب الشارع والتفقه في النواحي الدينية ومعرفة كل ما يتوقف عليه الاستنباط، وذلك ليس بالأمر السهل الهيّن خصوصا ونحن نبتعد عن عصر التشريع بقرون، ومع هذا فلن يستطيع أحد أن ينكر أنَّ مقام اصدار الرأي يتطلّب مستوىً رفيعاً وخبرة تخصّصية، وملكة وقدرة على استنباط الرأي الاسلامي وتحديد نوعيته، وهذه الملكة لاتتوفر طبعاً لأيٍّ كان.

إنّ أولئك الذين يقومون بهذا يكشفون عن جهلهم وتعاليهم عن الواقع بعملهم هذا إن لم نقل أنّهم يكشفون عن لامبالاة بالدين واستهتار بأحكامه، وانحراف عقائدي ـ بالتالي ـ عن خطه المستقيم.

و(الظاهرة الغريبة الاخرى) التي نعتبرها أحيانا أخطر من سابقتها ـ وذلك لأنها متفشّية بين من يفترض فيهم أن يكونوا الفئة المتخصصة في هذا المجال ـ هي مانشاهده كثيراً من قيام بعض من تسنّموا مقام الفتوى، أو أشرفوا على البرامج الدينية في بعض الاذاعات أو المجالات الدينية وغيرها، قيامهم بإصدار الآراء السريعة السطحية محتجين بآية أو برواية أو بروايتين، ومن ثمّ فهم يحكمون في القضايا التي قد يتوقف عليها مصير قطاع كبير من الأمّة؛ فكم رأينا من هؤلاء من يحكم بأنَّ العمل الفلاني شرك، والاخر كفر، والثالث انحراف عن طريق الحق، استناداً لرواية تعارضها روايات اخرى، ولربما كانت الروايات المعارضة أقوى منها ومقدّمة عليها؟!

وكم رأينا ممّن دعوا الى آراء غريبة عن روح الاسلام كمسألة تحليل الربا القليل، ومسألة تجوّل المرأة مع زوجها في النوادي، والأهم من ذلك مسألة الحكم في الاسلام، استناداً الى رواية أومقطع من آية كريمة لم يلاحظ فيه ما اقترن به؟!

وكم رأينا ممّن قالوا بآراء عقائدية شاذة قد تشكل طعنا في أقدس شخصية اسلامية وذلك بالاستناد الى مثل رواية (الغرانيق العلى).

وكم رأينا من أمثال من يستدل لكون الاسلام اشتراكيا بالحديث الشريف الذي يتضمّن أن الناس شركة في الماء والنار والكلأ - وكفى!!

ولانريد أن نتعدى عن هذا المجال الى المجال التاريخي لنعرض طرفاً من التشويه الذي حصل نتيجة لهذا التسامح المقيت في تقبّل الروايات التاريخية. وكذلك لانريد التعدّي الى أولئك الذين يعتبرون مجرد وجود رواية من نوع ما في كتب فريق من المسلمين دليلاً على كفرهم ومروقهم أو على الأقل دليلاً على تبنّي ذلك الفريق لفكرة الرواية عموماً!!

هذا في حين أنّهم يعلمون جيداً أن الأمر ليس بهذه السهولة، فالاخبار - مثلا - لايمكن الاستناد إليها الاّ بعد قطع مراحل دقيقة، وذلك بالتدقيق في سند الحديث وفي متنه ودلالته، ثم ملاحظة مايمكن أن يعارضه من أحاديث أخرى، أو اجماعات أو غير ذلك ممّا يمكن أن يشكل قرينة على خلاف الظاهر منه، الى ماهنالك من أمور يجب أن تتوفر حتى يمكن الاستناد الى الحديث في إعطاء حكم الله. وقل مثل ذلك في مجال الاستناد الى أي مصدر تشريعي آخر.

ولربما يعترض علينا معترض بأنّكم تسدون بهذا باب الاستشهاد بالآيات القرآنية والروايات الشريفة في كل المجالات. ولكننا نقول: بأنّنا ندعو الى التفريق بين مجالين، مجال إصدار الفتوى والرأي، ومجال البحث والتحليل والتمحيص بحثاً عن الحكم الواقعي:

فيجب أن يخلو المجال الأول من الاستشهاد إلّا في حالات يتأكّد فيها المفتي من وضوح الدلالة فيها للأغلبية وعدم وجود المعارض، وهي حالات نادرة خصوصا إذا لاحظنا التغيير الطارئ على المفاهيم يوماً بعد يوم، ولاحظنا كثرة التخصيص والتعارض الحاصل في الروايات نتيجة عوامل كثيرة لامجال لعرضها.

أمّا مجال البحث والتحليل والتمحيص فهو المحل الذي يتمّ فيه الاستناد

والاستشـهاد والـذي يتعـرض فيـه الباحـث الـى كـل جوانـب الموضـوع وهـو المطلوب، ولكن هذا المجال الاخير ليس مجالا عاما يمكن أن تؤلـف فيـه كتـب للجميع، وإنَّما هو للطبقة التي هي في مستوى فهم تلك البحوث وتمحيصها.

هذا واننا نذكّر السادة المفتين بأنّ ذكر بعض الروايـات يفـتح مجـالاً واسـعاً لاجتهادات سطحية من قبل من هم بعيدون عن هذا العالم، وذلك يجرّ ـ بالتالي ـ الى خلط فـي المفـاهيم لا تحمـد عقبـاه، وقـد تتجـاوز آثـاره ماذكرنـا مـن آثـار للظاهرة الأولى.

والخلاصة: هي أنّنا ندعو الى ملاحظة النقاط التالية:

أ - يجب أن تنحصر صلاحية الفتوى في الامور الدينية بالاخصائيين الـذين بلغوا مرتبة رفيعة تؤهلهم لملاحظة كل الجوانب في أي موضوع معروف. ويا حبذا لو قامت المجامع الدينية العالمية لتناقش وتحلل ومن ثم لتعطي رأيها بعد القطع به، وذلك لكي نتجنّب بعض الاجتهادات الفردية المنعزلة.

ب - يجب أن نتجنب قدر الامكان مسألة الاستشهاد بالمصدر التشريعي فـي مقام الفتوى إلّا إذا تأكّدنا بشـكل لايقبـل المناقشـة مـن وضـوح الدلالـة وصـحة الاستناد وعدم وجود المعارض.

ج - يجب أن نعمل بكل جد واخلاص على إشاعة الحقيقة التالية:

(كن على مستوى الحكم ثم أحكم).

وهذا المعنى لا ينحصر في الشؤون الدينية بل يعم كـل المجـالات الحياتيـة وله آثار - ايجابا أو سلباً - على المجتمع.

الافراط في التأثر داء وبيل

أرتأينا في هذا الظرف الذي تمرّ فيه أمتنا بمرحلة حساسة جداً مـن مراحـل مسيرتها الطويلة، أن نشـير الـى مسـألة حياتيـة تمـسّ أمتنـا فـي الصـميم وهـي (مسـألة إلافـراط فـي التـأثّر) كـداء عضـال مـازال ينخـر فـي التيـار العـام مـن

جماهير هذه الأمّة المسلمة.

ونقصد بمسألة الإفراط في التأثّر هذا الانعطاف الشديد نحو ما يجري في بلاد الغير من أحداث، وهذه السطحية في النظرة والتي تعتبر أيّة بادرة تصدر من الغير فتحاً مبيناً وبرهاناً ناصعاً على تحرّك الضمير الانساني عنده، واتخاذه لموقف مبدئي يبتني على أساس العدالة والحق، كل هذا من دون أن نجشم أنفسنا عناء البحث عن خلفيات هذه البادرة ومدى استقامتها.

ومن تطبيقات مسألة الافراط في التأثّر في مجال العلائق الدولية حالة الوحشية المخيفة، أو الابتهاج الساذج، اللذين ينتابان الكثير ممّن يواكبون الأحداث العالمية ويعايشونها حينما يشاهدون تغييراً يحدث في هذه الدولة الأجنبية أو تلك على مستوى الأفراد أوالأنظمة، ويتّخذ هذا التغيير أبعاداً واسعة التاثير في نفوس الأفراد ويمنحونه من الاهتمام أكثر ممّا يجب وفق ما يستحق.

ونجد تطبيقاته كذلك في مجال السلوك متمثلاً في هذه القابلية الشديدة للتاثر بأية (موضة) جديدة مهما كانت غريبة مادامت قد وصلت من بلاد الضباب.

وهكذا تتأثر الحياة اليومية للجماهير في طريقة المسكن أو الملبس أوالعادات الاجتماعية، وتتغير تبعاً لما يحدث هناك من تغيير وفي هذا ما فيه من فقدان الشخصية وذوبأنّها، وضعفها وتبعيتها.

وقد يتعدى الافراط في التاثر جانب السلوك والمواقف العملية الى المجالات العلمية والفكرية، وهذا ما يبدو ظاهراً ـ ومع شديد الاسف ـ عند الكثير من كتـّابنا وباحثينا، اذ يفترضون المراجع الاجنبية ـ كمؤلفات المستشرقين ـ مصادر رئيسية للبحث عن تأريخنا وحضارتنا بل وحتى عن رسالتنا نفسها ومعالمها العامة، مع كل ما هو معروف من الأهداف المشبوهة لحركة الاستشراق الظالمة ومنابتها الأولى.

وكأن تقليد هؤلاء الكتاب للمستشرقين في منهج بحثهم وطرق استدلالهم

والتشكيك في كثير من المسلمات والبديهيات يعتبر شهادة ناصعة على تقدّميتهم وتجدّدهم وتحرّرهم من القديم ومخلفاته. ولابدّ من التنويه أنَّ هذا الحكم على كتابات المستشرقين إنّما يتوجه للأكثرية منهم حيث لا نعدم بعض الأقلام التي تتسم بقدر من الموضوعية والانصاف.

وبعد أن قمنا بعرض هذه النماذج وفي شتّى المجالات، نعود لنؤكد أنّنا في موقفنا هذا لا ندعو الى الانعزالية عن الأحداث العالمية أو ما يستجدّ في البلاد الاخرى مما لاينافي شريعتنا ومفاهيمنا أو عدم الاستفادة من جهود الآخرين وأبحاثهم.

إذ أنّنا نرى - وذلك من صميم عقيدتنا - أنَّ علينا أن نتلقّف الحكمة من أي مصدر كانت، وان نطلب المعارف والعلوم ولو كانت في الصين. وكذلك نعتقد أنّ على المسلم أن يعايش الأحداث ولاينفصل عنها، وإنما يجب أن يسعها بصدره الواسع وقلبه الكبير ليستثمرها في خدمة رسالته المقدسة التي لاتنحصر بمكان ولاتقتصر على شعب ولاتتفرد بها أمة، وبهذا فاننا في موقعنا هذا إنما ندعو الى أن يكون للفرد المسلم والأمّة المسلمة موقف الشاهد والمؤثر لا التابع المتأثّر قبل أي شي، ولايمنع هذا من التأثر الواعي والتفاعل المثمر.

وقد حبانا الله تعالى من الامكانيات ورزقنا من الثروات ما يؤهلنا لاحتلال هذا المركز القيادي في العالم، فهناك أولاً تلك العقيدة الفعّالة التي اشتملت على كل عناصر القوة والبقاء، وعندنا كذلك هذا الموقع الاستراتيجي الذي لامثيل له في العالم، فالبلاد الاسلامية تتوزع على قارتي آسيا وافريقيا وتتحكم في الكثير من الطرق البحرية والجوية المهمة، وبعبارة جامعة فإنَّها تتحكم في عصب التجارة العالمية وشريانها.

واما الثروات الطبيعية فحدّث عنها ولا حرج، ويمكن أن نكتفي بذكر الذهب الاسود (النفط) الذي نملك أكبر احتياطي منه في العالم، والذي برهن على قوة فاعليته في الآونة الاخيرة وكيف بدأت الدول من كبراها الى صغراها تطرق أبواب البلدان الاسلامية، مدركة اهميته بعد ان لم تكن تقيم لنا وزناً في مجال

العلائق والاحداث الدولية.

وأخيرا فإنّنا نرى أن ليس أمامنا للخلاص من الداء الوبيل - داء الإفراط في التأثّر - إلّا أن تقوم حملة فكرية واعية يرعاها مفكرون وعوا المشكلة والداء ونذروا أنفسهم لتخليص جسم الأمّة منه. إنَّ واجب المفكرين اليوم هو تحسيس هذه الأمّة بأنّها هي ربّان سفينة الحياة الحرة الكريمة في العالم المتلاطم بأمواج الانحراف، وبهذا ينفض الغبارالذي تجمع من قرون وقرون عاشتها الأمّة القائدة بعيدة عن مركز المسؤولية والقيادة.

فلنتّجه جميعا الى الاسلام ننهل من نميره العذب ونستمدّ من مفاهيمه المشرقة زاداً ونوراً في هذه المسيرة المقدسة، فإنّ الاسلام يركّز على تربية الارادة الحية المدركة في النفوس والتقبل الناقد لكل الامور صغيرها وكبيرها تعبيراً عن واقعيته الأصلية، ولزوم التلاقي بين أفراد الانسان على مختلف الصعد وتلاحم الجهود في السير نحو الهدف المنشود. وها هي نصوص القرآن الكريم والسنة المطهّرة تشتمل بين طياتها على أروع التعاليم في مجال اعطاء الأمّة شخصيتها القوية المتميزة، فتفترض فيها أن تكون الأمّة الشاهدة على الناس ، والأمّة الوسط، المترابطة في مابينها، والمتكافلة اجتماعياً، والواعية لكل الاحداث.

التقدُّمية المزيّفة

أصبحنا - وياللأسف - نجد أنَّ من المتعارف في منطقتنا الاسلامية بالاضافة إلى المناطق الاخرى، تصنيف الايديولوجيات الى يمينية ويسارية، ثم تصنيف اليمين الى ايديولوجيات انعزالية واستعمارية وأخرى رجعية، ولاتحظى الايديولوجية الدينية إلّا بآخر رتبة من القائمة الصارمة**!!**

ويمكن أن يعتبر هذا التصنيف أحد الشعارات البراقة الخداعة التي حملها المتاجرون بالشعارات والذين أرادوا امتصاص تطلعات الناس في أمتنا نحو الحرية والعدالة والتقدم وأمثال ذلك.. ليحتلوا هم مركز قيادة تطلعات الجماهير

ويعزلوها عن القيادة الدينية التي شكلت أهم عامل لاستقلالها وامتناعها على الاحتلال بالرغم من ضعف الصلة بين العقيدة التي تقدّسها هذه الجماهير والسلوك العملي لها نتيجة تاريخها الطويلوما أفرزه من عوامل التكاسل والاضمحلال.

وقد ساعدت حالة شبه الانفصال بين العقيدة والعمل، وبين النظرية والواقع التنظيمي، بل وبين النظرية وما يفهم منها على ضيق افقه.. ساعدت كلها على تقبل هذه الشعارات وملء الفراغ الفكري والعاطفي بها مما جرّ الى حالة غريبة، حتى ظننا في بعض اللحظات أنَّ وجودنا نفسه مستعار من قبل طارحي تلك الشعارات البرّاقة! والمفاهيم المتضاربة!

ومن هنا كان من المحتّم علينا - لا كمهاجمين فحسب بل لما تقتضيه طبيعية رسالتنا - أن نقوم بعملية توعية كبرى لتوضيح الخلط الكبير بين المفاهيم وتعيين مدلول كل لفظ بدقة، وموقع هذا المدلول من مسيرة التقدم البشري ومدى انسجامه مع تطلعات الانسان بما هو انسان، وموقع رسالتنا الاسلامية في هذا الزحام من المفاهيم؛ هل تتصف بها أو تحتضنها؟ ام هل ترفضها؟ ام هي حيادية تجاهها لأنها تتفق ومناطق الفراغ في الرسالة؟

فما هي التقدّمية - مثلا - وماهي الرجعية في المقابل؟ وما مقوماتها؟ إنَّ الاجابة عن هذا السؤال تختلف باختلاف النظرة للانسان ولمسيرة تقدّمه، ولذا فلا يمكن أن تحاكم كل إجابة على حدة إلّا بمقدار انسجامها مع المبدأ الذي انطلقت منه.. فاذا أردنا الواقع الموضوعي كانت الموضوعية تقتضينا أن نقارن بين النظريتين من حيث واقعهما أولاً ومن حيث مردوديهما الانسانيين.

وبتعبير آخر فإنّا لا نستطيع أن نصف مسيرة ما بأنّها مسيرة متقدّمة أو مسيرة متراجعة الّا بعد أن نعيّن هدفاً متفقاً عليه يشكل الاقتراب منه تقدّما والابتعاد عنه تراجعاً.. وقد لايكفي تعيين الهدف ليتحقق مفهوما (التقدم والتراجع) نظراً لاختلاف جهات القرب والبعد وتنوع زوايا النظر للمسيرة

وهدفها.. ومن هنا فإنّا نحتاج لتعيين أطر عامة مرنة يكون السير خلالها سيراً على الخط المستقيم الذي هو أضمن الطرق للوصول الى الهدف.

وبمقدار تقدّم الأمّة على الخط يكون انطباق المفهوم عليها أقوى.. وبمقدار إعمالها لكل طاقاتها واستنفاد كل جهدها يكون اتصافها بحب التقدم والتكامل.. هذا بالنسبة للامة.

أمّا بالنسبة للمبدأ المحرك للأمة فبمقدار انسجامه مع هدفه الذي عيّنه وطريقه العام وطاقته الحركية الدافعة يستحق أن يكون مبدأ تقدمياً منسجماً مع نفسه، وبمقدار انسجام هدفه الذي عينه مع الواقع الكوني والانساني يكون مبدأ تقدميا منسجما مع المسيرة الانسانية الحضارية الكبرى.

إنّ الواقع الانساني - كما يوحي به الوجدان الذي لايقهر وكما يؤكده التواجد الغريزي في العمق الانساني - هو التكامل الانساني المطّرد بمختلف أبعاده الجسمية منها والمعنوية، بما يشمل البعد الفكري والأخلاقي والعاطفي. وأمثالها.. فإنّ وجود غرائز (حب الاستطلاع، وحب الكمال، وطلب الارتباط بالمطلق وأمثالها) يؤكد أن الخلقة العامة غرست في وجدان الانسان صورة هدفه الكبير وهو: (التكامل في مختلف المجالات والكشف المتواصل للمجاهيل والارتباط الأوثق بالمطلق)

وكل مبدأ استمدّ هدفه من هذا الواقع كان أقرب الى التقدمية، وكل نظرة أكّدت على المطلق وركّزت صفاته المطلقة وشدّت الناس اليه شداً متواصلا لا وقفة فيه ولاتراجع ولا اهمال طاقات فهو الأكثر تقدمية، وعلى العكس من ذلك يعتبر المبدأ الذي يبتعد بالانسان عن هذا الواقع مبدأ رجعياً، وكلما أوغل في الابتعاد يكون قد أوغل في الرجعية المقيتة.

بهذا المقياس الذي لانظن أنّ أحداً يجانبه إلّا وهو يشعر في قرارة نفسه ببعده عن الحق يجب أن نقيس تقدّمية الرسالات والمبادئ وعدمها.

وبهذا المقياس نستطيع أن نقول إنّ الاسلام هوالمبدأ التقدّمي الأصيل الوحيد

الذي يعيّن هدف التكامل ويصبّه في قالب السير نحو الله ذلك المطلق الحقيقي الذي يبقى فوق كل تكامل، يشدّ اليه المسيرة الانسانية ويحرك فيها كل الطاقات الفعالة، ولن تصل المسيرة يوماً الى نقطة يقف فيها تكاملها في هذه الحياة مادامت منشدة إليه تبتغي أن تصل الى واقعها العبودي الكامل ﴿❒◆♦✌♦☞

⌘◻◼▣☽⇘💣→ ✂☞💻⇘♑⇖♊⭘ ❒◆✂☞"💣☼▪" ☽⊗♦·

🖲♑⭘◆➔⇙⌨⬅⑨⬅❒♌⇗✍﴾ [1] وتسعى بكل جد نحو ذلك المطلق ومعرفته

﴿③♦🕔✵🕯❒③⑩♑◻☞ ✂☞"💣☼○❁🕔♊⬅ ☽⊗☼□⌨◻

✍☒🔔⑩♑◻↘ ☽⊗🖫◼❼🗐 ❻◆✉◼⊗⌨◻ ✍☒⑨⇳◼☯🔔

▫♦☺⬅▣◼🕔☽✍⑩○♑✍﴾ [2].

ولا نتوقع - مع الانشداد بهذا الهدف الكبير - التهاون والتكاسل ،وقد جنّد الاسلام، لإبقاء الروح الدافعة، نظماً تربوية وتوجيهات وتعاليم فكرية رائعة تبقي الانسان المسلم - لو وعاها وتفاعل معها - شعلة وهاجة على طريق العمل في سبيل الله.

هذا، مع إهمال التطبيق الخاطئ للاسلام وآثاره وعدم حساب أي قيمة لأولئك المنتسبين اسماً للاسلام، فإنهم لا يشكّلون خطيئة تنسب الى الاسلام بحال.

إنَّ روح العمل والتوكّل هي السارية في مختلف مجالات التوحيد الاسلامي، فالعمل الجاد يستمد من التوكل - الذي يعني الانشداد بالمطلق - طاقة حركية دائمة دافعة نحو التطوّر والابداع المتواصل.

وهكذا كان الانشداد الكامل بالله ـ المطلق الحقيقي ـ هو الهدف، وكانت تعاليم القرآن والاسلام هي الصراط المستقيم الذي يجب الثبات عليه وعدم الانحراف عنه...

---

١) الذاريات، ٥٧.

٢) الانشقاق، ٦.

فبمقدار التزام الصراط ووعي جوانبه وعدم ادّخار أي جهد في المشي على هديه يكون التقدّم الحثيث:

[illegible] .[1]

[illegible] .[2]

[illegible] .[3]

[illegible] .[4]

[illegible] .[5]

فأي توقف في سبيل الأتجاه الى الله وأي خروج عن الطريق يعتبر مرفوضاً في المنطق الاسلامي: [illegible]

---

١) الانعام، ١٥٣.

٢) هود، ١١٢.

٣) آل عمران، ١٠١.

٤) الملك، ٢٢.

٥) فصلت، ٣٠.

✂👓✇🙰·👓✏✇🙵🙰✓×♦﴿ [1].

أما مدى استقامة هذا الطريق المطروح فهو أمر لـه مجالـه، ويمكـن اثباتـه إجمـالا بملاحظـة الأدلـة القاطعـة، وبمقارنتـه وانسـجامه مـع الهـدف الكبيـر، وتخلصه من نقاط الضعف الموجودة فـي المبـادئ الاخـرى. ويكفيـة فخـراً أنَّـه المبدأ الذي أشبع جوانب الوجود الانسـاني فكـراً ينسـجم مـع الفطـرة، وقـوانين مترابطة تتناول مختلف الجوانب الحياتية وتعالج كل المشاكل أروع علاج.

ومن هنا نعرف

ومن هنا نعرف أن المبادئ التي ابتعدت عن هدف الكمـال المـرتبط بمطلـق حقيقي، والتي شدّت الانسان بالتراب والمادة الخرساء والاقتصاد غير الشاعر، أو الحريـة غيـر المسـؤولة، أو الغريـزة الجامحـة ـ مـن أمثـال الرأسـمالية، والاشتراكية، والوجودية والفرويدية ـ ان هذه المبـادئ أرجعـت الانسـان طفـلا يتعامل مع واقعه المادي وينسى القسم الانساني الأصيل المعنوي فيه.. وان هذه المبـادئ لاتمتلـك أي مسـوغ يـدفع الانسـان للتكامـل الصـحيح، ويضـمن بقـاء المسيرة متكاملة، لأنَّ مطلقاتهـا (الاقتصـاد، الحريـة، الغريـزة.. وأمثالهـا) هـي امور نسبية تصبح قيوداً على المسيرة الحضارية الصحيحة في يوم ما، فهي لا تجيب على سؤال: وماذا بعد أن تتحقّق هذه الأمور؟ وثم هي تخلق الانفتاح في جانب من جوانبها على حساب الجوانب الاخرى، وهذا هو الواقع الذي نشاهده في التمدّن القائم بكلا جناحيه الغربي والشرقي.

التنازلات المبدئية أحد الأدواء المعاصرة

---

١) الحمد، ٦–٧.

كانت نغمة نشازاً تلك التي رددها بعض كتّاب هذا العصر حول الدعوة الى حل الخلافات الفكرية، والاختلافات المتنوعة في وجهات النظر على أساس جذري (!!) عبر الرجوع الى المبادئ وتغييرها(!)

ولئن وجدت هذه الدعوة من يؤيدها - ولو بطرف خفي - فإنّها على الأغلب قد رفضت من قبل الكثيرين، بل الأكثرية الساحقة ممّن تعرّضوا لها بالخصوص أو بطريقة غير مباشرة. لأنها، وبأبسط عبارة، تتعارض - على الأقل - مع الايمان بالمبدأ، أياً كان ذلك المبدأ وأيا كانت الأسباب اتي أدّت الى اعتناقه.

وقد لانعجب لو كانت هذه الدعوة منطلقة من أناس يختارون مبادئهم اعتباطاً، ووفقاً لميولهم الشخصية.. ولكن العجب أن تكون منطلقة من أمة وعت أنّ حياتها في مبدأ معين دون غيره، وأنَّ فطرتها والواقع يركّزان عليه.. فاعتنقته... فأحياها بعد موت، وأيقظها بعد غفوة، وجعلها محور الحضارات بعد أن كانت تركض وراء السراب!!

كان هذا كله على الصعيد الشعوري حيث وجهت هذه الفكرة بالرفض الشامل.

ولكن الذي يدعو الى الأسف أن نشاهد بعض أفراد الأمّة الذين تصدّوا لمراكز حساسة فيها، من قيادة فكرية أو اجتماعية، قد تنازلوا عن قضايا مبدئية بشكل لاشعوري - كما يبدو - حتى عدنا نرى هذا التنازل يتعدّى جانباً أو جانبين ليصبح ظاهرة مرضية خطيرة، تتطلب المزيد من العناية والبحث عن أسبابها وطرق علاجها ومحو مظاهرها.

وعندما نحاول التصدي لمعرفة أسباب هذه الظاهرة الغريبة - خصوصا - على أمتنا تبرز لنا ظواهر أخرى، تشكل بدورها المبررات الموضوعية والعلل الرئيسة لها.

وأبرزها جميعاً انعدام (الوعي الشامل) للشريعة الاسلامية، وعقائدها ونظراتها العامة ونظرياتها الشاملة لكل نواحي الحياة.

وهذه الظاهرة لاتشكّل علة بروز المرض الذي نتحدث عنه فحسب بل هي ـ في الواقع ـ علة العلل في كل مشاكلنا الاجتماعية.

ولقد أثّرت هذه الظاهرة في ايجاد صنفين من المؤمنين، لايرى الاسلام أنّهما ممّن يصح أن يوصف بـ(الايمان).

الأول: صنف المؤمنين المقلدين للآباء والمحيط.

الثاني: صنف ضعاف الإيمان الذين هم في أية لحظة مستعدون للتخلي عن نقاط مبدئية في سبيل خلق التلاؤم بين عقيدتهم والآراء الوافدة.

وقد زاد الطين بلة تلكم النكبات الاجتماعية المريرة التي مرّت بها أمتنا.. فلم تصح إلّا والأعداء يحيطون بها من كل جانب، والغزو بكل أوجهه يحطمها ويفرض عليها نفسه رائداً وبانيا.

وهكذا تهيّأت الارضية الملائمة ـ مع الأسف ـ لبروز ظاهرة التنازلات اللاشعورية على مختلف الصعد.

والذي يهمنا أن نتعرض له هنا ونشير اليه من مظاهر هذه الظاهرة هي بعض تأثيراتها في المواقف الفكرية فيمكننا أن نلمحه بكل سهولة حيناً.. وبشكل معمّق أحيانا أخرى.

فمن الأشياء التي ما عادت بدعاً ـ وهي بدع ـ ما نلاحظه من مؤلفات فكرية كثيرة كلها تركز على أن تلبّس الأفكار الغريبة تماما على الروح الاسلامية لبوساً مبدئياً يجعلها تتجاوز مرحلة قبول الاسلام لها الى مرحلة تبنيها وإشاعتها، في حين أنّها في الواقع تتعارض مع المبادئ الاسلامية معارضة جوهرية، ولا تعني عملية التوفيق بينهما إلّا التنازل عن مقتضيات المبدأ نفسه.

ومن الأمثلة الشائعة في هذا المجال ما نسمعه أحيانا من نغمات «الاشتراكية الاسلامية، والوطنية في الاسلام، والقومية المؤطّرة باطار الاسلام، والديمقراطية في التشريعات الاسلامية».

كما ويمكننا أن نصنّف الى جنبها كل الدراسات التي تحاول أن تنطلق في

دراستها للحياة الفكرية والعملية الاسلامية من منطلق (البحث الاجتماعي) الذي يفسّر كل شيء بعامل اجتماعي، متناسياً كل مبادئه ومسلماتها الأوليّة.. أو أولئك الذين يحاولون أن يبنوا ما يعتقدون على اساس من المنافع المادية التي يمكن تصورها لذلك، تماما كما تقول نظرية (البراجماتزم)، وقد تسمح لنا فرصة أخرى نتعرض فيها بالتفصيل لهذا الجانب وما يعكسه من ظواهر.

وأما المواقف العملية التي نشاهدها اليوم تتكثّر على الساحة الاجتماعية ومجال التعامل مع الأعداء التقليديين للأمة فهي ذات أمثلة كثيرة، نقتصر منها على مثال واحد، لأهميته وارتباطه بمستقبل مصيري لهذه الأمّة. وهذا المثال هو «القضية الفلسطينية» والمواقف المتنوعة منها. والمتتبع لتدرج المواقف من القضية منذ إرهاصات الهجوم اليهودي وحتى اليوم يجد التناقض العجيب بينها أولاً، ويشاهد التنازلات المبدئية الكبرى بعد ذلك.

فلقد كانت مواقف المسلمين من القضية واحدة في البدء، وهي كلها تؤكد أنّ الاسلام لم يقبل مطلقا أن يضام أهله، وأن تسلب ارض هي جزء حبيب من أراضيه، وعلى هذا الاساس فقد قاوم الجميع وتعاون الجميع، وكادوا أن يدفعوا العدوان لولا تدخّل القوى الكبرى الكافرة على اختلافها واحتضانها القضية الصهيونية، ودعمها بكل وسائل الدمار: الفكرية العسكرية، وحلّ الاحتلال واقتطعت الارض، وأصيبت الأمّة بهذه النكبة.

وهنا لم تكف اليد الآثمة عن العمل بل عملت على أن تنسي الأمّة قضيتها هذه وتهونها لديها.. فما قيمة أرض صغيرة أمام كل تلك الصعاب التي يجب أن تواجهها الأمّة في تحريرها أولا؟ ثم ليست هي إلّا قضية تخصّ طائفة من هذه الأمّة، وهنا بدأت التنازلات الغريبة بحصر القضية بالأمّة العربية ثم بدول المنطقة ثم بدول الطوق ثم بالفلسطينيين فقط، وإماتة كل مساهمة فعّالة في مجال مساهمة المجموع الاسلامي في التحرير.

ولئن تجاوزنا عن التنازلات الأخرى - وهي بدورها خطيرة - فإننا نعتبر رفع شعار «الدولة العلمانية» هو المرحلة التالية التي تشكّل تنازلاً خطيراً،

فأنىّ ياترى يمكن أن نسوّغ رفع هذا الشعار في وسط معركة الاسلام والصهيونية الحاقدة، ومن قبل من يعتبرون رأس الرمح في العمل نحو تحرير فلسطين؟ ثم ألا يعتبر رفع هذا الشعار تفريطاً بكل ما يمكن ان تقدّمه الوحدة الاسلامية من عون فعّال في سبيل التحرير الكامل؟!

قد يقول بعض الاشخاص من أصحاب الشعار أنَّه السبيل الوحيد لاقناع اوروبا باننا لانريد أن نلقي اليهود في البحر.. ولكن هذا المنطق بعيد عن الصواب، اذ متى رأت اوروبا المجتمع الاسلامي يلقي أهل الكتاب في البحر.. إنّ اليهود والنصارى عاشوا في كنف المجتمع الاسلامي قرونا وقروناً يتمتعون بحقوق هي فوق الكفاية ماداموا ملتزمين بقوانينه العامة، هذا بالاضافة الى أنَّ رضا الرأي العام الغربي لايعني إلاّ التنازل التام لاغير، وذلك مضمون قوله تعالى: ﴿❒◆•♒︎♋︎•♊︎ ✍︎•❷⬀◻︎⌧◻︎✈︎🗐 ⬉⧫♦︎✡︎⌨︎◻︎ ✂︎⬧︎♋︎♒︎⬂❸◆⬃⬋❑⑩⬅︎ ❒◆•• ✂︎⬧︎♋︎♒︎✡︎◻︎🕐︎✿🕐︎❷⧫❽🗏 ❍◻︎☹︎✹✈︎🗐 ✍︎•☺︎✹⧗⬀⬈◻︎ ✌︎♉︎⬛︎✲☺︎⧫⬃⬋☠︎⬀﴾[1].

اللهم إنَّ هذا تنازل خطير وإن لم يشعر به أهله.

واليوم نجد على الساحة الاسلامية أشباحاً اخرى لتنازلات أعمق وأبعد غوراً من أمثال الشعبين المنفصلين.. وأخيراً الفكرة القائلة بانَّ النزاع إنَّما هو في جوهره اختلاف وجهة النظر بين الدول العربية واسرائيل، ولا دخل للقضية الفلسطينية في البين!

ويجب التنبيه هنا على أنّ مثل هذه التنازلات تعني الاستسلام للأمر الواقع، وهو يحمل في ثناياه ضياع الكثير من ممتلكاتنا، ويتطلّب منا فيما بعد الكثير من التنازلات الأخرى التي يضيق عنها الحصر.

وأخيراً فإننا نذكر الاخوة المسلمين بتعاليم الاسلام الخالدة التي لن تتغير أو تتبدل، وبطريقته التي ستبقى هي الطريق الأمثل لنجاة البشرية، وبأوامر القرآن

---

١) البقرة، ١٢٠.

الحكيم ووعوده بالنصر لو استقمنا على الطريقة﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible] .[1]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .[2]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .[3]

كما ونذكّرهم بأنَّ أي تنازل عن أي جزء من مقتضيات العقيدة يعني في الواقع تنازلاً عنها كلها، وهذا ما يمكن أن نستفيده من إنكار القرآن على من يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه الآخر، وذلك أنَّ العقيدة والنظام الاسلاميين كلٌّ مترابط لايقبل التجزيء.

اللامبالاة في الشخصية الحاضرة

قد يكون الانتقاد الشديد الأكيد الذي يتوجّه الى مجتمعات المدنية الحاضرة متركزاً في عمليات التحلل المتعددة الجوانب.. التحلل من سماع نداء الفطرة..

---

١) الجن، ١٦.

٢) يوسف، ١٠٨.

٣) فصّلت، ٣٠.

التحلل المفرط من كل ما هو انساني واجتماعي.

وهذا العري الاجتماعي والأخلاقي إنّما هو في الحقيقة ظاهرة مرضية نفسية خطيرة لمرض (اللامبالاة) وهي تصيب الشخصية الفردية فيتيه الفرد في دروب انعزالية تارة، وفوضوية أخرى. وتصيب الشخصية الاجتماعية فتسلبها أهم عنصر مقوّم لتماسكها وكينونتها وبقاء إطارها الاجتماعي وهي (الكون بمستوى المسؤولية) حيث لايكون له أي مفهوم عند طروء ذلك المرض الخبيث.

ويمكن أن نمدّ أعيننا الى أية حضارة منحلّة في أي عصر، فنلاحظ أنَّ الأمّة التي كانت تحمل شعلتها كانت متماكسة قوية مادامت روح المسؤولية والتألم، وحمل همّ إبقاء الحضارة روحاً سارية فيها، ولكن ما إن تبدأ تلك الروح بالذوبان حتى يبدأ المؤشر الحضاري بالميل نحو علائم السقوط.. فيمكننا - والحال هذه - أن نؤرخ للنموّ الحضاري في الأمّة بمسيرة نموّ الشعور بالمسؤولية وتعاظمه، حيث ينتفي موضوع اللامبالاة نتيجة للوعي العام.

في حين نلاحظ الانحسار الحضاري التدريجي يتبع عمليات نقصان الشعور بالمسؤولية وتعاظم مرض اللامبالاة في الفرد والمجتمع .. ويكفينا أن نلاحظ انطلاق المسيرة الاسلامية الظافرة من مهدها الأول.. وكيف كانت نتيجة الوعي الأقصى في الرسول الكريم ان حمّلته السماء مسؤولية تربية البشرية وإيصالها الى نهاية مطافها الذي أراده الله لها.. وكذلك كيف كانت الانتصارات ـ تلو الانتصارات ـ تتبع تركّز شعور المسلمين الأوائل بالمسؤولية التي تجاوزت مسؤولية فرد أو قطر أو امة، فبلغت إلى مسؤولية عالمية وهم إنساني يتجاوز حتى حدوده الزمانية.. ليركّز نظرة المجتمع الاسلامي الأول على «أليوم الموعود» الذي يكون الدين كله لله فيه.

وهكذا يمكننا أن نتابع بعد ذلك الهبوط الحضاري الذي أصاب الأمّة نتيجة لدخول عنصر اللامبالاة بالعقيدة أو بمقتضياتها وترك الأمور على عواهنها،

وانشغالها بامور توافه جانبية، وأهداف مادية رخيصة.. ممّا أورثها الانحلال والضياع، وأفقدها حتى أرضها كما في تجربة الاندلس.. وانتهت الى مانراه اليوم من وضع لا يطاق تحمله.

ترى هل نستطيع أن نوفق - ولو في مرحلة الخيال - بين المسؤوليات الجليلة الملقاة على عاتق الفرد والأمّة من جهة، وهذه «اللامبالاة» التي نلاحظها متفشية في كل تصوراتنا ومجالات حياتنا الفردية والاجتماعية - من جهة أخرى - حتى عادت بعض صور المسؤولية التي حملها الينا التاريخ في مجتمع صدر الاسلام، عادت خيالاً وحلماً، وهي واقع طبيعي في الأصل، وذلك يتضح في أمثال قول أمير المؤمنين علي×:

«ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له في القرص ولاعهد له بالشبع.. أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى.. أأقنع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر.. أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة، همّها علفها»[١]

إنّ المسلم والإعلام الاسلامي اليوم على الرغم من إيمانه بالاسلام ومسؤولياته الجسام ليعيش حالة قلق في مجال التوفيق بين هذه المقتضيات وأعراض هذا المرض الخبيث «اللامبالاة»، وقد يكون قد توصّل الى توفيق خيالي بينهما جاء به كمسوّغ، نتيجة لانحراف بعض المفاهيم الاسلامية في ذهنه كالزهد والقناعة والصبر عن مدلولاتها الأصيلة، ونتيجة لتهويلات وأباطيل المرجفين الذين صاغوا صيغاً شوهاء لهذا التوفيق من جهة، وقصروا أنظار كل قطعة من أجزاء المجتمع الاسلامي على ظروفها البيئوية فحسب.

... هذا هو المرض.. فكيف العلاج؟!

والحقيقة .. أنَّ مثل هذه الامور لن يستطيع أن يعالجها مقال أو كتاب.. كما

---

١) نهج البلاغة - تحقيق صبحي الصالح، ص ٤١٨.

يجب أن لا نتوقع اعجازا سماويا جديداً بعد ان توضّحت مسالك الرشاد والانحـــــــــــراف﴿⍾⬩⑨✋ ✍☐⌛⧫✓☐×⧫ ✂✍✍⑊❷❾⅄⇮⑨← ✌ℰ♊⌘ ✂✍✍⑊☜⇗⇗☒♋♍✤﴾[1].. ولذا فإنَّ مشروع علاج الأمّة من هذا الداء يجب أن يستمده الجهاز التربوي والاعلامي في المجتمع من الاسلوب الاسلامي في علاج حالة الموت الحضاري بمفهومه الصحيح والتي كانت سائدة في مجتمع ماقبل الاسلام.

إنّنا لو تابعنا ذلك العلاج الإلهي لأمكننا أن نلخصه بأمور ثلاثة (الإيمان.. الوعي.. العمل ألمجسّد لهما).

فلقد كانت خطوات الرسول الأعظم’ الأولى تركّز على مسألة خُلق المؤمن، وتغيير النظرة الى الكون، وتحديد مركز الانسان كمخلوق يقف إلى صف كل أجزاء الكون المخلوقة في مجال الاحتياج للخالق الرازق الواحد المهيمن.. (قولوا لا اله الا الله تفلحوا).. وكان التركيز شديداً حتى عاد الانسان المسلم الأوّل يحسّ إحساساً عميقاً بهذه الرابطة بينه وبين خالقه فهانت في نظره كل الالهة المصطنعة.

كان الوعي الذي غرسه الرسول في النفوس المؤمنة، وعي مقتضيات الإيمان بالله والرسول العظيم والاسلام.. وعي خلافة الانسان المسلم للأرض .. وعي كون الأمّة المسلمة الطليعة الحضارية لكل أمم الأرض.. وعي العمل لانقاذ الأرض من براثن الظلم والإلحاد والضياع، وعي دخول آخر مرحلة من مراحل التكامل الانساني والعمل على إيصال القافلة البشرية الى الغاية، كان ذلك الوعي هو الذي رسم على جبين الانسانية أروع صور التلاحم والتماسك، وهو الذي أذن للمؤشر الحضاري أن يبدأ خطه التصاعدي، فغيّر وجه العالم الكئيب، خلال فترة لاتعدّ شيئاً في عمر الانسان، الى وجه مشرق مليء بكل الصفات الانسانية الحية.

---

١) البقرة، ٢٥٦.

وجاءت مرحلة العمل، فعمل الاسلام على أن يخصّص شطراً من سلوك الانسان، فيوجّهه فيها بتوجيهات اسمها (العبادات) محاولاً فيها ـ أروع محاولة ـ أن تكون المناخ الملائم لتجسيد ذلك الإيمان والوعي، وكذلك التصميم والعزم والتزوّد من الطاقات الخيرة، والتخطيط للعمل الانساني العام في مختلف الحقول.

وهكذا كان الدور التركيزي العملي للعبادات يواكب نمو الإيمان والوعي. ويذكّر بدرجتهما في الانسان.. فكان المسلم حينما يقف للصلاة يشعر ـ بعمق ـ بحرارة الإيمان الواعي، وبروعة الصلة بينه وبين خالقه، ويحاول أن يجسّد هذه العلاقة تجسيداً حينما يقول في صلاته: «اياك نعبد واياك نستعين» أو (سبحان ربي العظيم وبحمده).. بما لايمكن للقلم هنا أن يستوعب جوانبه.

وهكذا كان الأمر في عملية الصوم الرائعة التي استهدفت ضمن الاطار العام للعبادات تركيز الإيمان بالله ـ من جهة ـ حيث تتحول العلاقة بين الصائم وربّه الى علاقة مراقبة ورحمة في كل آن، إذ يشعر أنَّه في ضيافته الخاصة التي تعبّر عن الضيافة العامة وهي حياته ضمن عطاء الله العام. واستهدفت عبادة الصوم تركيز الوعي، إذ أشعرته بمقتضيات إيمانه وإسلامه ولزوم الائتمار بها، وحملها والعمل بها، والقضاء على كل المشتهيات التي تعوق تطبيقها.. وامتلاك الارادة الواعية المؤمنة في أي مجال من مجالات العمل العام.

إنّنا هنا لن نستطيع أن نستعرض الدور الفعّال للعبادات بصورة عامة في هذا المجال، ولكننا نريد أن نذكر بأنّ العطاء العبادي كان فعالاً ـ حينما كانت العبادة تلامس روح الانسان وتنفذ الى أعماقه وتتفاعل مع وعيه.

فإلى رجال التربية الاسلامية، وإلى رجال الإعلام الاسلامي، والى كل فرد مؤمن متحسّس بقضيته نوجّه هذه الدعوة المخلصة، لنقوم جميعا بعملية تركيز الايمان في الأمة بمبادئها أولاً، ثم توضيح مقتضيات ذلك الإيمان وأبعاده الحقيقية الخالصة من أي شوب.. وبالتالي تحسيس الأمّة ورفد شعورها بمركز العبادات وأسلوب أدائها الأمثل الذي يتمثل في الصلاة مثلا حينما تصل الى

مرحلة (النهي عن الفحشاء والمنكر) واقعا وفي الصوم عندما يصبح سبيلاً رحباً للوصول الى التقوى.

الطائفية: أنواعها وتطبيقاتها

لانجدنا بحاجة للبحث عن جذور هذه الكلمة، ومقارناتها، فمعناها واضح وإن كان هذا المصطلح يعدُّ حديثاً في حين كان التعبير السائد بدلاً عنه هو (التعصّب)، ولسنا نرى بينهما كثير فرق في الاستعمال، ومن هنا فإنَّ مانقوله عن أحدهما يقال ـ البتة ـ عن الآخر.

واذا تمّ هذا وعدنا الى الحياة الانسانية، (الفردية والاجتماعية) وجدنا هذه الصفة تكمن في أنماط متنوّعة من السلوك الانساني بل وتشكّل جوهرها المتحرك، وصفتها الغالبة أحياناً، وربما تحولت الى شعار يتبجح به أصحابه مفاخرة.

إنّنا نجد الطائفية العقائدية إلى جنب الطائفية العنصرية، تماما كما نجد الطائفية النسبية والعشائرية والجغرافية إلى جنب الطائفية الحزبية والسياسية.

وبالجملة؛ فأينما سرنا لاحظنا ظلاً للتعصّب والطائفية يلوح لكل راء، وخصوصاً في أنماط معينة من الخطاب الاسلامي السائد، ولسنا من أولئك الذين يتصوّرون الطائفية شراً على الاطلاق، بعد أن كانت تمتلك ـ على أي حال ـ جذوراً في عمق التركيبة الانسانية، وإنما نقول بوجود حالة طبيعية معقوله وايجابية لها، في حين يسير بها العمى والإفراط الى الانحراف والسلبية.

واذا أردنا أن نجد لها مقارنا من هذه الجهة، لاحظنا أنَّ الغفلة الانسانية حالة فطرية، لها إيجابياتها بلا ريب، والّا لتجلّت كل مصائبنا وآلامنا في لوحة أذهاننا تماما، وهو أمر ينغّص علينا الحياة بلا ريب، إلّا أنَّ الغفلة إذا تجاوزت حدودها الطبيعية تحوّلت الى ضياع وسلبية ما بعدها سلبية.

فلنلحظ ـ إذن ـ الجانبين في الطائفية والفروق التي تميزهما عن بعضهما.

أما الجانب الايجابي فيمكن ان نلحظ تطبيقاته في الميول الطبيعية نحو الطائفة التي ينسجم معها الانسان عقائديا وعاطفياً ونسبياً وجغرافياً ومسلكياً

وغير ذلك.

فذلك طبيعي خصوصا إذا اقترن بمصالح طبيعية؛ كاستمداد القوة، والأمان، والتعاون لتحقيق الاهداف المشتركة، ولن يكبت الاسلام أي ميل طبيعي على الاطلاق.

يقول امير المؤمنين علي × في نهج البلاغة:

ومن يقبض يده عن عشيرته، فانما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة)[١].

وان الاسلام يستفيد من هذا الميل الطبيعي لتقوية الآصرة الاجتماعية، وتحكيم التماسك النوعي بشكل رائع. فـ(أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)[٢] وصلة الرحم من أهم ما يندب اليه ـ مثلا ـ.

وقد أسلفنا القول ان لهذا جذوراً في الفطرة، فالميل الى القربى والارض، وكل البيئة المنسجمة عقائديا هو ميل طبيعي يتلوه عمل طبيعي على ايجاد الانسجام بين السلوك وهذا الميل.

ومن هنا أيضا نجد أنَّ اطلاق عبارات التعصّب والطائفية السلبية على المواقف المبدئية، انما هواطلاق غير مسؤول أو متعمد مغرض.

ونعني بالمواقف المبدئية: تلك التي تتطلّبها تصوّرات الانسان المنطقية، المبرهنة عن الكون والحياة والانسان: تاريخاً وتركيبة، وحاضراً ومستقبلا، ومنهجا سلوكياً عاماً نحو تحقيق الأهداف السامية. فاذا ما استقرّ الوعي الانساني في هذه الجوانب على أرضية صلبة مبرهنة، كان من الطبيعي أن يصوغ كل مواقفه وفق مبادئه، وليس لنا ـ والحال هذه أن نصمه بالطائفية والتعصب.. نعم نستطيع أن نناقش مبادئه الواحد بعد الآخر.

أمّا أن نلومه على الانسجام مع مبادئه فذلك هو المنطق المعوج؛ إذ نطلب إليه ألّا يكون انسانا يحقق التوازن بين (العقيدة والعواطف والسلوك)، بل اللوم التام يقع عليه لو لم يحقق هذا الانسجام.

---

١) بحار الانوار، ج٤، ص ١٦٤.

٢) التوبة، ٧٥.

إننا لانعتبر التعصب - مثلا - لمقتضيات التوحيد الالهي، والإيمان بالنبوة، والاسلام منهج الحياة، ومكارم الاخلاق، ومنهج الدفاع عن العدل، ومحاربة الظلم - وخلاصة الامر: الالتزام بما تقرره الفطرة الأصيلة الموجودة لدى أفراد البشر جميعاً - لا نعتبر هذا إلّا الايجابية الفاعلة بعينها.

ومرة أخرى نعود لنهج البلاغة لنجد أميرالمؤمنين علياً × يقول: (فإن كان لابد من العصبية، فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة)[١].

(فتعصّبوا لخلال الحمد من: الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكفّ عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الارض).[٢]

والواقع أننا لو اعتبرنا السلوك المبدئي تعصّباً مرفوضاً، كان علينا أن نصِم سلوك الأنبياء العظام وكل الربانيين والمجاهدين ومواقفهم الصارمة؛ نصمها - والعياذ بالله - بهذه الصبغة، وهو أمر لو تمّ فانه لايبقي قيمة إنسانية واحدة، والويل لانسانية تضيع فيها القيم والمعايير.

وإنّنا - مثلا - لانعدّ من التعصّب مقولة بني يعقوب التي ينقلها القرآن:

⚷☽♐❶⬂ ♦✌☝︎⬩♫ ♋❍⓿♋♈♦⌨♋♑ ☝︎♦✌

✍⬧➔⬀⌨⬅⑨⬅❐♌♦ ✌♋♊✍ ✉♦➔⬀⑨♋❽ ♫⬩☝︎♐⬈❐✂☎

☼♦➔⬀⌨⬅⑨⬅ ☽♐♑⬧⌦♑⍓⌨⍓ ❐◆☽♐♑⬧⌦♑❍♦

⬈◆✂✉♦⬩☝︎✎★⌀⌨⍓ ☽♐✉⬀❷♦⌦♎♋⌚⚐⌘

❐◆☽♐ꝏ⬄☺⍓⌦➔♋⑩⬨• ❐◆☽♐ꝏ⬄⬩⍓⌦✆♦

☽♐♑⬧⌦♑⍓⍓✡☝︎ ❐◆⌚■♋⑨✡✂ ❐◆♰⬩♦⬂♊⬅ ✎⬩🕮⬉⌦

---

١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٠.

٢) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٠.

.[1] ❁♦♌❑←☺⌧◘⇔❍⇖✌

باعتبار أنّها تعبّر عن وعي وإدراك للحقيقة الكبرى.

وأمّا الجانب السلبي القابل للرفض من الطائفية والتعصب فهو يعبّر عن انحراف في مسيرة المقتضيات الطبيعية - كما مرّ بنا قبل قليل - ذلك أنّ الفرد والأمّة قد يبتليان - نتيجة عوامل معينة- بالضعف في الشخصية المحدّدة سواء على الصعيد العقائدي أو العاطفي أو السلوكي، فاذا ما صادف ذلك توفّر عامل خارجي تحريفي أدّى الأمر الى ما نشاهده من أوهام عقائدية - من جهة - وتعصب جاهلي مقيت - من جهة أخرى -. ونعني بالعامل الخارجي التأثيرات التي يمتلكها ذوو المصالح الضيقة، ويسعون لايجادها في النفوس، تحقيقاً لمطامعهم، وتمويهاً على الآخرين، وتسخيراً لهم لتحقيق تلك المآرب الدنيئة. وكمثال على ذلك (المترفون) الذين يتحدّث القرآن عن وساوسهم وايحاءاتهم الشيطانية، وفي طليعتهم الفراعنة، الذين يستخفّون قومهم ليتأكّدوا من طاعتهم:

🕘⊗❍⊗✌⬀❑⬧🔔 ❼⌧× ⇖♌⬀❑♦⇖⬀❷⊗▫ ▤❽⍓⑩✍♦☼◆❒❁

➔⌨▫◘⇖✌ ❼⊘🖫 “▪⬂⑩⬧➰❒🕮 ⬄✈⬀❑⬧◑🕔♦③ ♦✌✍⬧🔔

⇖❷🕔⍓♑⬃☼☞❀✍✂ ⊘■⬄⓿🕔⍓♎◆❑ ◆❸⇔⬁⊗✌

•☒⬧▫❒🕮 ☎ ×⊘⬄☹⇔⬧⬧✍ ♊⊗✌ ❽⌧❷⬂♑❒✌

⮘❸⬀❷⍓⌘ ⚐✍♦☼❒🕮 ⇳✈❑🕮 * ♦♌❑←❸⬁⬁⬀⌨➔✍

⮘×✓⌧♑♦✌ ◆❑➔♎ ❽⊗🔔⅄✎✍✂ ✂☒⓿🕔⍓♎ ⇳♊⊗♓✌

◆❼⬁▤⬂➰⬆🕮 ✋⬧⬀❑■◘⬧▫ * ←×✓⌧⌨⇖③ ←⑩🔔⬧▤♦③ ⬧⬧◆❑

⬃❒❒🕮 ✌◘⍓♎⬧❶ ♊⊗♓✌ ⮘❑◆❻⬀❑⇔♋❒🕮 ⊗❍⬂⓿■◘♦⇖

➔◘☒⌛⊘⟐❃🕔■◘⍓☺⬂➰✍✂ ←❍⍓➔♦✌ ◆⬈✎🔔⍓♊

🕛←❍♦✌⬀❑⬧🔔 ❍✂⍓②♦☝⇔♋✍✍⬧▫ * ♐▫✓⊗☼⌧❸♦✋⬂◑⇖✌

---

١) البقرة، ١٣٣ .

﴿[illegible]﴾.[1]

ولو لم يكونوا قد فقدوا الحالة الطبيعية الانسانية؛ حالة الوعي (وهو المقصود من الفسق - كما نتصور) لما خفّت شخصيتهم الى هذا المستوى. ذلك هو ديدن المترفين أن يعملوا على اشاعة الفسق - بهذا المعنى - ليستطيعوا تحقيق مآربهم وراء ذلك: ﴿[illegible]﴾.[2]

وربما كان الترف نفسه عاملاً من عوامل التعصب لدى هؤلاء المترفين.

كما أنّ التكبر يشكل أحد العوامل لهذه الحالة السلبية وربما كان المثال القرآني أصدق تعبيراً عن هذا المعنى حيث يقول تعالى: ﴿[illegible]﴾.[3]

﴿[illegible]

---

١) الزخرف، ٥١ - ٥٤.

٢) الإسراء، ١٦.

٣) البقرة، ٣٤.

⇔●⇖❷⇙⌘✍✍⬧◻ ✍❑&❸♑◻ ⧫❷✶⧗⬧▤⧫☞⬧✍ ♌❑📖

⚈⧅☼❑⌨⍓✌✌♑♊⌘⊸✍⚇⏲●⏲⇔⬀❷⬧⇦✗⧫⬧✌ .[1]

وعلى أي حال؛ فالضعف في الشخصية الفردية أو الاجتماعية، والاعجاب بالنفس أو الطائفة والإفراط في الولاء، وتأثيرات النفعيين والمترفين.. كل هذه الامور لها دورها المهم في تحويل الأمور النسبية الى مطلقات. فالقبلية، والنسب، وأمثالهما أمور نسبية قد تكون طبيعية في حدود معقولة، أمّا الخطر كله فيكمن فيما لو حاول انسان أن يصعد بهذه الأمور الى مستوى المطلقات والمعايير العامة، فحينئذ تكون الكارثة وعندئذ تكون الطائفية قد تجلت بأبشع صورها وأخسّ أشكالها.. وحينئذ يتحول النسبي النافع الى قيد على الذهن الانساني يمنعه من الانطلاق الحضاري البناء، باعتبار أنَّ هذا النسبي يرتبط بظروفه الموضوعية، فاذا جعله مطلقاً لم يمكن للانسان أن يتخطى هذه الظروف، وحينئذ فالجمود والانحطاط المقيت مآله.

إذن فنحن عندما ندين الطائفية وندعو الى نبذها على الصعيدين الفردي والاجتماعي؛ لانقصد مطلقا: أن يتنازل الفرد أو المجتمع عن عقيدته وإيمانه، أو ألّا يميل عاطفياً الى قومه أوطائفته أو وطنه أوحزبه الذي يشترك معه في هدفه الاجتماعي وأمثال ذلك. كما لانقصد الّا يدافع عن مبادئه التي آمن بها بقوّة ولا يعلن رأيه بكل صراحة، وألّا يعمل على تقوية الخط الذي يؤمن به بالسبل الايجابية الحصيفة. وإنّما الذي نعنيه - ويعنيه كل من ينطلق لإدانة هذه الصفة ـ من أسباب موضوعية انسانية ـ يتلخّص في رفض كل انحياز غير موضوعي الى عقيدة أو طائفة أو وطن أو قومية أو حزب أو غير ذلك، وكل ابتعاد عن المنطق السليم، والحوار الحرّ البنّاء، ومنع الآخرين من إبداء آرائهم بكل حرية، ومنع ذوي الاختصاص من مناقشة فكرة ما والوصول فيها الى صخرة الواقع ولب الحقيقة.

---

١) الأعراف، ١٢ ـ ١٣.

وكذلك نقصد رفض كل عمل لئيم يبتني على احتلال المراكز وملئها بالعناصر الموالية دون لحاظ كفاءتها وآثارها السلبية على الدائرة التي ستتسلّط عليها ومدى خدمتها من خلال موقعها للهدف المعلن، وكذلك مدى التزامها الخط الأصيل.

ونقصد أيضا - فيما نقصد - إدانة كل المواقف التي لاداعي انسانياً لها سوى نصرة هذا العنصر أو هذه الطائفة، بل وحتى لو كانت هذه في خط معاد للقواعد الانسانية والأسس الفطرية للعدالة.

وأمامنا الكثير من الظواهر الطائفية والتعصبية نشاهدها على مختلف الصعد وهي تمتد في حياتنا البشرية من أعلى المستويات حتى تصل الى التصرفات الشخصية.

والواقع أنَّ التعددية المذهبية شكّلت غنىً واسعاً للأمة وخيارات إسلامية للتطبيق، إلّا أنَّها حينما تحوّلت في خطابها وتعاملها الى طائفية عمياء جرّت الويلات وسالت لأجلها أنهار الدماء والدموع. فعلى المخلصين اليوم أن يعيدوها الى الحالة الطبيعية بعد أن يطهّروا الخطاب الاسلامي منها.

الفصل الثاني:

الدور الحضاري للأمّة

الأمّة الإسلامية وخيار السلام العالمي
في إطار العلاقة المتوازنة بين الحضارات[1]

إنّ التحركات الجادة التي شهدتها الساحة العالمية خلال العـامين الماضـيين؛ بهدف بلورة فكرة الحوار بين الحضارات بصيغتها العلمية الموضوعية، تمثـل نقلة أساسية في أساليب تفكير البشرية الرامية إلى تحقيـق التـوازن فـي العلاقـة بـين التيـارات الحضـارية والدينيـة والفكريـة والقوميـة التـي تتقاسـم البشـرية، وبالتالي العمل على تحقيق الطمـوح الـذي طالمـا حلـم بـه الإنسـان منـذ بـزوغ فجره، وهو حلم تحقيق الأمن والسلام في الأرض. ومهمة كبرى بهـذا الحجـم، تستدعي التعامل معها بمزيد من التنظير العلمي الجاد والتخطيط الموضـوعي، من ثم التنفيذ الواقعي الذي يستبعد التحركـات الانفعاليـة السـطحية أو الخطـاب الاعلامي الدعائي؛ إذ أنّ المشاريع التي تتعامل مع مصير الإنسانية ببنى هشّـة تعتمد الشعار والأهـداف الدعائيـة، تـؤول ـ دون شـك ـ إلـى الإخفـاق، بـل وقـد يكون لهذا الاخفاق مردودات سلبية.

ومن هنا فنحن نكرّر التأكيد على ضرورة التعامل مع موضوع الحوار بين الحضارات تعاملا علميـاً عقلانيـاً، ينطلـق مـن مسـاحات الاشـتراك التـي تقـف عليها البشرية، وينظر إلى التقسيمات الحضارية والدينية والاثنية نظرة واقعيـة

---

١) ألقي في ندوة الايسيكو «في الذكرى ١٥ لتأسيسها» المنعقدة بالرباط، بتاريخ ١٩٩٧/٣/٢.

تستبطن كل عوامل الاختلاف وإمكانيات اللقاء، ولايتجاوز المسلم فيها مبادئه العقائدية وأسسه الشرعية. وسنحاول في هذا البحث الانطلاق من هذه الحقائق في النظر إلى موضوع العلاقة بين الحضارات؛ بهدف تركيز دعائم الطريق الذي يوصل البشرية جمعاء إلى التفاهم من أجل أمنها وسلامها.

وهذا الطريق محفوف بالمخاطر والصعوبات والعقبات، وقضية إزالتها تحتاج إلى تعاضد الجهود وتلاقي الرؤى الخيِّرة لأبناء الإنسانية الذين يجمعهم مصير مشترك وواقع مشترك، سواء في حياتهم على الكرة الأرضية التي يتقاسمون تاريخها وجغرافيتها، أو في حياتهم الآخرة التي سيحصلون فيها على نتائج ماكسبت أيديهم.

الحوار حاجة إنسانية

منذ أن أحسّ الإنسان بحالة التنوع في المعتقد والمستوى المعيشي التوزيع الجغرافي والعمق التاريخي والانتماء الاثني مع الإنسان الآخر، فإنّه دخل في حلبة الصراع من أجل البقاء ومن أجل حياة أفضل أو من أجل فرض واقعه على الآخرين. وأثبتت هذه التجارب للإنسان طيلة آلاف السنين أنّه بحاجة إلى تقنين حالة الصراع والتدافع، وخفض نسبة سلبياتها إلى أدنى حد. ودفعته هذه الحاجة إلى تفهّم وجهة نظر الآخر، من خلال الحوار وتبادل الرؤى والأفكار. وأخذت أساليب الحوار مظاهر وألواناً مختلفة.

وقد تناولها كثير من المفكرين والباحثين وعلماء الدين ورجال السياسة من منطلقات مختلفة ولغايات متنوعة، ولكن القاسم المشترك الذي كان يجمع هذه الرؤى والدعوات هو ضرورة الحوار الإنساني بشتّى مضامينه ومجالاته. فظهرت دعوات للحوار بين الثقافات، وأخرى بين الأديان، وثالثة بين المذاهب، هكذا بين الشعوب والحكومات والقوميات وغيرها، فضلا عن الحوار بين الحضارات، والتي ظلت من الدعوات الأساسية والمهمة.

وفي هذا المجال هناك رؤى متنوعة أيضاً، فهناك من يرى بأنّ حوار الحضارات يجب أن يتمَّ بين الحضارات المتماثلة موضوعياً، مثلا: بين الحضارات الدينية أو الحضارات القديمة أو الحضارات القائمة أو المستمرة في وجودها أو بين المدنيات وغيرها. ولاشك أنّ لكل مجال أو مضمون من مضامين الحوار أساليبه ومناهجه المستنبطة من طبيعة موضوع الحوار نفسه.

وأوّد هنا الإشارة إلى أنّ دعوة الجمهورية الاسلامية الايرانية للحوار بين الحضارات، جاءت تتويجاً للجهود الكبيرة التي قامت بها ، ومنذ تأسيسها؛ لتركيز حالة الحوار في كثير من مجالاته، ومنها الحوار بين المذاهب الإسلامية، والذي تجلّى بعشرات الندوات والمؤتمرات العالمية والكتب والدوريات وغيرها، وكذلك الحوار الفكري بين المفكرين الباحثين من مختلف بلدان العالم الإسلامي، وأيضاً الحوار بين الأديان، ولاسيما بين الإسلام والمسيحية بمختلف مذاهبها. ويزيدني فخراً أن أكون أحد الداعين لهذه المظاهر الحوارية والقائمين عليها منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً وحتى الآن.

ولايفوتني هنا أن أُذكِّر بأنّ الإمام الخميني(رضي الله عنه) كان داعية الحوار الأوّل: إذ لم تقتصر دعواته على الحوار بين المسلمين، بل أنّه تجاوزها إلى الحوار مع غير المسلمين، بل ومع غير المتدينين، وأبرز مثال في هذا المجال هو رسالته إلى آخر رئيس للاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف، والتي فتح فيها باب الحوار مع الحضارات والمدنيات والقوى الدولية. ولكن الموت حال بينه وبين إكمال مشروعه في هذا المجال... تغمّده الله بواسع رحمته.

الحوار مبدأ إسلامي

من خلال نصوص القرآن الكريم والصحيح من الحديث الشريف، نجد أنّ الإسلام دعا ـ وبصيغ مختلفة ـ إلى الحوار. كما دعا إلى التعاون مع الآخر المختلِف دينياً، كمقدمة ضرورية للحوار، فالتعارف هو مدخل الحوار

[illegible]

[illegible]...﴾[1]. ويتمثّل التعارف بدراسة كل طرف

لمتبنّيات وأفكار الطرف الآخر من مصادره نفسها، لتكون حجّة عليه؛ فضلا عن تبادل المعلومات ولقاءات المجاملة؛ لتكون مقدمة للحوار.

أمّا الحوار الذي يدعو إليه الإسلام، فهو حوار هادف، ويتّسم بالتجرّد والموضوعية والعلمية. وقد وضع القرآن للرسول ’ قواعد هذا الحوار في دعوته ﴿[illegible]﴾[2]،

ويريد بذلك الاتفاق على حد معين من أسس الحوار الموضوعي. كما أنّ الرسول ’في قوله لنصارى نجران ﴿[illegible]﴾[3]، يقصد التجرّد في الحوار للوصول إلى الحقيقة مهما كانت، على الرغم من أنّه موقن بصحة معتقداته، إذ أنّ هذا اليقين لم يمنعه من الإيحاء إلى الطرف الآخر بأنّه سيدخل الحوار دون أن يحمل مواقف مبيّتة أو أحكاماً معدّة سلفاً.

والقرآن الكريم مليء بمختلف ألوان ومظاهر الحوار، ولاسيما الحوارات التي يقف الأنبياء والصالحون طرفاً فيها، والطرف الآخر أقوامهم أو الحكّام أو أتباع المعتقدات والديانات الأخرى. وقد رسم القرآن الكريم الخطوط العامة

---

١) حجرات، ١٣.

٢) آل عمران، ٦٤.

٣) سبأ، ٢٤.

لمناهج وأساليب كل مظهر من مظاهر الحوار تلك. كما وضع أهدافاً مدروسة للحوار، فالحوار ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة أهداف تعود بالفائدة على الدين الحنيف والإنسانية. وفيما يرتبط بفكرة حوار الحضارات بثوبها الجديد، فإنّها فكرة هادفة جادة، ولاتخرج عن كونها مبدأً إسلامياً ولغة قرآنية. ولعل من أبرز أهدافها محاولة التمهيد لتوازن دولي ووفاق علمي يكون فيه للحضارات والثقافات والحكومات والشعوب دور أساس، ومحاولة سدّ الباب أمام قوى الظلام والشر التي تمارس مختلف ألوان التمييز السياسي العنصري الجغرافي بين شعوب العالم، إضافة إلى كونه محاولة لتحقيق التكافؤ والشعور بالمسؤولية لدى كل من يقيم على هذا الأرض، تجاه الأرض وسكانها وبيئتها ومستقبلها. وبالتالي العمل المشترك على نشر السلام والأمن في كل العالم، وهو الهدف الذي يدعو إليه الإسلام... دين السلام والحوار.

المناخ المناسب للحوار

لاشك أن أيّ شكل من أشكال الحوار لابدّ وأن يتمّ في مناخ مناسب، يسوده الأمن والسلام، ويتّسم بتكافؤ الفرص بين المتحاورين، وحرية التعبير عن الرأي؛ وأن لايكون حوار القوي والضعيف أو الحاكم المستبد والمحكوم، ففي هذه الحالة يضيع أي تكافؤ بين المتحاورين، ويكون منطق السيف والخوف هو المتحكم بمسار الحوار، ومن الطبيعي أن لاينمّ مثل هذا الحوار عن أيّة نتيجة نافعة. وإذا خصّصنا الأمر في الحديث عن الحضارات، فإنّ إيجاد المناخ المناسب للحوار بينها، هو الشرط الأساس لدخول مثل هذا الحوار؛ لأنّ الحضارات تتباين فيما بينها في حجم القوة ونوعية الامتداد والاستمرار وطبيعة أدوات التعبير التي تمتلكها. والمناخ المناسب الذي يتمثل في الحوار المتوازن هو الوجه الآخر للعلاقة المتوازنة المتكافئة بين الحضارات، والتي تختفي فيها أدوات الضغط ومنطق الترغيب والترهيب. ولانقصد هنا بأدوات الضغط الأدوات العسكرية فحسب، بل أدوات الضغط بكل أشكالها ومضامينها، والتي تعبِّر عن تفوق طرف على آخر، ومنها الأدوات السياسية والاقتصادية

والعلمية والتكنولوجية، وصولا إلى أدوات التواصل والتعبير عن الرأي، بل حتى مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي تؤسس لايديولوجية التفوق والقوة لدى عرق دون آخر ولون دون آخر. فهذه المناهج يمكنها أيضاً أن تكون أدوات للضغط خلال الحوار، فيستثمرها المتفوق في هذه المرحلة الزمنية[١] للقيام بالتأثير النفسي على الأطراف الأخرى ومحاولة مصادرة آرائها، وإيقاع الهزيمة بها بسلاح المنهج العلمي المزعوم.

الحوار وهدف تحقيق الأمن والسلام

الأمان مطلب إنساني فطري يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة «حب الذات». وتعمل هذه الغريزة مع باقي الغرائز الأخرى بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان؛ فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن، وإنّما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية والذات النوعية؛ كي تدفعها ـ تلك الدوافع ـ نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة العملية، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، ممّا يمهّد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الأطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

فالأمن ـ إذن ـ حاجة إنسانية دائمة لاتغيّرها الظروف، وليست ظاهرة

---

١) ونقصد به التفوّق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في هذه البرهة الزمنية التي نعيشها الآن، هذا التفوق النسبي الزمني يحاول المتفوق أدلجته في إطار ما يسمّيه بمناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، واعتباره حقيقة علمية ثابتة على مستوى المكان والزمان. بيد أنَّ حقائق الزمان والمكان تشير إلى عكس ما تذهب إليه تلك المناهج.

عرضية حتى يقال؛ بأنّها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدّل تبدّلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا فمن الطبيعي أن نتصوّر الحاجة إلى نظام شامل يتكفّل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة. ولايمكننا أن نتصور حدوداً لمسألة حماية السلام والأمن إلاّ في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها. وذلك أمر طبيعي، بعد أن ندرك أنّ الفطرة هي ـ إجمالا ـ معيار الحقوق الإنسانية كلها، وأنّها أيضاً تحدد إنسانية الإنسان وأهدافه، وتفرض حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الأمن تحديداً إلاّ إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصراً ضد الأمن نفسه، فلا معنى ـ إذن ـ لضمانه. وإلاّ فكيف نتصوّر الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدده بما يردعه عن فعلته، حتى لو أدّى ذلك إلى تهديد أمنه؟

وإذا شئنا تتبع المحاولات الإنسانية الحضارية الجادة لتوفير جوٍّ آمن للبشرية جمعاء، فإنّ علينا أن نتتبّع ـ أوّلا ـ محاولات الأديان، باعتبارها أقدم الظواهر في حياة الإنسان وأكثرها دعوة للكمال كهدف إنساني، وأشدّها سعياً لتحقيقه، ثم نستعرض ـ ثانياً ـ محاولات الفلاسفة المتنوعة لبناء القوة العادلة العاقلة التي تضمن للبشرية هذه الحاجة، ونصل ـ ثالثاً ـ إلى المحاولات الشخصية والجماعية لضمّ العالم تحت حكومة واحدة، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، بشتّى الحجج والدوافع والشعارات، وفي طليعتها شعار تأمين العدل لكل البشرية، والدفاع عن حقوق المحرومين وتوفير السلام العالمي.

خيارات البشرية لتحقيق الأمن والسلام

هناك عدة خيارات أمام البشرية، متمثلة في الأطروحات التي جرّبتها البشرية أو لم تجرِّبها، وكلها ترفع شعار تحقيق الأمن والسلام العالمي، ولكنّها تختلف في المضامين والوسائل والأساليب، وأهمها:

١. السيطرة الدكتاتورية على كل العالم بالحديد والنار، بذريعة أنّها الوسيلة الوحيدة لضمان الأمن العالمي. هذه الأطروحة ـ كما نرى بوضوح ـ تحمل في داخلها تناقضاً تصعب إزالته أو تسويغه، حتى من قبل الذين يتبنونها، الأمر الذي يضطرهم لرفع شعارات أخرى لتسويغ نواياهم الحقيقية غير السليمة. وأبرز من تبنّى هذه الأطروحة: «النازية».

٢. السيطرة الطبقية، أي سيطرة طبقة معينة على باقي طبقات المجتمع العالمي؛ باعتبارها المقدمة الوحيدة لخلاص البشرية من شرور الاستغلال والعدوان والاستعمار، والتي تحقق الانسجام الوحيد مع نوعية الإنتاج الاقتصادي؛ الأمر الذي يؤدّي إلى توفير كل حاجات الناس دون استثناء، وقيام المجتمع الشيوعي الذي يحقق كل الرغبات العامة، وتختفي فيه الذاتية وتسوده الـ «نحن» الإنسانية، حتى لاتبقى هناك أيّة حاجة للقانون أو القضاء أو الدولة. وهذه الأطروحة ليست إلاّ خيالا جامحاً لاينسجم مع فطرة الإنسان وأصالتها؛ بل إنّها تنفي أيّة جذور فطرية، مما يؤدّي بالتالي إلى نفي إنسانية الإنسان نفسها. وهذه النتيجة يرافقها بطبيعة الحال ـ اعتداء تاريخي مرير على كل مرافق الأمن ووسائل السلام، وسلب قاس للحريات والحقوق الإنسانية، وهو ما حفلت به التجربة التاريخة للأطروحة، من ممارسات عنف واضطهاد وسفك للدماء صادرت كل دعامة للأمن والسلام، ثمّ إنّها تجربة انهارت قبل أن تحقّق أياً من أهدافها الأساسية.

٣. الشعوب الحرة المتعايشة التي تحكمها النظم الديمقراطية، والتي تتنافس فيما بينها تنافساً حراً يعود على الإنسانية جمعاء بالخير والأمان. برغم أنّ هذه الأطروحة لم يصرح بها أحد بصورة نظرية متكاملة. ولكنّها تعبير عن الواقع الذي تدعو له الأطروحة الرأسمالية الليبرالية والديمقراطية تحت اسم «العولمة»، والتي تعتقد بأنّ الحرية هي أساس السعادة الإنسانية وهي التي تكفل تحقيق التكافؤ بين الشعوب، وبالتالي تعميم السلام في الأرض. وتفسِّر هذه الأطروحة الحرية بما ينسجم وتحقيق الفرد لطموحاته، باعتبارها مدخلا

لتحقيق المجتمع لطموحاته وتقدمه على المدى البعيد. وتفترض هذه الأطروحة إمكانية قيام حكومات ديمقراطية ـ بكل ما للديمقراطية من معنى نظري ـ في كل أنحاء العالم. وأنّ هذه الحكومات تتعامل مع بعضها على أساس التنافس البنّاء دون تعدٍّ على الحدود والحقوق. ويتم ذلك في إطار عرف دولي مدوّن يضمن طرح أسس عادلة للعلاقات الدولية. وهذه الافتراضات هي في حقيقتها ـ مجرّد خيال؛ لأنّها لاتمتلك اي أساس إنساني واقعي ولاتؤيدها التجربة التاريخية الحضارية الإنسانية. إذ أنّ الإنسان الذي يملك أبعاده النفسية ونزعاته الذاتية، إذا لم نضمن التربية الروحية التامة له، وسلبناه كل ما يؤدي إلى تربية إنسانية، وسرنا به نحو حيوانية منظّمة! فإنّ من المستحيل تصوّر سير تكاملي طبيعي ومتوازن له. وإذا تجاوزنا الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي فسنرى أنّ التجربة التي مارستها الأنظمة الديمقراطية التقليدية منذ انبثاقها وحتى الآن وما أسفر عن ذلك من حروب وحركات استعمارية وانتهاك لحقوق الشعوب الأخرى وعدوان على الحريات الإنسانية، والتي حولت العولمة إلى أمركة صارخة، هذه التجربة لايمكنها خلق أيّة أرضية للأمن والسلام العالمي.

٤ . القبول بالواقع القائم على ما هو عليه، وقيام منظمة دولية على غرار منظمة الأمم المتحدة، تأخذ على عاتقها تنظيم العلاقات بين الدول والشعوب، وإصدار بيانات ومقررات وبروتوكولات عالمية ملزمة، بهدف ضمان السلام العالمي، ومن ثم السهر على استمراره من خلال مختلف الآليات. ومن هذه الآليات، أنّها منحت كل الدول ـ على اختلاف عدد سكانها وحجم مساحتها قوتها ـ مقعداً واحداً وصوتاً واحداً في الجمعية العامة. بينما منحت مجموعة من القوى العظمى حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي، والذي شكّلته هذه الأطروحة لحفظ الأمن العالمي وضمانه! وهذه الأطروحة ـ هي الأخرى ـ مليئة بالسلبيات، وأبرزها آلية ضمان حفظ الأمن نفسها، والتي أعطت من خلالها للدول الكبرى حق النقض في مجلس الأمن، وهي دول تسعى لتحقيق مصالحها على حساب الدول الأخرى. اضافة إلى أنّ هذه الأطروحة لم توجد

أيّة آلية لإلزام الدول بقوانينها، وبذلك يمكن لأية دولة أن لاتنضم للمعاهدة أو البروتوكول الذي لاتجده منسجماً مع أهدافها ورؤاها. وإذا ما وجدت قوانين عقوبات دولية رادعة ـ وهي نادرة ـ فإنّ القوى الكبرى هي التي تنفّذها وفقاً لما تمليه عليه مصالحها وليس وفقاً لمصلحة الأمن العالمي. وبذلك فإنّ السلام العالمي في هذه الأطروحة يُنظر إليه من خلال مصالح القوى العظمى فقط، فهو ـ إذن ـ سلامٌ ضد السلام.

٥. الدولة العالمية الواحدة، القائمة على أساس التوحيد الإلهي، والقسط والعدل، والشورى، والقيادة الإنسانية الرشيدة، والنظام الإنساني الذي يقرّ حرية الإنسان وحقوقه في مضامينهما وأشكالهما التكاملية الطبيعية. هذه الأطروحة تتمتع بكل نقاط القوة التي تجعل منها الضامن الوحيد للسلام العالمي، فضلا عن أنّها لاتحتوي على نقاط الضعف الموجودة في الأطروحات الأخرى التي استعرضناها. إلاّ أنّ هذه الأطروحة ـ برغم واقعيتها ووجود الإمكانية ـ الكاملة لتحقيقها ـ تواجه عقبات كأداء، وتحتاج إلى تضحيات جسيمة، ولكنها تبقى الخيار الوحيد للبشرية. ومن هنا نرى ضرورة الاتجاه نحو المبادئ التي تدعو لها هذه الأطروحة، واكتشاف المبدأ الأصلح الذي ينسجم مع أسسها ومعالمها وروحها، ثم التعرّف إلى الأمّة التي تحمل هذا المبدأ، والعمل على تأصيل خصائص هذه الأمّة والانطلاق ـ بعد ذلك لنشر حالة الإيمان بهذه الأطروحة بين أبناء البشرية. ولكي لانتّهم بأنّنا نجنح إلى الخيال في عرضنا لهذه الأطروحة، فإنّنا نؤكد على أنَّ هذه الأطروحة هي الخيار الذي يطرحه الإسلام نفسه لانقاذ البشرية ونجاتها من الظلم والجور ونشر القسط والعدل والسلام في ربوع الأرض. وينبغي أن نلاحظ حقيقة مهمة، وهي أنّ مثل هذه الدولة العالمية لاتوجب ـ بالضرورة ـ أن يكون أبناؤها على دين واحد ومذهب واحد، وإن كانت الوحدة في هذا الجانب من مقوّمات الترابط الكامل بين المجتمع العالمي الذي تستوعبه هذه الدولة، إلاّ أنّ ذلك ليس شرطاً ضرورياً لقيام هذه الدولة.

ونحن نعتقد بأنّ البشرية ستسير باتجاه تحقيق هذا الهدف ـ عاجلا أم آجلا ـ إذ أرادت لنفسها أن تضمن مسيرة متوازنة واحدة متكاملة تحقّق أهداف الإنسان، وتضمن تناسباً بين الثروة الموجودة في الطبيعة وسرعة التكاثر الإنساني واحتياجات الأجيال الجديدة، وتضمن سلاماً عالمياً يغني العالم عن الحروب والنزاعات التي لا طائل من ورائها غير إفناء الإنسانية وإهدار ثرواتها، وتضمن ـ أخيراً ـ الحقوق والحريات للإنسان بصورة حقيقية، وفقاً للموازين المعنوية العادلة التي تخدم تقارب البشرية عموماً وبالتالي فإنّ هذا التصوّر هو طموح نسعى إليه ويجب أن نعمل للتمهيد له[١].

حكومة السلام العالمية والتمهيد لها

إنّ حكومة السلام العالمية هي حقيقة انسانية، كما هي حقيقية دينية وإسلامية؛ فالبشرية على مختلف معتقداتها وايديولوجياتها تراهن على الزمن الذي تقوم فيه حكومة العدل العالمية، وهو رهان يستند على قاعدة الوعود التي تحتويها الفلسفات والأديان، والمتمثلة بحتمية استتباب السلام في أرجاء العالم في ظل حكومة تربط عدالة الأرض بتعاليم السماء. وهذه الوعود لاتقتصر على الإسلام فحسب برغم أنّ الإسلام يعطيها شكلا ومضموناً عقائدياً في غاية الوضوح، ويتحدّث عنها كحقيقة تربط بين ماضي الإنسانية وحاضرها ومستقبلها، ويطلق على هذه الحقيقة اسم حكومة المهدي المنتظر، التي ستعمُّ العالم أجمع، وتنشر العدل والقسط والسلام فيه وتقضي على كل ألوان الظلم والجور والعدوان. ومن هنا فقضية المهدي ترتبط بمصير الإنسانية جمعاء أو مصير الأرض برمتها، وحري بجميع سكان الأرض أن يجعلوها مادة للحوار فيما بينهم ونحن كمسلمين مكلفون بالتمهيد لعصر ظهور هذه الحكومة، وهو ما

---

١) انظر: للكاتب نفسه، الإسلام والأمّة والسلام العالمي، بحث القاه في مؤتمر عقد في عام ١٩٨٨ بمدينة لاهاى بهولندا.

أطلقت عليه الأدبيات الإسلامية مصطلح «الموطّئون»[١].

ونطرح هنا مجموعة من المقدمات التي ينبغي لهؤلاء «الموطئين» توفيرها في إطار عملية التمهيد لتحقيق الحتمية الموعودة:

١. إعادة القيم المعنوية التي تدفع الإنسان باتجاه التخلص من معايير القيم المادية الأرضية، والتمسّك بالقيم الروحية السامية، وهي مهمة تقع على عاتق كل الأديان والمعتقدات الروحية والإنسانية الصافية.

٢. تركيز حالة الحوار بين الأديان، دون أن تقتصر محاوره على القضايا اللاهوتية، بل تتعداه إلى التعاون في جميع قضايا الإنسان، ومحاولة تلبية حاجاته المادية والروحية.

٣. معالجة المشاكل الاجتماعية معالجة عصرية وافية، من خلال دراستها بعمق ودقة وموضوعية.

٤. العمل الجاد على تطبيق مبادئ حقوق الإنسان وتوسيعها ورفع ما يشوب نظريتها من نقاط ضعف واستغلال، ومنها إمكانية الاستغلال السياسي والازدواجية بين النظرية والتطبيق وسياسة الكيل بمكيالين.

٥. إشاعة مفهوم الحكومات القائمة بصورة حقيقية على إرادة الشعوب، والتي تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه.

٦. الدفاع عن الثقافة العالمية القائمة على الفطرة الإنسانية، أي الثقافة التي تنسجم مع فطرة سكان الأرض وتمثّل المساحة الإنسانية المشتركة فيما بينهما، وفي الوقت نفسه تحترم الخصوصيات الثقافية للشعوب. وهذا يعني رفض ما يعرف بالعولمة بكل ألوانها ولاسيما العولمة الثقافية التي تقوم على أساس هيمنة ثقافة المتفوقين سياسياً وعسكرياً وإعلامياً واقتصادياً، أو التي تضمن مصالح القوى العظمى بذريعة عولمة الثقافة.

---

١) انظر: للكاتب نفسه، مقدمة كتاب (بحث حول المهدي) للامام الشهيد محمد باقر الصدر.

٧. إشاعة روح التسامح الديني والثقافي بين أتباع مختلف الأديان المعتقدات مع الاحتفاظ بالقيم الفطرية، وهذا لايعني توزيع الحقيقة بنسب متوازنة على الجميع بالصورة التي تقول بها فرضية التعددية بمناهجها الغربية، بل يعني السماح للرأي الآخر، والقبول به كرأي مختلف، والتحاور معه، للوصول إلى مساحات وقناعات مشتركة.

٨. تقوية بنية العائلة وتركيز قيم التعاضد والتكافل والتعاون فيها، باعتبار العائلة اللبنة الأساسية للمجتمع الإنساني.

عالمية الإسلام وطموح تحقيق الأمن والسلام

لا شكّ أنّ الإسلام يحمل في داخله القابلية المطلقة على تحقيق كل طموحات الإنسان في حكومة الأمن والعدل التي تنشر السلام في كل الأرض، يعلن الإسلام عن هذه القابلية ويقيم الأدلّة على صحتها. فالإسلام ـ ابتداءً ـ هو دين عالمي ورسالته موجّهة لكل البشرية، فهو ـ إذن ـ الصيغة التي يريدها الله تعالى للبشرية: ﴿③♦🕔❄🕯❒③⑩♑⍓✍⇗ ✂✍♑◉☪□✍☪⋎ ❍⍓⍰❄□⍓❼ ❻◆ꝏ←❑✌⇖ ✂✍✎★ ❍⍓♑◆⓿⇗⌛→☠⇗ ⚖◆☞⍓⑩➔🕒✍ ⁱ✂❒◆👌♦✍✎ 📖❒❻⇗ꝏ⍓🖬▫✡□🕔🖮⍓ ❍⍓◆· 🗎•✍✍▫⅄❑☪ ♑ℯ⍓🖬✡□✍□⇘ 🗀□⌖⍓❷❸☪✂ ❒◆☼♦⓿☞③❷ॐ✂﴾.[2] كما أنّه الصيغة التي تنسجم مع الفطرة بكل أبعادها وقيمهـــا: ﴿⍓➲⇕❷◆☠❁ ✂✍✎★ ✂✍♑⅄☹☞⌀▫◆➲◆❷◆ ✂✍♑❒□"ꝏ ⇘◆🖬■❸⇗&□✍ 🗐 ◆• ✍◆🖮⇗⑨⍓③✍• ♑✍□◆ ⍓➲⍓🖬▫🖃⇗ ✂✍✎★ 🗐 ❶◆🕒♑⍓①⍓ ✂✍✎✍♏⍓⇦▫⋎

✃☜☞⑩♦☽⑩♒☺☝﴿[1]. وهـــــــو ديـــــــن التكامــل والحيــاة الحقــة: ﴿③♦⏲☼⑨☐☙☐✃☜✏⅄♘③♈♊⌘ ➚♦✃✌♦☾☐✃☎ ✃☜♂⇔☝♦♐⑩⌨←☐✃☎ ✎★ ☐♦☜♈♋✌☐←☞✌ ⑩☐☞♦☜✍☞☠⬁ ☽☝☢❶♦✃ ⑩☐☞♦☜☝☺☐☜ ⑥➚♦☟⑩☘❿⌛→☠⬁﴿[2]. والإسلام أيضاً هو الدين الذي يدعو إلى تشكيل دولة عالمية تقوم على أساس التوحيد، وتسعى لبناء القسط، ونشر العدل، وتحقيق مبدأ الشورى في شتّى نواحي الإدارة ونظم الحياة، ويضع نظاماً لقيادة عادلة رشيدة، ويعترف بالحرية الإنسانية الفكرية والشخصية والسياسية والاقتصادية، ولكن في أطُر عادلة حكيمة تضمن بقاء الحرية دعماً لمسيرة التكامل، بدلا من تحولها إلى معول يهدم أركان هذه المسيرة، كما تضمن حقوق الإنسان كأروع ما يكون الضمان بعيداً عن الادعاءات الفارغة والتناقضات التي وقّع بها «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، بالرغم مما فيه من جوانب إيجابية. ومن تلك الحقوق حق أتباع الأديان الأخرى التي تعيش في كنفه وتنعم بما يضمنه لها من قوانين تجعلها تحيى حياة ملؤها الأمان والرقي.

كما أنّ الإسلام ـ بعد أن ينفي كل معايير التمايز المادية، من قبيل التمايز العرقي، واللوني، والمالي، والجغرافي، والمقامي وغير ذلك، يقيم بناءه الاجتماعي على أساس معايير الالتزام المبدئي، والعلم، والخدمة التضحوية في سبيل الإنسان ﴿♘➔✍⬁ ♎☐✍⬁ ④☐○⇔☝♦☐♐❽ ✃☜✏⅄♘♈⇦×♦ ③♦➔⇳☹♦☞←☐♌♦ ☐♦✃☜✏⅄♘♈⇦×♦ ♦♦ ③♦➔⇳☐■☺←☐♌♦﴿[3]، ﴿إن أكرمكم عندَالله أتقاكم﴾[4]. هذا في حين يركّز

---

١) الروم، ٣٠.

٢) الأنفال، ٢٤.

٣) الزمر، ٩.

٤) الحجرات، ١٣.

على المحرومين والمستضعفين من الناس ويعمل على إنصافهم من ظالميهم المستكبرين، ويقاتل في سبيلهم حتى يستنقذ حقوقهم.

وبالنسبة للسلام والأمن في العالم، نجد الإسلام ـ بمقتضى انسجامه مع الفطرة ـ يعتبر «الأمن» من نِعم الله الكبرى على الإنسان:

✁⊠⓿🕔⌂♎ ○⚇◆❻ ☎✁❒🡐⑨⬅⌛⬀➔◆⓿▫◘♦▫)

🏳🡐♑⌂☺⌂➔⇳◐❒🕮 ✓❾🙰🔔⅄✏🙵✁ * 🙰💣⬂❹♦🖮⬂♑🖲🙵✁

⇳♊🙰♓✌ ☠🡐♑☐✡♦✌✁◆⬀◆❒ 🖰⬋❒⬉♉ ♊🙰♓✌

⌘⌂❑⬃🙵⊙)[1]. ويعتبر الأمن العبادي من أرقى حالات الإنسانية التي وعد المؤمنون بها عبر التاريخ: ﴿وعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليُبدّلنهم من بعدِ خوفهم أمناً يَعبدوننى لايُشركون بي شيئاً﴾[2] ولكي يوفّر لكل المؤمنين في الأرض ميداناً حُرّاً يلتقون فيه في ظل ولاية الله تعالى وفي ظل رحمته ويقولون فيه كلمتهم الحقة، فقد جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً: ﴿❒◆◑🙹❶⬂ ♉⌂➔⌂◘▫☾◆🙵 ✁🙵♑🖲⬂🖮♦⑩⬂💣✿

✌♦⌖♦🙵🖃◘♦☾ 🖲🙳🙰◘☾☐🙵☐⬂ ❒◆🕮❒✌⬂☾✡🙵

☎✁❒⬀⓿🙰③✦✌🙵✁◆❒ ♊🙰✌ 🙰✈🙵♦◑☐✌

◑🙹🖃⬃❷♦🕔♎🙰🕘🏳⌘ ✌⬉🕐✿✍”❼﴾[3].

فالأمان هبة الله للبشرية ـ يجب أن يتوفّر لها بشكل دائم، اللهم إلاّ أن يعمل بعضهم على محاربة دين الأمان والوقوف في وجه التكامل الإنساني وتهديم المسيرة المتوازنة، وحينئذ فلا معنى للأمان، مع ذلك نجد الإسلام يدعو الدولة الإسلامية إلى الجنوح للسلام إن بدت مثل هذه الرغبة من الطرف الآخر فقال:

---

١) قريش، ٣ و ٤.

٢) النور، ٥٥.

٣) البقرة، ١٢٥.

﴿و ان جَنحوا لِلسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾[1]. ولكي لايتحول الاختلاف العقائدي إلى صدام دموي عنيف يدعو الإسلام مخالفيه إلى كلمة سواء بينه وبينهم، فيقول: ﴿[illegible]﴾[2] كما يربّي الإنسان المسلم دائماًعلى الدفع بالتي هي أحسن لنفي العداوة والبغضاء. إلاّ أنّنا نؤكّد أنّ هذا كله إنّما يتم مع أولئك الراغبين في السلام. أمّا المحاربون لله ورسوله ونظامه والساعون للفساد في الأرض من المستكبرين فليس لأحد أن يهادنهم ويسالمهم في مسعاهم الهدام.

الأمّة الإسلامية والمسؤولية تجاه السلام العالمي

إنّ الأمّة الإسلامية بطبيعة الحال ـ هي حاملة رسالة الإسلام، والأجدر بالسعي الحثيث لتنفيذ توجّهات الإسلام الإنسانية على الصعيد العالمي. الإسلام يصف هذه الأمّة بأنّها خير أمة: ﴿[illegible]﴾[3]وهل هناك شيء أقرب للنفوس السليمة من السلام

---

١) الأنفال، ٦١.

٢) آل عمران، ٦٤.

٣) آل عمران، ١١٠.

والأمن القائم على أسس رصينة؟

إنّ الإسلام يعطي مفهوم الأمّة مساحة إنسانية واسعة تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية عندما يخاطب مجموع الأمم الموحدة بقوله: ❴☽♑♌□

♎⍓◷⓪⌫■⍉◷⍐ ⬀☠⬈▤⬅☞□✌⬆🕮 ☪◘□✌⬆🕮

❒◆◷◯♉⑨⍓□☪ ❒◆🕮❒☼◆✍⚐ ❻◆✉⚘⌛➔☠⬀

◆▫✍✍⬉⇳⌨⬅⑨⬅❒♍◷❵[1] وعندما يجعل كل الأنبياء في مسار واحد لتحقيق هدف واحد: ❴❒◆⚗◆☽◆⑨⇳ ✉◆➔⍓✜⬀☪◆✍ ✖♑❼

🗏➔✍♏⬀ 🕮✌⬆□◘⌨ ❻■♉⬅❑◆◷ 🕮❒♍◷

✁✍❒⬅⑨⬅⌛⇳⬉✍✁☎ ✁✍✎⅄

❒◆✁✍♉⇳☝◆♈♉⌨⬅❑✁☎ ✁✍✍⚗➲⅄◷⇔⬈❑☠✿❵[2]

❴⚗◆☽◆⑨⇳ 🕮❒❻⬀♉⍓🖬▫☪◆✍ ❻↓♉⬅🖬■✡□✍

✉♑✍✍✍⚗⍓⌨◆❹♓⍓☪◆◷☀♉

✌◆➔⍓♑⬅⚐❶ ❒◆🕮❒☼❽◆⚗⍓☪◆✍

✁✍✍⚗⍓▤⬁☝◆◷🖬✿ ❒◆✁✍⚗⍓☺♉❷❾◆✁♍⚘

⚗♉⓿◆☽➔❑⚐◆ ✁✍✍⚗✡□✍□↓

✉♑✍✍✍⚗⍓☽⍓◯⇔⓫⬁❵[3]. وهو يحمّلها المسؤولية العالمية في شتّى المجالات عندما يجعلها الأمّة الشاهدة على الناس، وهو مفهوم حضاري واسع: ❴❒◆✍⌧⓿⌧◷⚗♉⌨⍓ ♉⍓➔⍓🖬▫✡□◷▤⬈☠⬀ ☪◘□✌⬆🕮

❒◆♉⍓➲✝✍ ⚗ℯ♉☝◆⌛➔❑☼❑⬅❑✁☎ ✸➔&⍓⑨⍓✁✎⬈◆

⬉◆✍■❼ ✁✍✍⚗✡□✍□⬂ ❒◆③◆▤⬈❑♌◆ ✁✍✍⚗❷■♉⬅❑✌⬉

____

١) الأنبياء، ٩٢.

٢) النحل، ٣٦.

٣) الحديد، ٢٥.

⦫♦■◘■⬂⦸◘⬀☠⬁ ⅄ ⊠♑☯⓿⑨✡✁﴿[1] .

ونعرف هذا المضمون الحضاري من التقابل بين شهادة الرسول على الأمّة وشهادة الأمّة على الناس باعتبارها شهادة النموذج والمعيار على كل السلوكات الأخرى، وعلى هذا الغرار تأتي الأوصاف الأخرى من قبيل الأمّة الخليفة، والأمّة القائمة بالقسط وغير ذلك.

وعليه، فمسؤولية الأمّة الإسلامية كبيرة تجاه السلام بمعناه الحقيقي هي كمسؤوليتها تجاه توفير الأجواء المناسبة لمجموع البشرية لتتجلّى طاقاتها البشرية في مجال عبادة الله ونفي مظاهر الطاغوت ـ وهو المرض الخطير الذي يعمي الفطرة ـ وبالتالي السير لإعمار الأرض وتكوين المجتمع العالمي الذي يعبدالله آمناً لايشرك به شيئاً: ﴿❒◆⑩⬉⌨♦⑨♎⚭❁□& ⬃☠ ...﴾ .[2]

وعندما نتصوّر المسؤولية يتبادر إلى الذهن تصوّر الشروط الطبيعية التي يجب أن تتوفر أوّلا حتى يمكن القيام بالمسؤولية الجسيمة، والتناسب بينها وبين شروطها أمر طبيعي. وما نتصوّره من شروط يتلخّص في مايلي:

١ـ وعي الأمّة الإسلامية ـ بكل تأكيد ـ لإسلامها بأسسه العقائدية ومفاهيمه ونظمه التي تمتد إلى كل مجالات الحياة.

٢ـ سعيها الحثيث لتطبيق التعاليم الإسلامية وتجسيدها في حركتها الاجتماعية، وتحكيم النظم الإسلامية سياسياً وفردياً.

٣ـ وجود سعي حثيث أيضاً لبناء الذات المسلمة بناءً أخلاقياً يضمن لها الرقي المعنوي والتكامل النفسي كما يغذّيها بكل عناصر تغليب المصلحة

---

١) البقرة، ١٤٣.

٢) النور، ٥٥.

الاجتماعية على المصلحة الفردية الضيّقة وذلك عبر اليقين بسعة الحياة إلى حد الخلود وتركيز الحب الإلهي في النفوس بشكل يسمو بالإنسان على أنماط التعلّق الشديد بالدنيا، وهي أخوف ما يخاف على الإنسان المسلم الواعي.

إنّنا نؤكد على ضرورة توفّر عنصر البناء الروحي باعتباره المموّن الرئيس للإنسان بعناصر الصبر والتضحية في سبيل المبدأ وتجاوز العقبات الكبـــــــــرى: ﴿▫♦•☒• ✁✍♎♏⍓☜♦♦◻☠⌘ ✁✍♎♏⍓➔◻☽♦🖮♦◻♦*

◻♦✍✍✍ ◻🕮⑩↗❻♦🗁🖮◻ ✌♦✍ ✁✍♎♏⍓➔◻☽♦🖮♦◻➔

* ▫♦🖮❼ ❻♦🔔♦⌛♦◻⚇ * 🕮◻◻⬀ ☽♌♎↨➔◻🕐⚐♐ ×♌❼

⓷♦◻⬁✈▯ ❶♎❽ ✌♦◯⬄⬄♦🖮♦◻🖮 * ⓷♦☹♎⑩☺✞✍ ❶♦✁

✌♦☽♎❷♦🗞♦◻⚇ * 🕮◻◻⬀ ✌♎◯⬄▤⬁⑩☪✡✍ ❶♦✁

✌♦✋♎❸♦🗞♦◻🖮 * ⚐➔⚐○ 📭☒🔔♌♦ ✌♎♊⌘

✁✍✍➚♦♎⇦×♦➚♦✁✌♦☪⬉◻✁☎ ◻♦✍♦◻♦✁🕒✽◻⬁✁☎

🗞♌✍✍♏♎🕐○♏⬁❸♌ ◻♦✍♦◻♦✁🕒✽◻⬁✁☎

.﴾[1]♎◻♦☝☒◻⬁❷♦☺♎♏✍✍✍♌🗞

٤. على أنّ البناء الأخلاقي يجب أن يصاحبه بناء نفسي ثوري عاطفي حار، يدفع المسلم للتحرق الدائم لإسلامه ولقرآنه وقوانينهما والجهاد لتطبيق هذه التعاليم والتفاعل العاطفي مع كل الحوادث التي تلم بالرسالة وبالأمّة، لايقف منها، موقف اللامبالاة والرهبنة والانعزال عن التيار العام. فيجب أن تورقه كل ضربة توجه للمستضعفين في الأرض، ويجب أن تؤلمه كل خطوة ظالمة يخطوها المستكبرون الظالمون، ويجب أن لايقرّله قرار عندما ينتهك حكم من أحكام الله، أو يسلب منصب إسلامي من قبل المتسلّطين، أو تهدر ثروة إسلامية في سبيل تحقيق الأهداف المحرّمة، أو تنهب أرض أو يقتل شعب، أو تنتهك حقوق المسلمين. ونحن نعتقد أنَّ فقدان مثل هذه الروح الثورية

---

١) البلد، ١١ ـ ١٧.

يعني فقدان خصيصة حركية ضخمة قد تؤدي إلى موت الأمّـة أو قعودها عـن واجباتها التاريخية.

٥. حصول التقدم العلمي والحضاري المطلوب، فلاتستطيع أمـة أن تـدّعي لنفسها أنّها الطليعية في حين تسبقها الأمم الأخرى في المضمار العلمي والتقني والتطبيقي والإداري، وفي مجال إدارة دفّة السياسة الخارجية، ووعي الأحداث العالمية، واتخاذ المواقف المناسبة منها.

٦. الوحـدة الإسـلامية هـي أهـم عامـل يجـب تـوفره فـي الأمّـة الإسـلامية، وبدونها لن تستطيع الأمّة أن تحقّق أياً من أهدافها الحضارية، بـل سـتبقى لقمـة سائغة بيد أعدائها. وقد وضـع الإسلام خطة واسعة الأبعاد لتحقيـق هـذه الوحـدة الإسلامية بأمتن ما يمكن، وأهم هذه الأبعاد:

أ. إنّ الإسـلام وضـع تصـوّراً كونيـاً موحّـداً وركّـزه فـي أذهـان المسـلمين ليشعروا بوحدة الكون وترابطه في إطار التوحيد الإلهي الخاص.

ب. إنّه أقام العلاقة بين حلقات التاريخ الإنساني على أسس واحدة.

ج. إنّــه وحّــد المنطلقــات الإنســانية والأهــداف والسـبل بـين المنطلقـات والأهداف.

د. إنّه أقام دوائر متداخلة مـن العلاقـات الاجتماعيـة التـي تعمـل كلهـا علـى تحقيق الغرض.

هـ. إنّه ركّز نوعاً رائعاً من الترابط في المشاعر والمقاييس الموحّدة.

و. قامت النظم الإسلامية المختلفة بعملية تقوية الأواصر الإسلامية في شتّى المجالات العباديـة والاجتماعيـة والحقوقيـة والاقتصـادية وغيرهـا بمـا لايتّسـع المجال له هنا.

وأخيراً... فإنّ مجمل هذه التصورات نضعها بـين أيـدي دعـاة الحـوار بـين الحضارات للتأمُّل فيها وتدارسها، بغية الوصول إلـى مسـاحات مشـتركة تقـف عليها البشرية، وتحقّق من خلالها الأمن والسلام في العالم.

قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية[1]

الرؤية الثقافية الإسلامية رؤية هادفة، تنطلق من مرجعية مقدّسة للحياة الإسلامية تعطيها شكلها ومضمونها المتميّزين. وتستبطن هذه الرؤية مجمل أسس عملية التغيير الاجتماعي الشامل، فهي الإطار الذي يجمع في داخله مختلف مجالات التغيير. ومهما اختلف علماء الإجتماع والنفس والانثربولوجيا والإعلام في تحديد مفهوم الثقافة أو الرؤية الثقافية، فإنّهم يتفقون على دورها الأساسي في رسم تفاصيل حياة المجتمع والفرد وتحديد أنماطها، أي أنّها بكلمة أخرى: العنصر المركب الذي يحدّد الأفكار والسلوك والظواهر الاجتماعية. ويعدّها الأمام الخميني «المصنع الذي يصنع الإنسان» و«طريق إصلاح المجتمع»[2] أو أنّها ـ كما يقول المرحوم مالك بن نبي ـ الدستور الذي تتطلّبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعى[3].

وهنا يأتي الحوار ليعطي للاختلاف بعداً إنسانياً يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح له بالتحوّل إلى طاقة تدميرية، بل أنّ الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف ويرفع من مستوى إيجابياته ليكون الاختلاف في هذا الإطار

---

١) قدم إلى مؤتمر «التنمية الثقافية في العالم الإسلامي وتحديات المستقبل»، بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٦، فى الرياض السعودية والذي نقل بعد ذلك من قبل الإيسيكو إلى برلين في ألمانيا.

٢) «النظرات الثقافية للإمام الخميني»، إعداد: كبرا أسدي.

٣) «شروط النهضة»، ص١٣٠.

رحمةً وخيراً، ودافعاً للإصلاح والمراجعة المستمرة. وهذا البعد يمنح الحوار مضموناً مصيرياً وموقعاً استراتيجياً في استمرار الحياة بطعمها المستقر، وإبقاء الجنس البشري بمستوى ما حباه الله من عقل وقدرة على التفكير والاختيار.

إنّ الحوار أداة للكشف عن الحقائق والأشياء الخفيّة، ومن خلاله تتمّ الإجابة على كثير من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذهن، أو تزيد من القناعات الذاتية، كما يمكن من خلاله كشف الباطل ودحضه وكشف مؤثّرات ودلائل بطلانه.

وبشكل مجمل فإنّ الحوار ينضج الأفكار والقرارات؛ ففي الجانب الفكري والثقافي مثلا ـ ينمّي الحوار الأفكار ويعمّقها، ويشذِّبها مما يعلق بها من انحراف أو جمود أو شوائب، ويحرّك العقل باتجاه الإبداع والتجديد والتحرّر، في الحدود التي تفرضها مرجعية الاختلاف. وفي الجانب السياسي الاجتماعي، يلعب الحوار الدور نفسه في تنضيج القرار الاجتماعي والسياسي وإشعار الآخرين بالمسؤولية وأهمية الموقع الذي يحتلونه، بل أنّ بعض الأنماط تعدُّ في دائرة المسلمين لوناً من ألوان الشورى.

وبالتالي فالحوار في الإسلام يعبّر عن قيمة حضارية؛ لأنّه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة. فقد انتشر الإسلام بالحوار والوعظ والمحاجة والقول الحكيم، والذي أوصله إلى أقاصي الدنيا، ولا سيما افريقيا وشرق آسيا وامريكا، هو الحوار. هذه البلدان التي يقطنها اليوم مئات الملايين من الناس، دخلت الإسلام بالحوار، فالإسلام هو دين الحجّة ودحض الباطل بأسلوب الحكمة

📭♉︎♎︎♎︎♏︎♐︎⬆︎☹︎♑︎♒︎♓︎ⓜ︎ⓞ︎♋︎♌︎❻“📖❑❍⇳○✾♊︎←✦[1] ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الحوار ليس الاستراتيجية الوحيدة في نشر الدين والدعوة والتبليغ، رغم أنّه استراتيجية أساسية، ورغم أنّه موقف يتّخذه المسلم أساساً في الحركة، إلاّ أنّ الاستراتيجية تتغيّر وفق موقف الطرف الآخر.

مجالات الحوار

تتنوّع مجالات الحوار الإسلامي بتنوع أطرافها ووسائلها وموضوعاتها ولهذا التنوّع أكثر من معيار للقيم، فعلى أساس معيار أطراف الحوار، يمكن تقسيمه إلى:

- حوار بين الأفراد (عامة الناس، أو النخب، علماء دين ومفكّرين أكاديميين ومثقفين وغيرهم)؛
- حوار بين الشعوب؛
- حوار بين الجماعات؛
- حوار بين المذاهب؛
- حوار بين الحكومات (ثنائي أو في إطار المنظمات والمؤسسات)؛
- حوار مع الأديان الأخرى؛
- حوار مع المدنيات والحضارات الأخرى.

كما ينقسم على أساس معيار الوسائل إلى:

- حوار مباشر، يتم بين أطرافه بحضور عامة الناس أو عبر وسائل الاعلام (التلفزيون، الإذاعة... الخ)، وهو الحوار المباشر المفتوح الذي يصطلح عليه عادة بـ«المناظرة»، أمّا الحوار المباشر المغلق، فهو الذي يجري بعيداً عن الآخرين، ويقتصر على المتحاورين وبعض المراقبين.
- حوار غير مباشر، عبر الصحافة أو الرسائل (أو المراسلات) أو عبر طرف ثالث.

---

١) النحل، ١٢٥.

وعلى أساس معيار المادة أو الموضوع، ينقسم الحوار إلى:

- علمي (فقهي، عقائدي، أو مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية الاجتماعية أو البحتة والتطبيقية)؛
- سياسي (ما يرتبط بالشأن السياسي العملي أو النظري)؛
- فكري؛
- ثقافي؛
- اجتماعي؛

وغيرها.

ومن خلال استعراض هذا التنوع في الحوار، نريد القول أنّ لكلٍّ منهما أساليبه الفنية وآدابه وقواعده ومنهجه، وبالتالي فإنّ القيم العلمية والأسلوبية تختلف إلى حد ما بينها. ولكن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية تبقى قاعدة مشتركة لها جميعاً. وقد ركّزت المرجعية الإسلامية من خلال النصوص على هذه القيم، وفصّلها وشرحها الفقهاء وعلماء الكلام والأخلاق، كلٌّ من زاويته ومدخله العلمي. ومع التطوّر الهائل والتغييرات المتسارعة في أنماط الحياة وأساليب الحوار والتخاطب، دخلت معادلات قيمية جديدة في صياغاتها، وليست جديدة في أصولها، وهي ممّا ينبغي اكتشافه والتعرّف عليه وأسلمته.

عناصر الحوار

يمكن تقسيم أهم عناصر الحوار إلى: الأطراف، الموضوع، الأهداف، الإدارة والتحكيم، الزمان، المكان، المنهج، الأسلوب، النتائج.

ومن خلال استعراض هذه العناصر بشيء من التفصيل نأتي على البعد القيمي الإسلامي حيال كلٍّ منها، بالصورة التي تحقّق غايات الحوار، كالغاية الفنية المتمثلة بتقنين حالة الاختلاف والتركيز على إيجابياتها وتفتيت سلبياتها - كما ذكرت.

١. **أطراف الحوار:** ينبغي توفّر مجموعة من المؤهلات في شخصية

المتحاورين، على الصعد الذاتية والموضوعية، تكفل لنجاح الحوار مدخله الأساسي. ومن أهم هذه المؤهلات:

أ. التساوي في الرغبة والتكافؤ في حرية الطرح، فلابدّ أن لا يكون أحد أطراف الحوار مقحماً أو مجبراً على الحوار أو مضطراً له تحت ضغوط التهديد، بأنواعه: الاجتماعي، السياسي، بالسجن أو الموت أو الطرد أو تلبيس التهم، أو تحت ضغوط الحياة والاغراء. فمثل هذاالحوار مهما كانت نتائجه، ليست له قيمة علمية أو دينية أو أخلاقية؛ لأنّه يفتقر إلى أبسط أسس الحوار الحقيقي وآدابه؛ لأنّ أطراف الحوار هنا لن تكون متكافئة في القدرة والحرية، فبعضها يحاور من موقع القوة والاقتدار والاستكبار والآخر من موقع الضعف والاضطهاد. فهناك ـ إذن ـ فرق كبير بين الحوار (الثقافي والفكري والسياسي) بين أطراف متكافئة، والحوار بين الغازي (العسكري والثقافي والسياسي) والمنهزم أو المدافع، والحوار الثقافي والحضاري الحقيقي مثلا يدور في إطار الاحتكاك أو التبادل الثقافي، في حين أنّ الحوار في إطار الغزو ليس له أي معنى؛ فالغازي الثقافي يسلب من الحوار كل إيجابياته، ويمكن أن يجري الحوار حتى خلال المعارك العسكرية، فضلا عن المعارك الفكرية والسياسية، بهدف إلقاء الحجة على الخصم، شرط ضمان عنصر التكافؤ في حرية الرأي، وإلاّ يكون حواراً من طرف واحد. وفي السيرة والتاريخ الإسلامي نماذج فذّة من مواقف الحوار أثناء الحرب لإقناع الخصم ومحاججته في محاولة لتجنُّب ويلات الحرب وليكفي المسلمون شرها.

ب. التسلّح بالعلم والمعرفة في موضوع الحوار، فهو أساسي لدخول الحوار وكسبه موضوعياً: ⸮♎⌧⌚☼⍓☼☹⬀ ♎⌧⌚☼⬧→⬧✋↗♎

❍⌧⌚⌧↗⇧☞⬅⚐⬄ ▫♎⑩☺⌧✍ ⚘⬧▤↗☠ ✍☜♐❍♎⌚

⬂♎▪⌧▫☠⌧ ▫⬧▪♐☠⌘ ✍➔⬧⌧✍✍♊⑩❑♍☞ ▫♎⑩☺⌧✍ ⚘⬧⑩⬂▪“

﴿⌧☠▫◘♋⬂ ⌚♋❍⧅✍ ☠⬈▤⬩♋◉﴾؛[1] فالحوار الحقيقي ينبغي أن توضع له مقدمات موضوعية ويسير وفق أسس علمية. ولا يتحقّق هذا الجانب دون تخصّص المتحاورين في موضوع الحوار وإحاطتهم الكافية بحقائقه. ويضرب الله تعالى مثلا في من يحاور في أمر وجود الله ووحدانيته وهو لا يفقه شيئاً في هذا المجال ﴿❐◆♋⌘♊ ✃♐◉☪□♐□⬂♊ ⑥⬈♑□⑨♋✌⬉ ❐◆⬩⬩ ⌧▫◘♋⬂ ♍❸⬀❷◆⬄♍✍ ★✎♐✃ ❼♍× ⑧⚘⑨➔♎ ❐◆⬩⬩ ♋⬇◆⚘☝ ⬂◘⑩☪♋❷❸◉♍﴾[2] وحتى لو كان الحق مع الطرف الضعيف علمياً؛ فإنّ هذا الحق سيضيع بين ثنايا الجهل، وقد تترتب عليه آثار سلبية تؤدّي إلى ظهور الباطل بمظهر المنتصر، ممّا يتسبّب في تزييف الحقيقة وانحراف وجهات نظر عامة الناس. وإذا كان الهدف من الحوار تحقيق فائدة علمية، فينبغي كذلك أن تكون الأطراف ضليعة في مجال موضوع الحوار. وهنا يشترط الإمام الغزالي على طرف الحوار «أن يناظر مع من هو مستقلّ بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحق»[3].

ج. التحلّي بسلوكية لائقة، فالغضب والتشنُّج والتهريج والحقد والرياء والفرح بمساندة الطرف الآخر والاستكبار عن الحق، ستنتزع من الحوار أيّة قيمة وتدخله في دائرة المنازعات والصراع، في حين سترفع الصفات المعاكسة كالهدوء والتروّي وضبط النفس واللين والمرونة وعموماً التوازن في المشاعر، سترفع من مستوى الحوار إلى دائرة النجاح والتأثير وتحقيق أفضل النتائج.

وهنا يبيّن الله تعالى لرسوله الكريم قاعدة عامة في التحاور مع الآخرين، تقف على أساس اللين والمرونة والتسامح: ﴿❐◆◉⬩❑ ✍⬈✡☼💣✿ ▫⬩➔⑧✍ ⬊⌧◘❍⓿⬆⌧ ✃✍♐◉⬂☽⬩◘▫◘✍ ⬩☸☼▦⌧❀⑥❑✃☎

---

١) آل عمران، ٦٦.

٢) الحج، ٨.

٣) الفيض الكاشاني، «المحجة البيضاء في شرح احياء الدين»، للغزالي، ج١، ص١٠١.

[illegible] [1]. فالله تعالى يأمر الرسول' بالتشاور مع من قد أساءوا إليه، بعد أن يعفو عنهم ويستغفر لهم كما أمر من قبل موسى وهارون': [illegible] [2] ونقل المفضّل ـ أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق× ـ حادثة تحمل دلالة قيمية مشرقة في هذا المجال: فخلال تحاوره مع أحد الزنادقة، تشنّج الموقف وغضب المفضّل عليه، فقال له الزنديق: إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا، وأنّه الحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرّف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننّا أنّا قطعناه وغلبناه، دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير، يلزمنا به الحجّة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً فإن كنت من أصحابه فخاطبنا مثل خطابه» [3].

٢. موضوع الحوار: ينبغي قبل بدء الحوار تحديد نقاط الإبهام والاختلاف، والمادّة التي يتعيّن التحاور فيها ليكون الموضوع واضحاً ومحدّداً، فالحوار قد ينحرف باتجاهات أخرى ويكون مضيعة للوقت إذا تبيّن لأطرف الحوار أنّهم كانوا يتحاورون في موضوعين أو موضوعات مختلفة. وهذا العنصر أطلق عليه العلماء القدامي اصطلاح «تحرير محل النزاع» وقالوا بضرورة

---

١) آل عمران، ١٥٩.

٢) طه، ٤٣ و ٤٤.

٣) كتاب التوحيد للمفضّل ـ انظر أيضاً ـ في مجال أدب المناظرة والحوار ـ ماورد عن النبى' وأهل بيته في كناب الاحتجاج للطبرسي.

تشخيص أبعاد النزاع ليكون الاستدلال منتجاً وعدّوه شرطاً منطقياً لا حاجة للاستدلال عليه[١] ويفترض هنا لحاظ جميع الجوانب ذات العلاقة بالموضوع؛ فهناك جوانب مهمة قد لا تلحظ، ولكنها تترك أثرها على النتائج.

٣ـ أهداف الحوار: تكمن قيمة الحوار في هدفيته، والمتمثّلة في اكتشاف الحقيقة والتعرُّف عليها وبلورة شكلها ومضمونها، على اعتبار أنَّ «الحكمة ضالة المؤمن». وهذا الهدف يعطي للتجرّد والنزاهة والموضوعية في الحوار معنىً حقيقياً، بالصورة التي يطرحها القرآن الكريم: ﴿[illegible]﴾[٢]. أمّا الحوار الذي لا يحمل هدفاً معيناً ولا يترك أثراً علمياً أو فكرياً، فهو عديم القيمة والفائدة. وتنطبق هذه القاعدة أيضاً على الحوارات التي تدور حول أمور افتراضية وخيالية ولا علاقة لها بالواقع[٣]. وتتنوّع مناهج الحوار ـ كما سيأتي ـ بتنوّع أهدافه، فهناك الحوار النقدي، الذي يتلخّص في تقويم كل طرف لممارسات وأفكار الطرف الآخر بشكل نقد موجّه. وللنقد من جانبه آداب وشروط، تبقيه في حدوده الشرعية والعقلانية، وتحافظ فيه على روح الانعتاق والتقويم الصحيح والمحاسبة الهادفة والنقد البنّاء. وهناك أيضاً المدارسة التي هي لون من ألوان الحوار، وهدفها يدور حول الموضوع فقط، ليست لها أهداف خاصة أو ذاتية، وبالتالي الوصول إلى نتائج متّفق عليها، ولا توجد لدى أطرافها أحكام نهائية مسبقة. أمّا المحاجّة فهو حوار الإقناع وإقامة الدليل، وهدفه تفنيد وجهات نظر الطرف الآخر ومحاولة استيعابه وجذبه وهدايته، أو إيصال رسالة إلى

---

١) انظر: الجويني، «الكافية»، ص ٥٤٠، والسعدي، «قاموس الشريعة»، ج٣، ص٦.

٢) سبأ، ٢٤.

٣) يقول الغزالي بأن المناظرة لابدّ أن تدور حول «واقعة مهمة أو مسألة قريبة من الوقوع». انظر: «المحجة البيضاء»، ج١ ص١٠٠.

الآخرين وتنبيههم وتوعيتهم.

٤. الإدارة والرقابة والتحكيم: هذا العنصر الفني ضروري جداً لتحسين أداء الحوار وضمان تحقيق أهدافه وتنفيذ نتائجه. فالإدارة لا تدخل طرفاً في الحوار، بل تتلخّص مهمتها في تنظيم الحوار وضبطه وتوفير الفرص المتكافئة للمتحاورين ومراقبة أساليبهم ومناهجهم، ثم التحكيم بينهم في حالات معينة. وتفرض هذه المهام شروطاً ومواصفات في عنصر الإدارة والرقابة والتحكيم أهمها: المقبولية لدى أطراف الحوار كافة، والحياد والموضوعية والتجرّد، وحساب النتائج بدقة، وعدم تغليب طرف على حساب آخر، إلاّ في حدود الحقيقة، وحتى لو كان لهذا الجهاز أو بعض أفراده خلفيات فكرية وسلوكية ورؤى تتفق أو تختلف مع أحد الأطراف، ولكن ينبغي أن لايكون لها مدخلية في الإدارة والتحكيم.

٥. مكان الحوار: عدم وجود أي نوع من المؤثّرات التي تنعكس سلباً على أحد الأطراف أو مجموعهم أو على المراقبين، هو ما ينبغي أن يكون عليه مكان الحوار. وقد يتمثّل هذا المؤثّر في أجواء استفزازية أو انفعالية أو صاخبة، أو مؤثّرات ناتجة عن أجواء التهويل؛ فيكون المتحاورون منساقين حينها وراء تأثيرات العقل الجمعي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القرآن الكريم من أجواء الانفعال والاستفزاز التي كان المشركون يخلقونها للتأثير على مسير الحوار الذي يقوم به الرسول’، ولاسيما بعد اتهامه ـ والعياذ بالله ـ بالجنون، وهنا يطلب القرآن من الرسول’ أن يدعوهم إلى نبذ هذا التهويل والصخب، والتأمل في التهم التي وجّهوها له بغية استئناف الحوار في إطار الموعظة الحسنة ولكن بعد أن يتفرّقوا ويبعدوا عنهم هذا الجوّ المصطنع : ﴿⇗✍➔♫

☎ ⚇☐⍓⑨&❍◷◆❑⍉✉ ☠↗▤⓿➔&↖❒🕮 ✎✍⍓☺✵✡⍉◑

▤✈☐♉⬀⌖♦✌ ★✎ ☎✁❑↖✌❑➔◑⬩✍ ♌❒🕮

✍♦✌ ▤ ☎✁❒↖❷⊙⌛☒▦♦☝⬩✍ ❍⚐➔⚐ ▤❽⍓⑩◷♦❷➔▫◆❒

﴿✉♎✂⌛♎♋❍✍✿⌚♎✉ ✌♓♋♊ ♉⬀⬁☾☐◼☹﴾[1]

ولا شكّ أنّ ذلك يترك أثره في خلق أجواء خاصة وتأثيرات نفسية هائلة على المتحاورين أو الحضور أو المراقبين.

٦. **زمان الحوار:** وهو عنصر مهم في اختيار الموضوعات والأهداف ينبغي في تحديد زمان الحوار مراعاة ظروف أطراف الحوار من النواحي الاجتماعية والنفسية والاستعداد العلمي، وظروف انعكاس الحوار على الآخرين، وأهمية موضوع الحوار زمانياً؛ فربّما يكون لموضوع بعينه أهمية خاصة في زمان ما، ثم تعدم هذه الأهمية في زمان آخر.

٧. **منهج الحوار:** وهو النظام الذي يسلكه الحوار وفقاً لمجموعة من القواعد العامة[2]. ومن بديهيات الحوار العلمي أن يكون منهجه واضحاً ومرسوماً سلفاً، ويفترض بأطراف الحوار أن تكون متفقّة على قواعده؛ لكي يكون ملزماً لها جميعاً، كما تذكر الآية الكريمة: ﴿📖❒✌⬆♑❍⌚⑨♎⛆⬀❑☼♦♉✍✍♦ ×♎♉☑

✎✍☐♌☺❐☐✈⬅❐☐♎☐✎✍ ♑❒📖 ♒☐☺⬄♒❒📖

❒ ♦⬀♦✂♍✎♦⬀♦✍✎ ☠ ♌✍☐ ☼♦❽☐✌♦ ⬄⬅☞☼❒📖

✂✍✎✦ ⌸♋♌✎◼✍ ♎♉✌ ♒⬅◼▫⬅♦⌚♊⛆﴾[3]، فهذه الأسماء أراد المشركون أن يفرضوها جزءاً من منهج الحوار، ولكنّها لا يمكن أن تكون ملزمة لمن لا يؤمن بهذا الجزء من المنهج.

ونطرح هنا أهم معايير منهج الحوار العلمي في إطار الرؤية الثقافية الاسلامية.

أ. التعارف والتوعية والمقصود منه تعرّف كل طرف على حدود معينة من

---

١) سبأ، ٤٦.

٢) انظر: الصحاح في اللغة (المعجم الوسيط)، مادة نهج.

٣) الأعراف، ٧١.

حقائق الطرف المقابل ومعتقداته وآرائه، من مصادرها نفسها، وليس من مصادر غيره، ولا سيما أعدائه، بهدف التمكُّن في إلزامه بما ألزم به نفسه الاحتجاج عليه بمصادره نفسها. وكذلك مبادرة أطراف الحوار إلى التعريف بمعتقداتها ووجهات نظرها ويدخل في هذا الإطار مبدأ التوعية؛ فالإسلام دين التوعية والتربية، وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي إنسان يراد له أن ينضمّ إلى معسكره، وأي مجتمع يراد للإسلام أن ينفذ إلى عمقه... أنّه يعرض جوهرته الثمينة؛ لأنه يعلم أنَّ قيمتها ستتكشف بكل وضوح للجميع، ولذا فهو يرفض التقليد في العقيدة، ويرفض عملية الإكراه العقائدي، ويدعو أتباعه إلى أن يكونوا أقوياء في البصر والبصيرة ويأمر ـ في مجال التعامل مع الآخرين ـ بالدعوة الواضحة قبل كل شيء[1].

✎🔔♦➘⌧⑩ ♊●☺♉♓✌ ☪•⬀❑•🔔 ⇦♊✿○⇧❍❒📖 ⇳♊♦✌◆❒﴿

♦✌✍•🔔◆❒ ✍☯•♐◘🕔✿🕒 •✍♉☺♦⬉◆❒ ★✎✍✁ ❼■🖫♐◗

⬀✍➔🔔﴾ ،[2]﴿♦×✓♉☺♐◘⬄○⇦☺⬂⑩✍✁ ⌘♊♉✌ ⌀⌀♉✵☼♐◗

❼■🖫♐◗ ☎✁☑❑⬉⬉⬃⑩❒📖 ☑❼⌀✍⑩♐⌛⌧♋ 🕘⌀■☞⓿🕔⌧♎

🏲✍♦☼❒📖 ⚇❑◆❸❷⬁🕔♦📪 🗐❼■✍♦⬉ 🗐 ★✎✍✁

❒◆✌♦♊⬀ ✁✍✍❑⌛♦➔⌧♉⌀⌀﴿[3]. وبالنسبة إلى الحوار مع غيرالمسلمين، فإنّ البداية تكون بحقائق الرسالة ومعالمها الرئيسية، معزّزة بالحجج والبراهين، وفي إطار النقاش المنطقي السليم[4]. وتنقل كتب الحديث أنّ الرسول’ حين بعث الإمام علي× إلى اليمن قال له؛ «يا علي لا تقاتلنّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدي الله عزوجل على يديك رجلا خيرٌ

---

١) للكاتب نفسه، «الاسس المهمة في النظام الاسلامي»، ص ١٢٧.

٢) فصّلت، ٣٣.

٣) يوسف، ١٠٨.

٤) الشهيد السيد محمدباقر الصدر، «اقتصادنا»، ج١، ص٢٧٥.

لك مما طلعت عليه الشمس وغربت[١]».

ب. الوضوح: أي استخدام المنهج الصحيح بصورة واضحة دون لبس أو تورية أو التواء، وعدم الخلط بين الحق والباطل، حتى من أجل الوصول إلى الحق كغاية تبرّرها الوسيلة! يقول الإمام الصادق×: لا تمزج الحق بالباطل، وقليل من الحق يكفي من كثير من الباطل[٢]. ومن أساليب الإبهام في الحوار كما يقول الإمام الجويني: الاحتيال على المحاور حتى يخرجه عن محل تساؤله، وتوجيه كلامه إلى وجوه محتملة[٣]. إضافة إلى استخدام المغالطات والسفسطة في المنهج.

ج. الموضوعية: ومن أبرز عناصرها التجرّد ونبذ التعصّب والابتعاد عن القناعات السابقة والمواقف المبيّتة والأحكام المعدَّة سلفاً خلال تنفيذ الحوار، حتى لو كانت أطراف الحوار على يقين مطلق بمعتقداتها ووجهات نظرها؛ فهذا التجرّد يخلق جواً من الصدق في الوصول إلى الحقيقة كهدف نهائي للحوار، مهما كانت هذه الحقيقة، على النحو الذي يدعو فيه النبي’ الآخرين [illegible][٤] وهذه الدعوة هي قمة التجرّد والاستعداد لتقبُّل نتائج الحوار مهما كانت وأينما كانت، رغم اليقين المطلق للرسول الأعظم’ بصحة معتقداته. يقول الفيض الكاشاني في حديثه عن شروط الحوار: أن يقصدبها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق، لظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فإنّ ذلك مراء منهي بالنهي الأكيد.

---

١) رواها الحر العاملى في «الوسائل»، ج١١ ص٣٠.

٢) الكافي(الكليني)ج١،ص١٧٣.

٣) الجويني، «الكافية»، ص٥٤٢ - ٥٤٩.

٤) سبأ، ٢٤.

ويضيف: «أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالّة، يكون شاكراً متى وجدها، ولا يفرق بين أن تظهر على يده أو يدي غيره، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر الحق»[١]. وهذا يعنى أنّ الموضوعية لا تلتقى مع هدف استعراض القابليات العلمية خلال الحوار، أو القدرة على امتلاك أدوات الجدل، أو التنكيل بالخصم. ومن شروط الموضوعية في منهج الحوار تقديم الدليل على الرأي والفكرة برهاناً على صحتها وصدقها: ♌♑☽ ⬀☠➔⌛◆☪🕐⬓♎⬀❷⬅📪 ☎✂❑➔✍✍⬓♎ ⬀✍➔🔔❃ 🗎➔☪☝⬅⚐⬄ 🕒❁🕐⑨♉🔔♉✓▫✍❃[٢]. والشرط الآخر هو التقيّد بالحقائق والأفكار التي يعتقدها الطرف الآخر، والاحتجاج بها، وفقاً لقاعدة «الزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، وعدم الاحتجاج بما يفهم المحاور من حقائق الآخر، أو الاعتماد على ما ينقله الخصوم والأعداء، وهذا الشرط هو تتمة لمعيار التعارف ، كما ذكرنا.

د. اعتماد المشتركات: فلابدّ ـ ابتداءً ـ من اكتشاف الحقائق والمرتكزات المشتركة بين الطرفين؛ لتكون قاعدة رصينة يقف عليها المتحاورون، مقدّمات واقعية ينطلقون منها للوصول إلى حقائق كلية: ❃🔔➔✍⬀ ③◆🕐✵🕯❒♎⬃✍• 🗐❼■🖫♑☽ ☎✂⬀❑⬩♐✍✍⬓➔⬩✍ ⬃🖬🕐◆☝⬁🗏⬂♐✍✍✂ ✍◆☪❑✡⬃❹◆📪 ◎↗✎✂◆❑⬓♒ 🖮❑⬓☺♑🖬•🗎 ❒◆📪◆❹⬃☪◆🗏↗📪⬀❃[٣].

٨. **أسلوب الحوار:** ويقصد به آداب الحوار وسلوكيات المتحاورين، وقدّمنا في الحديث عن أطراف الحوار قسماً من المؤهلات السلوكية التي ينبغي أن يكون عليها أسلوب الحوار كاللين والمرونة وضبط النفس والتوازن في

---

١) «المحجة البيضاء»، ج١، ص٩٩ ـ ١٠٠، و«احياء علوم الدين»، ج١، ص٤٣.

٢) البقرة، ١١١.

٣) آل عمران، ٦٤.

المشاعر وغيرها، إضافة إلى الانفتاح السلوكي المدروس على الطرف الآخر، واحترام مشاعره ومعتقداته، ومحاورته بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن، فهذه الأساليب كافية لتترك في نفسه انطباعاً جيداً عن شخصية المحاور وطبيعة أهدافه ومعتقداته. أمّا الأساليب السلبية، كالتحريض وإثارة الفوضى والشغب، والتحامل والتشنج والتعصب الأعمى والتكبر، واستخدام أسلوب المغالطة، والانكماش والتهرب، والاستهزاء والسخرية، فهي مرفوضة في الحوار المنشود، وقد نهى الإسلام عن ذلك: ﴿ ••◆❒ ✌⬆♑❑🕐⑨♉♐❑☑✁☎ 🕮❑♎⬀✍• ✁✍♐♐♏⬂⌛☝♦🕐🖬✐ ❍✆♑🖅✍✍♐♏⅄☹✐⌀♎♉❻" 🕮❑❍⇳❍✽♊← ﴾[1]، فكيف بالحوار بين المسلمين أنفسهم! فقيمة الحوار في الرؤية الإسلامية لا تعرف المهاترات والسباب؛ لتسببها في انعكاسات سلبية حادة. يقول تعالى ﴿ ••◆❒ ✍■❍⓿🖮♋❑✁☎ ✁✍✎⅄🔔♉⇦▫♒ ③♦⑨⇳⇖⇖❑♌♦ ✌♉♊ ⑩←❑♌⬀ ★✎✍✁ ▫♦⑩◆❍⓿🖮♋❑✁☎ ✁✍✎⅄ ⇖♦⑨⇳❑☺✁ 🖅♐⬄♦❷⬀❸♐ ⊻♉🖬▫🏱🗄 ﴾.[2] وتدخل هنا قيم سلبية أيضاً، كالاتّهام والافتراء والتفسيق والتهديد بالإخراج عن الدين والرمي بالارتداد، دون تمحيص وبحث عقيدي وفقهي واف، فللارتداد والتكفير معايير وقواعد دقيقة جداً بحثها الفقه الإسلامي بعناية، بالصورة التي لا يكون فيها هضم لحق أحد وسلب لحقوقه الاجتماعية الإنسانية. فالتسرّع في إطلاق الأحكام خلال الحوار، لتحقيق أجواء غير موضوعية، تتقاطع تماماً مع الرؤية الإسلامية، فضلا عن أنّ هذه الأساليب ـ لا سيما التهديد بالعدوان وسلب الحقوق الاجتماعية والحكم المتسرِّع وغير المدروس بالردّة والكفر ـ تؤدّي إلى وضع عكسي، ونجد أنّها تسبّبت في بروز ردود فعل عنيفة ضد الدين، بالصورة التي حدثت حيال أساليب الكنيسة في التعامل مع الآخرين خلال

---

١) العنكبوت، ٤٦.

٢) الأنعام، ١٠٨.

عصور أوربا الوسطى، ثم أدّت إلى ظهور ألوان فاقعة من الإلحاد والانحراف والعلمانية والسقوط والتطرُّف.

والإسلام يأمر بعدم مواصلة الحوار عند تجاوز الطرف الآخر حدود الحوار وآدابه كممارسة الاضطهاد والتهديد والافتراء والتهريج: ﴿[illegible]﴾[1]، أو إصراره على عدم قبول الدليل والحجة والبرهان، رغم وضوحها وقاطعيتها: ﴿[illegible]﴾[2]، حينما يدخل الحوار مرحلة العبث وتضييع الوقت، ويستحيل خلالها تحقيق فائدة بالصورة التي يصف فيها القرآن الكريم حوار رسول الله ' مع الكافرين: ﴿[illegible]﴾[3].

١) النساء، ٦٣.

٢) هود، ٥٣.

٣) البقرة، ٦ و ٧.

من جهة أخرى ينبغى اتفاق الأطراف على لغة حوار مشتركة[١]، وعلى مستوى علمي وفكري معين من اللغة؛ لكي يحصل التكافؤ في إيصال الرأي والرأي الآخر، كما في الحديث الشريف: «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[٢]. والواقع أنّ الخطاب الإسلامي الجديد المتطور، ينبغي أن يسود لغة الحوار الإسلامي المعاصر؛ فلكل مرحلة خطابها ولكل مرحلة لغتها وأساليبها الفنية الناجحة في الحوار، على اعتبار أنّ هذا الجانب متجدّد يدخل في إطار المتغيرات، شرط أن لا يخرج التجديد عن الثوابت الاسلوبية في الحوار الإسلامي، وهذا التجديد تعبير عن دينامية الإسلام وقدرته المطلقة على استيعاب كل متطلبات الزمان والمكان وتلبية حاجاتهما.

٩. نتائج الحوار: وهي ما يترتب على الحوار بعد انتهائه من حقائق وأرقام جديدة تعلن عن تفوق أو انتصار أو براءة أحد أطراف الحوار، وتؤدّي بالطرف الآخر إلى التحوّل في الرأي كلياً أو جزئياً أو تدفعه لمراجعة ذاتية لآرائه ومعتقداته التي تعرّضت للنقد والاهتزاز والهزيمة، وكذلك مراجعة أخرى لأساليبه ومنهجه وخطابه. وقد ينتهي الحوار بتراضي الطرفين وتفاهمهما أو تساويهما في النصر والهزيمة، أو إقدامهما على حالة وسط جديدة. والمهم هنا هو قبول كل أطراف الحوار بالنتائج مهما كانت، وعدم التعصّب والاعتزاز بالخطأ. وبديهي أن يكون لجهاز الإدارة والتحكيم الدور الأساسي في حساب النتائج، بالوسائل الموضوعية التي سبقت الإشارة إليها.

وقد يكون مفيداً هنا طرح تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال الحوار، فهذه التجربة دون شك غنية كمّاً ونوعاً ولعلّ نجاح الجمهورية

---

١) المراد هنا الجانب الفني في اللغة أو الخطاب، كاستخدام المصطلحات التخصصية، والمستوى العلمي في التعبير عن الرأي وأسلوب طرحه، والاستفادة من بعض المعارف والعلوم التخصصية، التي ربما يجهلها الطرف الآخر؛ فيكون الحوار حينها كحوار الطرشان ـ كما يعبرّون ـ.

٢) المحاسن، ج١، ص ١٩٥.

الإسلامية في دفع هيئة الأمم المتحدة لإقرار مشروعها بتسمية عام ٢٠٠١ م عاماً لحوار الحضارات، هو تعبير عن نضوج تجربة الحوار فيها، وبناءً على ذلك، تم تأسيس مركز علمي تخصّصي في طهران يأخذ على عاتقه المساهمة في تنفيذ مشروع الحوار بين الحضارات. وسبق للجمهورية الإسلامية أن طرحت عدة مشاريع رائدة أخرى، تحوّلت بمرور الزمن إلى مؤسسات وأجهزة فاعلة، وفي مقدمتها مشروع الحوار بين المذاهب الإسلامية، الذي نشط منذ أوائل الثمانينات، ثم تبلور في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وكذلك المؤتمر العالمي السنوي للفكر الإسلامى، ومشروع الحوار بين الأديان الذي يمتلك أمانة عامة دائمة تعقد ملتقيات ومؤتمرات دورية على مدار السنة. أمّا في الشأن الداخلي، فإنّ الحوار الدائم والمناظرات بين الجماعات السياسية الاتجاهات الفكرية والثقافية عبر وسائل الاعلام والصحافة أو في التجمُّعات والندوات، يكاد يكون المنشط الأساسي الذي يميّز الساحة الإيرانية. ولعل آلية الحوار والنقد التي اقرّتها الثورة الإسلامية منذ اليوم الأوّل، ساهمت كثيراً في كشف السلبيات، وفي النظرة إلى المشاكل والمعوّقات نظرة موضوعية وواقعية. وما زال الحوار والنقد البنّاء يعطيان لمناخ الثورة مرونة عالية في التعامل مع قضاياها؛ لتأتي المعالجات والحلول في إطار دراسات واعية تستوعب الرأي والرأي الآخر.

التعايش في الرؤية الإسلامية

في أجواء الاختلاف يكون التعايش على أساس التعدّدية التي يرتضيها الإسلام، هو الحل الكفيل بتجنب مشاكل الصراع والتضارب في الرؤى والأفكار والمعتقدات بشتّى ألوانها ولا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك، وصهر الجميع في بوتقته، كما لا يعني التنازل عن الحق أو توزيعه على المتعايشين بنسبة متساوية، وفقاً لمفهوم التعدّدية «بلوراليزم» الذي يفهمه الغرب، بل يعني أن يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص، ويمارس نشاطه الديني أو المذهبي أو الفكري أو السياسي، في إطار الحقوق والحريات

العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة، والتي لا تسمح لأي طرف بسلب حقوق الآخرين أو الإخلال في أمن المجتمع، مهما بلغت قوة هذا الطرف عدّة وعدداً. والصورة المثلى للتعايش هي صورة دولة المدينة التي كان اليهودي والنصراني يعيشان فيها بأمان إلى جانب المسلم وفي كنف الدولة الإسلامية، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتّعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماماً، وهكذا تعايش المهاجرون إلى جانب الأنصار، تعايش الأوس والخزرج معاً، بل كان يعيش فيها أتباع التيارات الفكرية والسياسية التي تشكّل لوناً من المعارضة، وفي المقدمة تيار المنافقين والمشركين: {[illegible]}[1] لقد استندت الرؤية الإسلامية في مجال التعايش مع الآخرين إلى أساسين رئيسيين، هما:

١. المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم؛

٢. الصلات والرحمة الإنسانية والعلاقات الأخلاقية.

ويستقي التشريع الإسلامي في كل مجالاته من هذين المعنيين فيعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتّى جوانبه.

أمّا العناصر الرئيسية التي تحدّد نوعية العلاقة بين المسلمين وغيرهم كآلية

---

١) الكافرون، ١-٦.

للتعايش، فأهمها:

١. **الأمّة... النموذج:** يصف القرآن الكريم الأمّة الإسلامية بالوسطية، يريد به النموذج الأسمى، والأمّة الشاهدة التي كانت خير أمة اخرجت للناس، وهذا العنصر يدفع الأمّة باتجاه السمو والتكامل في كل المجالات، والاستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، ويعني ذلك الانفتاح على مجالات الحياة وحمل رسالة إنسانية حضارية كبرى.

٢. **المبدئية:** وتقضي بنوعين من التعايش: الأوّل بين المؤمنين، وهو تعايش أخوي. ويعني وحدة الأفراد في مجمل الشؤون، والنوع الثاني مع الآخرين، ويحدّد طبيعته مقدار قرب أو بعد هؤلاء عن المبدأ الإسلامي، الذي يحدّد مضمون التعايش معهم، كأن يكون ودِّياً أو حسناً أو يشوبه القلق.

٣. **نفي السبيل على المؤمنين:** ويعني أنَّ أيّ تصرف أو وضع معاهدة تؤدّي إلى تفوّق الكافرين على المسلمين يعدّ ملغياً من أصله {❒◆◙♐♦♊
⑥♦♑⍓➔⍓⍓♦ ✂✍✍✦ ♐◙⍓⍓⍓⍓♦⍓⑵⍓⇦×♦ ⇖♦✍■❼
✂✍✍✈▫☼⇐♦✍✌⍓☪⍓✓×♦ ♒⍓⍓⍓⓿⊠⍓}[1] وهذه القاعدة تعدّ من القواعد الثانوية التي تستطيع الحكم على الأحكام الأوّلية بمجموعها. وهذا التوجُّه لا يعبِّر عن نوع من التكبُّر، إذ تعمل هذه القاعدة على أساس معايير إنسانية.

٤. **التوعية والدعوة:** فالتعايش لا يعني تجاوز حقائق الإسلام التي تؤكّد على استمرار التوعية والدعوة. ويقتضي التعايش المتوازن والعلاقات السلمية بين فئات المجتمع أن تركّز التوعية على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن: {▫♦✂⍓⍓♦⍓◙⍓⍓① ▫♦✍✍⑩⍓⬋⬈ ☎
❒◆✂✍✍♋⇔☞♦⍓⍓⍓☠⍓ ⍓♦☺⍓✍✎ ⍓⍓↑✌⍓❷⍓☠❁ ☎ ❒◆♦♦

---

١) النساء، ١٤١.

{[illegible]}[1].

٥. العدالة: يشكل العدل أهم أصول التصوّر الإسلامي للواقع، وأهم الأسس عند التعامل الاجتماعي {[illegible]}[2] ولعل الآية الكريمة: {[illegible]}[3] تعبّر بدقة عن أهمية العدل في معادلات التعايش، حتى في حالات التوتر التي يكاد أن ينسى فيها العدل. ومن خلال النظر إلى طبيعة تعامل دار الإسلام مع غير المسلمين، ندرك البعد الإنساني في عنصر العدل، وهو ما يفسّر أيضاً وقوف الإسلام إلى جانب المستضعفين والمحرومين في كل مكان.

٦. تأليف القلوب: في الأجواء التي يحكمها تأليف القلوب، تنفتح النفوس على الحقيقة وتتقرّب إلى الواقع ويعود هذا العنصر إلى تشريع سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، والذي فتح المجال للوقوف إلى جانب المستضعفين والدفاع عن قضاياهم واجتذابهم نحو الإسلام، والإنفاق عليهم بما يحقق مصلحة الإسلام العليا، وتعميق التعايش الإيجابى بين مختلف اتجاهات المجتمع.

٧. الوفاء بالعهد: ويقصد به الوفاء بكل العهود والاتفاقات التي تعقد بين المسلمين وغيرهم {[illegible]

---

١) الشورى، ١٥.

٢) النساء، ١٣٥.

٣) المائدة، ٨.

[illegible] }[illegible]{[1]. ومن هذه العقود ما صرّح به الإسلام وحدّد لها قوانينها العامة، ومنها ما يرى ولي الأمر ضرورتها لتحقيق مصلحة إسلامية عليا. ومثال الأولى: عقد الهدنة وعقد الأمان، ومثال الثانية؛ العقود الاقتصادية والعسكرية وغيرها.

٨. **التعامل بالمثل:** مبدأ جزاء الإحسان بالإحسان، ومبدأ القصاص، مبدآن واقعيان يرتضيهما المنطق الإنساني والتعامل الفردي والاجتماعي[2]، هدفهما ردع الاعتداء واستقطاب القلوب. يقول تعالى: {[illegible]}[3]. وهو يعني باختصار التعامل مع الآخر بالمثل: {[illegible]}[4].

ولعل تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال التعايش هي من التجارب المهمة على صعيد التطبيق؛ لما تمثّله ايران من دولة تتميّز بالتعددية في كثير من المجالات، فهناك أتباع ثلاث ديانات ـ النصرانية، اليهودية، الزردشتية ـ يعيشون إلى جانب المسلمين، وستّ قوميات ـ الفارسية، التركية،

---

١) الإسراء، ٣٤.

٢) انظر: للكاتب نفسه، الأسس المهمة في النظام الإسلامي، ص ١٢٣ ـ ١٣٤.

٣) البقرة، ١٩٤.

٤) الممتحنة، ٨.

العربية، الكردية، التركمانية، البلوشية ـ وخمسة مذاهب إسلامية، فضلا عن الجماعات والتيارات الفكرية والسياسية التي أذعنت جميعاً لمعادلات الشورى وآلية الممارسة الديمقراطية. هذه التجربة الفذّة التي أبرزت الوجه المشرق للرؤية الإسلامية في مجالي الحوار والتعايش، جديرة بالدراسة المراجعة المستمرة.

* * *

الدور الحضاري المستقبلي للأمّة
وموقع منظمة المؤتمر الإسلامي[1]

المقدمة

لابدّ قبل الحديث عن الدور الحضاري للأمّة في عالم الغد من إلقاء نظرة سريعة على واقع الأمّة اليوم بل وربما احتجنا إلى استعادة هذا الواقع عبر تاريخه الطويل المجيد.

إلاّ أنّ الطبيعة المقدمية تفرض علينا الاقتصار على التاريخ القريب وليكن القرن الرابع عشر الهجري وبعضاً من قرننا الحالي، وهو ما يوافق القرن العشرين الميلادي تقريباً. ففي هذه الفترة المليئة بالأحداث نجد أنّ الأمّة الإسلامية قد مرّت بثلاثة أدوار رئيسية هي:

الدور الأوّل: دور الاستعمار والاحتلال

فالأرض الإسلامية في هذا الدور احتلّت كلّها تقريباً إمّا احتلالاً مباشراً كما هو الحال بالنسبة للعراق وسوريا ولبنان والاردن وشمال افريقيا وغيرها أو بشكل غير مباشر كما هو الحال بالنسبة لتركيا وايران، حيث وفّق الاستعمار لفرض كل ما يريد بقوة العملاء الرسميين له. وتمتدُّ هذه الفترة من الحرب

---

١) قدم إلى كتاب «الأمّة» في قطر، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي التاسع.

العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية تقريباً.

الدور الثاني: دور الاستقلال ولكن باتجاه قومي

فبعد سقوط المانيا الهتلرية بدأت وتيرة ما يسمّى باستقلال الدول والحكومات في العالم الإسلامي والتحرر من براثن الاستعمار. ولكن صاحب ذلك اتجاه قومي عارم تجلّى كأقوى ما يكون في الحركة الناصرية القومية العربية وحركة سوكارنو وغيرهما، حيث ظنت الشعوب المتحرّرة أنّ الاتجاه القومي هو البديل الأفضل للحالة الاستعمارية.

الدور الثالث: دور الاتجاه الإسلامي الشمولي

ويبدأ هذا الدور تقريباً من أواخر الستينات الميلادية حيث تنامى الشعور بقضية الإسلام والوحدة الإسلامية، وظهرت بوادر صحوة إسلامية شاملة لها مظاهرها وآثارها ومن أهم هذه المظاهر الإحساس بوحدة المنطلق والمسير والهدف ممّا يؤدي للإحساس بوحدة الشخصية لهذه الأمّة.

وربما أمكننا القول أنّ هذه الحالة هي الوليد الجديد بعد مرحلة جنينية مطوّلة نسبياً لكل ما قامت به الحركات الإسلامية السياسية والاجتماعية، المحافظ منها والمتحرر، والمنطلق على أساس وعي كامل للمسيرة، أو المنطلق على أساس احساس بالظلم والضغط، وعلى اختلافها في الفهم والأسلوب والهدف إلاّ أنّها كلها نمّت هذا الجنين في رحم هذه الأمّة الولود وانتجت هذه الصحوة المباركة.

وكان الظلم الاستعماري، وخواء الاتجاهات القومية، وضغط النظم الدكتاتورية وقيام الكيان الصهيوني عوامل مساعدة قوية في ظهور هذه الصحوة، وربما كان ظهور منظمة المؤتمر الإسلامي على أثر الجريمة الكبرى التي أقدمت عليها الصهيونية بإحراق المسجد الأقصى مظهراً وعاملاً على تنامي هذا الشعور الشمولي الإسلامي، كما أنّ ممّا لا ريب فيه أنّ انتصار

الثورة الإسلامية في ايران عام ١٩٧٩... وانهيار المعسكر الشيوعي الإلحادي شكّل عوامل كبرى في تنميتها واتساعها.

ولسنا ننسى هنا المسيرة العلمية والثقافية والاقتصادية لهذه الأمّة فإنّ لكلٍّ من هذه الجوانب موقعها الكامل في تشخيص موقع الأمّة إلاّ أنّ ما ذكرناه يمثل الشكل العام لهذه المسيرة.

وعبر هذه النظرة السريعة ندرك أنّ الأمّة المسلمة رغم ما ابتليت به من نكبات كانت منطقة ساخنة تهتم بها الأمم وتتفاعل مع الأحداث وترك أثرها القوي أو الضعيف على مجمل المسيرة الإنسانية بكل تفاعلاتها. كما ندرك أنّها وهي تقف على عتبة تحوّل زماني كبير لتشعر بتحديات كبرى تتطلب منها التخطيط الحكيم للمواجهة الإيجابية الفاعلة.

الدور الحضاري للأمّة في عالم الغد

إنّنا إذا لاحظنا العناصر التالية أدركنا بكل وضوح ضرورة اتخاذ دور فاعل في المسيرة الحضارية الإنسانية يتناسب وحجم هذه الأمّة ومسؤوليتها الحضارية:

أوّلا: الموقع الحضاري الذي أراده الإسلام لهذه الأمّة ويمكن تلخيص ذلك بالعبارة القرآنية الشريفة: {❒◆✍⊠⓿⊠◷⍟ℵ⌨⍓ ♉⍓➔⍓▪✡❒◷▤➚☠⬀ 📖⬆✌❒❒☪ ❒◆♋⍓➲✞✍ ⍟♏♋✌☝♦⌛➔❒☼⬅❒✂☎ ✸➔♋❒⑨⍓✂✏➚◆ ⬉♦✍■❼ ✂✍⍟✡❒✍❒⬂ ❒◆③♦▤➚❒♌♦ ✂✍⍟❷▪♋⬅❒✌⬉ ⬊♦▪■⓿⬂▤➚☠⬀ ▲⊠♑♎⓿⑨✡✂}[1]، ولا ريب في أنّ الوسطية هنا تعني القمة في المثل الحضاري وخصوصاً بعد ملاحظة التقارن بين شهادة

---

١) البقرة، ١٤٣.

الأمّة على الناس وشهادة الرسول’ على الأمّة ونحن نعلم أنّه’ خير قدوة وأكمل إنسان يتمتع بكل صفات الإنسان.

فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى هي أنّ الإسلام جاء لكل الإنسانية ولكل العصور ديناً خالداً ينظّم للبشرية مسيرتها الحضارية التكاملية أدركنا أنّ الإسلام يريد لهذه الأمّة أن تحتل موقعها الريادي في كل عصر ـ والحديث في هذا المجال واسع.

ثانياً: الإمكانات الحضارية التي تتمتع بها هذه الأمّة من حيث:

أ. الطروحات الفكرية والاجتماعية التي استمدّها الإسلام والتي أثبتت قدرتها الرائعة على تخطّي العصور وإعطاء الحل الناجع لمشكلات الإنسان.

ب. الثروة العلمية والفكرية الهائلة التي ورثتها من تاريخها المجيد.

ج. الموقع السياسي والجغرافي والاقتصادي الذي تحتله حيث تمتلك أكثر المناطق حساسية وتمتدّ في قلب العالم عملاقاً يعمل أعداؤه على أن ينام وتتحرك أطرافه للانطلاق على مختلف الصعد.

د. الطاقات الإنسانية الكبيرة التي يمتكلها ويستطيع تجميعها وتعبئتها لصنع الغد الأفضل.

ثالثاً: مقتضيات الواقع: ذلك أنّ البشرية اليوم تسير نحو تنافس الأمم في صنع الحضارة الإنسانية وهو مضمون اتفاق الأمم كلها على جعل العام ٢٠٠٢ الميلادي عام «الحوار بين الحضارات» باقتراح من رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رئيس الدورة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وبطبيعة الحال فإنّ التوالي الحضاري في المعسكر الآخر يتطلّب منّا توالياً حضارياً إسلامياً نستطيع معه أن نعيش على ظهر هذا الكوكب وإلاّ فالفتنة والفساد قال تعـــــــالى: {❒♦✂✍✏⅄🔔✎⇦✕♦ ✍⌧▦⌧❷⇖❒✂☎

✉♦➔⬀⌫⛬&⬃☠⬁ 📖❒❒⬀✉✎⑩♦✍✏⬈⬇ ✉♦➔⬀⅄☝ ▤

⚘✎•⁘ ✍•▦⬂➔⬈▣➔❑■⬅ ✍•▤⬈⌶ ▫✎☝⬀☪♦❑⊲ ✕✎⑥

✄ ✍✍❀☞❻⬀✓⇲ ❒◆▫•○✿✍⑩≺ 🗎•⌨✎❷❸≻}[1].

إنّ الواقع يفرض بدوره على هذه الأمّة أن تبرز شخصيتها الحضارية المتميزة وأن تلعب دورها المطلوب. وهنا نقول:

إنّ الأمّة تواجه تحديات كبرى يمكن أن نجملها بالتحديات السياسية، والعلمية، والاقتصادية والثقافية، والعقائدية والاجتماعية والمعلوماتية.

ومن أهم التحديات السياسية: اتجاه العالم إلى عصر القطب الواحد المسيطر على مجمل السياسة العالمية.

ومن أهم التحديات العلمية: هذا التقدم العلمي الكبير للغرب والذي يستغله الغرب لفرض هيمنته في مختلف الصعد على العالم.

ومن أهم التحديات الاقتصادية: فكرة العولمة الاقتصادية التي لا تبقى للأمة قدرتها على السيطرة على اقتصادها وإنّما تربط ذلك بمجمل الوضع الاقتصادي العالمي ولا ريب في أنّ القدرات الهائلة للغرب لا تفسح المجال للقدرات الصغيرة الأخرى.

ومن أهم التحديات الثقافية والعقائدية هذا الهجوم الثقافي والأخلاقي والعقائدي الكبير على كل أبعاد شخصية هذه الأمّة وربما شكلت العلمانية أهم مظاهرة وأشدّها اتساعاً.

كما أنّ أهم التحديات الاجتماعية هذا التخطيط الرهيب لتغيير تعريف العائلة وحذف دورها الاجتماعي الركين.

وأخيراً فإنّ التحدي المعلوماتي اليوم يدع العالم الإسلامي منحصراً في زاوية ضيّقة من سيطرة معلوماتية واسعة.

وكل هذا يتطلّب تخطيطاً واقعياً مخلصاً واعياً للمواجهة الإيجابية الفاعلة كما أسلفنا ويلقي مسؤولية كبرى على عاتق منظمة المؤتمر الإسلامي باعتبارها تدّعي تمثيل الأمّة بكل جوانبها وبشكل رسمي كما تلقي بمسؤوليات

---

١) الأنفال، ٧٣.

أكبر على الفئات غير الرسمية بلاريب.

نظرة على منظمة المؤتمر الإسلامي واقتراحات لتفعيل دورها العالمي

مرّت عقود على ذكرى إحراق المسجد الأقصى بأيد صهيونية عام ١٩٦٩م وقد ثارت لذلك مشاعر المسلمين وعمّ الغضب كلّ العالم الإسلامي ضد كل الكيان الصهيوني الغاصب، وكانت ردة فعل المسؤولين في العالم الإسلامي وبدوافع سياسية مختلفة قد تمثّلت في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي لتحقيق التضامن الإسلامي، والعمل على ترشيد أحوال الأمّة الإسلامية في مختلف المجالات.

وكمنظمة عالمية استطاعت هذه المنظمة أن تعقد مؤتمرات لوزراء الخارجية وأخرى للقمة، وعشرات المؤتمرات الفرعية والتخصصية، وأنشأت بعض المؤسسات الفرعية في مجالات تخصصية، وبذلت مئات الملايين من الدولارات سعياً لتحقيق أهدافها.

والسؤال المطروح هنا هو:

هل استطاعت المنظمة أن تحقّق الهدف المعلن الذي أنشئت لأجله؟

وفي مجال الإجابة ربما نجد من يفرط في التفاؤل فيتصوّرها من أنجح المنظمات، ومن يمعن في التشاؤم فيراها لم تحقّق أي شيء غير إهدار الأموال والأوقات وتضييع الآمال، ودعم الاتجاهات الرسمية؛ إلاّ أنّ الحق يقتضينا التأمُّل أكثر فأكثر لنقع على صخرة الحقيقة.

وإذا درسنا الموقف من جوانبه، وتأمّلنا النتائج والقرارات التي صدرت من الاجتماعات العديدة، وتتبعناها في مجال التطبيق العملي، والآثار المترتبة عليها، نجد أنّ هناك فرقاً شاسعاً بين المسارين السياسي والاقتصادي من جهة، والمسار الثقافي من جهة أخرى، طبعاً كما نعتقد نحن، وللآخرين ما يعتقدون.

ولسنا هنا بصدد التفصيل في دراسة المسارين السياسي والاقتصادي، غير

أنّنا نستطيع القول بإجمال أنّ المنظمة لعبت بعض الأدوار السياسية، ولم توفّق في أكثرها لعوامل عديدة.

فبالنسبة لفلسطين كانت قراراتها من حيث المجموع أفضل من غيرها، وربما بلغت قرارات بعض المؤتمرات العشرين صفحة، تناولت فيها القضية الفلسطينية من جميع الجوانب، وأعطت رأيها بصراحة فيها، إلاّ أنّ الملاحظ أنّ هذه القرارات كانت تذوب عند التطبيق، فلا تجد لها الاستجابة الكافية، فكل دولة كانت تتخذ مسارها تجاه القضية، وتمشي لوحدها على ضوء ارتباطها بالغرب، الأمر الذي كان ينعكس حتى على نفس هذه القرارات، فتعمل على التراجع عن المواقف المبدئية السابقة، حتى عاد الأمر كما نشهده اليوم من الذل والمساومة والإذعان لكل الضغوط، وبالتالي الاعتراف بالعدو الغاشم.

وبالنسبة لقضية الحرب العراقية الإيرانية، لم تستطع المنظمة أن تفعل شيئاً رغم أنّها اتخذت بعض الخطوات. وكذلك الأمر بالنسبة للاعتداء العراقي على الكويت.

وربما تحقّق الإجماع الإسلامي تجاه قضية البوسنة والهرسك كأقوى ما يكون، واستطاعت المنظمة أن تتخذ منها بعض المواقف القوية، إلاّ أنّها لم تحقّق المطلوب بشكل كامل. وها نحن نراها عاجزة عن التدخل بشكل قوي في قضية كوسوفو كما كانت عاجزة عن المساهمة في الحل في قضيتي الصومال، والنزاع الاريتيري الاثيوبي، وكذلك قضية كشمير وغيرها.

أما على الصعيد الاقتصادي فإنّ انجازاتها يمكن أن تتلخص في القيام ببعض المشاريع الاقتصادية المفيدة للعالم الإسلامي، وفي طليعتها مجموعة البنك الإسلامي للتنمية وغيرها في حين بقيت بعيدة عن تحقيق هدف السوق الإسلامية المشتركة بل أنّها لم تستطع أن تفعل شيئاً أمام السقوط المريع لأسعار النفط مثلاً.

بعد هذا لنركّز على المسار الثقافي لهدف المنظمة لنعرف مدى ما حقّقته من نتائج، ويمكن أن نقسِّم الإنتاج الثقافي إلى حقول:

الحقل الأوّل: المراكز الثقافية التي تمّ ايجادها أو الدعوة لذلك وأهمها ما يلي:

أوّلا: الجامعات الاسلامية

قرّر مؤتمر القمة الإسلامية الثاني المنعقد في لاهور في الباكستان في فبراير ١٩٧٤ من إنشاء جامعتين إسلاميتين في افريقيا، إحداهما في النيجر لتخدم البلدان الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية، والثانية في أوغندا لتخدم البلدان الناطقة بالانجليزية. ويذكر أن في لاهور جامعتين إسلاميتين.

كما قرّر المؤتمر العالمي الأوّل للتعليم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة عام ١٢٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م إنشاء الجامعة الإسلامية في ماليزيا، وقرّر المؤتمر الإسلامي الرابع عشر لوزراء الخارجية المنعقد في دكّا في بنغلادش في ديسمبر ١٩٨٤م إنشاء الجامعة الإسلامية في بنغلادش.

وأوضاع هذه الجامعات مختلفة، فجامعة النيجر قبلت لحد الآن بعض الطلاب، ولكن لما كانت الصعوبات المالية تواجهها بقوّة ممّا أدّى إلى حصول اضطرابات بين الطلبة، دعت السلطات المحلية لإغلاقها في بداية السنة الدراسية «١٩٩١ ـ ١٩٩٢م» وقد تم القيام ببعض الخطوات العملية لإعادتها إلى النشاط.

وجامعة أوغندا بدورها تم افتتاحها عام ١٩٨٨ أي بعد أربعة عشر عاماً، وتضم حالياً ثلاث كليات، ويقدر عدد طلابها بـ ٣٠٢ طالباً ومازالت تعاني من نقص مالي. وكانت جامعة ماليزيا العالمية هي المشروع الأكثر نجاحاً، حيث افتتحت عام ١٩٨٣م وفيها الآن أكثر من ٨٠٠ طالب، كما أنّ هيئة التدريس

فيها تزيد على ٥٠٠ عضو، وأخيراً فإنّ جامعة بنغلاش الإسلامية تحوي الآن ١٣٠ طالباً، وتعاني من نقص مالي أيضاً.

ثانياً: المراكز الإسلامية التابعة، وهي:

أ. مسجد الملك فيصل والمؤسسات التعليمية الثقافية التابعة له في انجامينا في تشاد.

ب. المعهد الاقليمي للدراسات والبحوث الإسلامية في تمبكتو في مالي.

ج. المعهد الإقليمي للتعليم التكميلي في إسلام آباد في الباكستان.

د. المركز الإسلامي في غينيابيساو.

ح. المنظمة الإسلامية الدولية للمرأة ودورها في المجتمع الإسلامي.

و. المعهد الإسلامي للترجمة في الخرطوم.

والملاحظ أنّ هذه المراكز تمّت الموافقة على إنشائها في أحد المؤتمرات الإسلامية، لهدف نشر الثقافة الإسلامية، وهي عادة ما يتمّ التعاون في تمويلها بين المنظمة ودولة المقر، ولكنّها لم تصل بعد إلى الحد المطلوب، طبعاً على اختلاف بينها فيما حقّقته من خطوات.

وكمثال على ذلك نجد أنّ موضوع المنظمة الإسلامية الدولية للمرأة ـ رغم أهمية موضوعه إذ يتناول قضية ترشيد دور المرأة في المجتمع الإسلامي بقي خلال سنتين قيد الدرس والمداولة.

فقد طرح لأوّل مرّة في الاجتماع العاشر للجنة الإسلامية للأمور الاقتصادية والثقافية والاجتماعية باقتراح من الباكستان، وأوصى المؤتمر الرابع عشر والمؤتمر الخامس عشر لوزراء الخارجية بتشكيل لجنة متخصصة لدراسته، واجتمعت اللجنة في اكتوبر ١٩٨٥م في إسلام آباد ودرست الموضوع، وقدّمت النتائج إلى الاجتماع السادس عشر لوزراء الخارجية، الذي كلّف الأمانة العامة بتهيئة مشروع الميثاق، وقد قامت الأمانة العامة بذلك، وعرضته على الاجتماع الثامن عشر. وتتابعت تأييدات وزراء الخارجية في

مؤتمراتهم التاليـة. «التاسـع عشـر، والعشـرين، والحـادي والعشـرين، والثـاني والعشرين» مـع الترحيـب بـاقتراح مقـدّم مـن الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة لاستضافة اجتماع للخبراء لدراسة هذا الموضوع.

وقد سعت الأمانة العامة في الاجتماع الحادي والعشرين لـوزراء الخارجيـة لطرح مشروع قرار يخلط هذه المنظمـة، وموضـوع دور المـرأة فـي المجتمـع الاسلامي، ممّا يؤدّي إلى حذف الفكرة في النهاية، إلاّ أنّ نشاط الوفد الإسلامي الإيراني حال دون ذلك.

وقد عملت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على متابعة هذا الموضوع، إيماناً منها بأهمية الموضوع، ولكن نشاط بعض الدول القوية في المنظمـة حـال دون الوصول إلى قرار حاسم، إلـى أن انعقـد مـؤتمر القمـة الثـامن بطهـران وتـوج الجهود بصدور قرار متوازن عن المرأة ولكنـه مـازال نـاقصـاً ومازلنـا ننتظـر رأي مجمع الفقه الإسلامي حول نتائج دورة طهران، وقد دامـت دراسـته أربـع سنوات!! هذا ومازال الطريق طويلاً أمام المنظمة لتصدر قراراتها القويـة فـي قضايا «الشباب أو الأطفال» وغيرها.

الحقل الثاني: المواضيع العامة

وتندرج تحت هذا العنوان المواضيع التالية:

١. مشروع المبنى الجديد لجامعة الزيتونة بتونس.

٢. وضع تقويم موحد للشهور القمرية والأعيـاد الإسـلامية،ولكنه لـم يصـل للنهاية.

٣. مشروع إنشاء مركـز إسـلامي للتـدريب والبحـوث الطبيـة المتقدمـة فـي بنغلادش.

٤. مشروع الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسـلامي،ورغم الموافقـة عليهـا إلا أنّه لم يجد طريقه للتطبيق.

٥. مشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان،ورغم الموافقة عليها إلا أنّهـا

لم تصل الى مرحلة الآليّة المطلوبة.

٦. مشروع القيام بخطة لمكافحة المفاسد الأخلاقية،و لم يصل الى نتيجة.

٧. موضوع الموقف الموحّد تجاه الاستهانة بالمقدّسات والقيم الإسلامية.

٨. مشروع استراتيجية العمل الإسلامي المنسّق في مجال الدعوة.

٩. موضوع رعاية الطفل وحمايته في العالم الإسلامي.

١٠. التآخي بين الجامعات الفلسطينية في الأراضي المحتلة والجامعات في الدول الأعضاء.

١١. تدريس مادة تاريخ وجغرافية فلسطين في الدول الأعضاء.

١٢. الوضع التعليمي في الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان السوري.

١٣. تقوية وضع الجامعات في الأراضي المحتلة.

١٤. دراسة مشكلات التعليم في الأراضي المحتلة.

١٥. المحافظة على الهوية العربية والطابع الإسلامي لمدينة القدس الشريف.

١٦. تدريس المعلومات حول الجامعات المسلمة في البلقان والقوقاز في مادتي التاريخ والجغرافيا.

١٧. تقديم مساعدات لمسلمي كوسوفو وسنجق.

١٨. حماية التراث الثقافي والمؤسسات التعليمية في البوسنة والهرسك.

وغيرهاالملاحظ في هذه المشاريع قبل كل شيء أنّها تناولت في أغلبها قضايا مهمّة جداً، ولها آثارها الواسعة على مستوى العالم الإسلامي إلاّ أنّها بدورها اختلفت من حيث حماس الدول الأعضاء لإنشائها وتنفيذها، وبالتالي اختلفت من حيث المصير والنتيجة، وها نحن نذكر بعض الأمثلة على ذلك.

أ. مشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان

مشروع اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان في الإسلام مرّ بكثير من اللجان والمؤتمرات منذ بدأت فكرة كتابته رسمياً عام ١٩٧٩م، حيث قرّر المؤتمر الإسلامي العاشر لوزراء الخارجية تشكيل لجنة مشاورة لإعداد لائحته، وقد

أحيلت إلى المؤتمر الحادي عشر، حيث قام بدوره بإحالتها إلى لجنة قانونية، وعرض النصّ المعدّل على مؤتمر القمة الثالث، ولكن هذا المؤتمر أحاله إلى لجنة أخرى، ووافق المؤتمر الرابع عشر للخارجية في دكّا على المقدمة وأوّل مادة فيه، وأحال باقي المواد على لجنة ثالثة، ثم تتابعت المؤتمرات مؤكّدة عليها، إلى أن عقد اجتماع طهران في ديسمبر ١٩٨٩م وأعدّ الصيغة النهائية التي تمّت الموافقة عليها نهائياً في المؤتمر التاسع عشر بالقاهرة.

وهكذا تكون قد مرّت بعشرة مؤتمرات للخارجية، وثلاثة للقمة بالإضافة لجلسات الخبراء التي كان آخرها في طهران، وقد تشرّفت برئاسة هذه الجلسة الأخيرة، كما شاركت في جلسات غيرها كرئيس مناوب أو كعضو مسؤول.

والحقيقة فإنّ النتيجة كانت رائعة من حيث الجانب النظري، إلاّ أنّ المشكلة الأساسية تكمن في التطبيق على صعيد العالم الإسلامي، تماماً كما المشكلة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولكن على الصعيد العالمي كلّه.

فلقد أصرّت بعض الدول الاعضاء على أن يقيّد تنفيذ هذا الإعلان بما إذا كان ينسجم مع القوانين الداخلية لها!! وهذا أمر غريب حقاً.

وعلى أي حال، ينبغي السعي الجاد لضمان التنفيذ بمختلف الطرق، ولا يتمُّ ذلك إلاّ من خلال إنشاء لجنة محايدة لمراقبة حقوق الإنسان على ضوء اللائحة الإسلامية، وهذا ما ندعو إليه بقوّة.

ب. الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي

وهو مشروع مهم جداً انطلق من مؤتمر القمة الثالث وأكّد عليه مؤتمر القمة الإسلامي الخامس في الكويت عام ١٩٨٩م عبر مشروع قدّمته السنغال، وشكّلت لذلك لجنة للخبراء الحكوميين، حيث عقدت ثلاثة اجتماعات شاركتُ في بعضها، بل وقمت بتهيئة الفصل الثاني من المشروع، وهو فصل «الأهداف».

وهكذا قامت هذه اللجنة في اجتماعها المنعقد بالقاهرة عام ١٩٩٠م بدراسة

الخطة، وتوالت الاجتماعات حتى تمَّ وضع مشروع متكامل رفع إلى مؤتمر القمة السادس في دكار، فصادق على المشروع بأكمله، وتمَّ العمل على ملاحظة السبل الكفيلة بتطبيقه عبر خطة تنفيذية، ولم تصل هذه الخطة بعد إلى الحد الكامل.

وقد قام المؤتمر السابع بالدار البيضاء بالمصادقة على مشروع قرار برقم CS/DR/15 تمَّت فيه التوصية على وضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ، عبر دراسة الخطة التنفيذية من قبل اللجنة الدائمة للإعلام والشؤون الثقافية، وطلب من الدول اتخاذ الخطوات اللازمة لإدخال هذه الاستراتيجية ضمن سياساتها الوطنية في المجالات الثقافية والتعليمية والتربوية.

وعلى أي حال فما زال هذا المشروع باقياً على الصعيد النظري ينتظر صياغته بشكل مشروع عملي تنفيذي، مثله تماماً كمثل اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان.

ج. مشروع وضع خطة لمكافحة المفاسد الأخلاقية

مرّ هذا المشروع بعقبات كثيرة وضعتها بعض الدول الأعضاء، لأنّه يتنافي مع ما هي عليه من تبنّ لبعض السلوكيات اللاأخلاقية وسماح لبيع الخمور، وترويج للسفور، وفسح المجال للقمار والبلاجات الخليعة، وأمثال ذلك من أنماط الانحراف السائد في أرجاء العالم الإسلامي.

ورغم كل العقبات، فقد أصررنا على طرحه في المؤتمرات، حتى تمّت الموافقة على صيغة معدّلة منه، حذفت منها كل عبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخفّفت مواده حتى كادت تفقده فاعليته.

إلاّ أنّ الغريب أنّ الأمانة العامة ومن ورائها بعض الدول عملت على حذفه من قائمة مشاريعها، حتى لم نعد نشهد له أثراً في القرارات التالية، الأمر الذي يشكّك تماماً في مصداقية الكثير من نشاطات المنظمة مع الأسف الشديد.

والحقيقة أنّ القرار لم يترك أي أثر على صعيد إصلاح الأوضاع الأخلاقية،

نظراً لفقدان العزيمة اللازمة لتحويل هكذا مشروع إلى واقع التنفيذ.

د. موضوع الموقف الموحّد من التجديف والاستهانة بالمقدسات الإسلامية

وهذا الموضوع انطلق من خلال الآثار العالمية التي تركتها الفتوى التاريخية الخالدة للإمام الخميني(قدس سرهم) بحق المرتد سلمان رشدي، الذي عمل من خلال كتابه المشؤوم «الآيات الشيطانية» على الاستهانة بأهم المقدسات الإسلامية، وقد ساندته في موقفه التآمري كل الدول الغربية، معبّرة عن حقدها ضد الإسلام والمسلمين. إلاّ أنّ فتوى الإمام التاريخية أفشلت هذه المؤامرة، بل حوّلت الموقف إلى تجلٍّ جديد للوحدة الإسلامية بوجه أعداء الأمّة الإسلامية ... وقد عرض الموضوع على المؤتمر الثامن عشر لوزراء الخارجية بالرياض عام ١٩٨٩م،و بذلتُ والوفد الايراني المرافق جهوداً حثيثة في سبيل الموافقة عليه، فأصدر بيانه التاريخي حول «العمل المشترك إزاء أنماط الاستهانة بالقيم الإسلامية» وقد أيّد المؤتمر الإسلامي التاسع عشر عبر أحد قراراته هذا الاتجاه، وطالب بالوقوف امام نشر هذا الكتاب الضال.

إلاّ أنّ ضغط الدول الغربية وتقاعس البعض من الأعضاء أضعف هذا الموقف، الأمر الذي تجلّى في إدخال عناصر أخرى في هذا القرار، مثل مؤامرة الكيان الصهيوني لتدمير المسجد الأقصى، والضغوط الهندية الهادفة إلى هدم مسجد بابري فضمت إلى موضوع كتاب الآيات الشيطانية. وهذه المواضيع وإن كانت بنفسها مهمة، إلاّ أن ضمّها لهذا القرار يضعفه بلا ريب.

هذا وقد صدر عن كلٍّ من المؤتمرين العشرين والحادي والعشرين للخارجية قرار يطالب الأمين العام بدراسة إمكانية إعداد وثيقة قانونية دولية لكفاية احترام القيم والمقدّسات الإسلامية في برنامج عمل مجمع الفقه الإسلامي.

وفي المؤتمر الثاني والعشرين للخارجية الذي تبعه مباشرة المؤتمر السابع للقمة تم تأكيد البيانات السابقة، وبعد التنديد بالاعتداءات الصهيونية على

المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي والاعتداءات الهندية التي أدّت إلى تدمير مسجد بابري والاعتداءات الصربية على الأماكن المقدسة في البوسنة والهرسك، تمَّ التأكيد على ضرورة إبرام الوثيقة القانونية الآنفة الذكر.

وهكذا نجد أنّ المنظمة تتردّد بين الإقدام والإحجام في كثير من المواضع، ومنها هذا الموضوع، وبدلاً من تقوية موقف المؤتمر الثامن عشر، راحت المسيرة تضعف من خلال ضمّ موضوعات مهمة أخرى كلها تستحق قرارات مستقلة إليه حتى يمكن تغطيته بالأحداث، وصرف الأنظار المركّزة على الغرب في ذلك.

هذا في حين يصعّد الغرب من دعمه لهذه المؤامرة، ويستقبل رؤساؤه هذا المجرم، ويمنحه المكافآت والأوسمة كبطل للحرية التعبيرية، بل ويحاول تشجيع أمثال تسليمة نسرين المعتدية أيضاً على المقدسات في المسيرة، دون أن يأبه بالموقف الإسلامي الرافض.

الحقل الثالث: المؤسسات المتفرعة

وهي مؤسسات شكّلتها المنظمة، وتعتبر الدول الأعضاء بشكل طبيعي أعضاء أيضاً في هذه المؤسسات، وتبلغ في الحال الحاضر سبع مؤسسات في المجالات الثقافية والاقتصادية، وتقع مقرّاتها في بلدان مختلفة. وها نحن نقدّم نبذة مختصرة عن أهم مؤسستين ثقافيتين فيها وهما:

أوّلا: «الارسيكا» مركز الدراسات التاريخية والفنية والثقافية الإسلامية باستانبول

وقد انشئ هذا المركز بقرار من المؤتمر السابع لوزراء الخارجية، وتمّت الموافقة على نظامه الأساسي في المؤتمر التاسع وبرنامجه العملي في المؤتمر العاشر، وافتتح عام ١٩٨٢م.و للمركز نشاطات متعددة منها:

ـ إصدار ٤١ كتاباً في الشؤون التي يختص بها.

ـ إصدار ٣٤ نشرة أخبارية.

ـ إنتاج شريطين وثائقيين حول الفنون الإسلامية.

ـ اقامة ٨٩ معرضاً في مجالات الفنون والصور التاريخية.

ـ شارك في أو نظّم ٢٤ ندوة في مختلف المناطق.

ـ نظّم ٨٨ محاضرة علمية في مركزه باستانبول.

ـ يقوم بأعمال اللجنة التنفيذية للجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري.

هذا ويعتبر المركز من المراكز الناجحة، إلاّ أنّه مازال يعاني من النقص المالي، وكذلك مازال يهتمُّ بكثير من الأمور الجانبية، في حين توجد قضايا مهمة جداً لم يتطرّق إليها بعد.

ثانياً: مجمع الفقه الإسلامي

وهو مجمع فقهي عالمي، تشترك فيه كل الدول الإسلامية على مستويات تمثّل فيه كل المذاهب الإسلامية السبعة «الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي والإمامي والزيدي والأباضي» وتسوده روح حرة إلى حد جيد، ويدرس في كل عام قضايا مستجدة مهمة. واتشرف بتمثيل الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيه، بل أمثّل فيه كلّ أتباع ومدارس المذهب الإمامي في العالم... وقد عقد لحدّ الآن إحدى عشرة دورة في مدن مختلفة، درس فيها عشرات المواضيع المهمة، وأمينه العام هو الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة.

ونظراً لأهمية هذا المجمع، وبطلب من مندوب الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيه، فقد تفضل سماحة قائد الثورة الإسلامية فأمر بتشكيل «مجمع فقه أهل البيت عليهم السلام» ليقوم إلى جانب دراسة القضايا المستجدة دراسة معمقة بالإشراف على الدراسات المعدة لهذا المجمع وأمثاله.

ويعدّ هذا المجمع من أفضل المشاريع التي أقدمت عليها المنظمة على الإطلاق ولنا تعاون مستمر معه.

الحقل الرابع: المؤسسات التخصُّصية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي

وهـي مراكـز متخصّصـة تعمـل فـي إطـار المنظمـة، لكـن انتمـاء الـدول الأعضاء لا يتمُّ بتشكيل طبيعي، بل هي حرة في الانتماء وعدمه، ولها مقرّات في بلدان متنوعة، وها نحن فيما يلي نشير إلى أهم مؤسسة فيها وهي:

«الإيسيسكو» المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

وقد طرح مشروع تأسيس هـذه المنظمـة فـي الاجتمـاع العاشـر للخارجيـة، وتمّت الموافقة على نظامها الأساس في الاجتماع الحادي عشر، ووافق مؤتمر القمة الثالـث عـام ١٩٨١م. علـى تأسيسـها، وعقـدت اجتماعهـا التأسيسـي عـام ١٩٩٢ م، وانضمّت إليها آنذاك ٢٣ دولة وتستهدف ما يلي:

أ. تمتين أواصر التعاون التعليمي والعلمي والثقافي بين الدول الأعضاء.

ب. إقامة السلام والتفاهم عبر الاستفادة من مختلف الوسائل.

ج. تجسـيد معـالم الثقافـة الإسـلامية فـي البـرامج الدراسـية فـي مختلـف المستويات.

د. إحياء الثقافة الإسلامية الأصيلة وردّ الشبهات.

هـ. الدفاع عن الهوية الإسلامية للمسلمين في الدول غير الإسلامية.

هذا وقد انضمّت الجمهورية الإسلامية الإيرانية إليها عـام ١٩٩٤م، فبلغـت الدول المنتمية ٣٩ دولـة.

أما المؤسسات الأخرى فهي:

ـ الاتحاد الرياضي للتضامن الإسلامي ـ ومقرّه في الرياض.

ـ اللجنة الإسلامية للهلال الدولي ـ ومقرّه في بنغازي بليبيا.

ـ الاتحاد العالمي للمدارس الدولية ـ العربية الإسلامية.

ـ لجنة تنسيق العمل الإسلامي والدعوة.

وخلاصة الأمر: أنّنا نجد للمنظمة تأثيراً لا بأس بـه فـي المجـالات الثقافيـة، وربما فاق هذا التأثير بكثير آثارها الاقتصادية والسياسية، إلاّ أنّه لم يصـل مـع هذا إلى الحد المطلوب من منظمـة عالميـة تحمـل أهدافاً كبـرى، وتعمـل علـى الرقي بمستوى أبنـاء الأمّـة فـي مختلـف المجـالات، ذلـك أنّ التوعيـة الحقيقيـة

تتطلّب العمل على تعميق المفاهيم الإسلامية الأصيلة حول الوحدة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر الفضائل، وإيجاد التوازن المطلوب على مختلف المستويات، وحذف كل مظاهر الفساد الأخلاقي والسياسي والثقافي والاقتصادي، وإحياء الشعائر الإسلامية بما لها من روح حقيقية، وبالتالي على إيجاد المجتمع الإسلامي الأصيل الواحد والفرد المسلم الملتزم. وهذه أمور لم تستطع المنظمة القيام بها مع الأسف ولعل أهم الأسس التي أقعدتها عن تحقيق أهم وظائفها تكمن في أنّها تستمد قوّتها من أعضائها، والبعض من هؤلاء الأعضاء يصوغون سياساتهم على أساس التبعية للغرب أو للشرق، بالإضافة للمصالح الوطنية أو الحزبية أو القومية المغلقة، مكتفين من الإسلام ببعض الصفات السطحية. وهو الأمر الذي وجدنا الإمام الراحل الخميني(قدس سره) قد حذّر منه في مجالات عديدة ودعا العالم الإسلامي شعوباً وحكومات للتحرر من التبعية والاستقلال في صياغة القرار.

هذا بالإضافة إلى أنّ المنظمة تسير عادة وفق المجالات المسموح بها من قبل الدول وبعض هذه الدول محكومة تماماً لعاملين أساسيين: التبعية السياسية للغرب، والأفق الضيق للثقافة القشرية والتصوّر الجامد للإسلام، وكل ذلك يمنع المنظمة من القيام بدورها الفعّال في التوعية الإسلامية، أو الارتفاع بمستوى المرأة، أو محاربة الفساد الأخلاقي وأمثال ذلك.

كيف تتمّ عملية التفعيل؟

رغم اعتقادنا في أنّ الحالة الطبيعية هي الوحدة السياسية والقانونية لكل العالم الإسلامي إلاّ أنّ ملاحظة الظروف القائمة تجعلنا نفكر في البدائل ومنها هذه المنظمة. إنّ هذه المنظمة كبديل تستطيع أن تلعب أدواراً أكبر على الساحة الدولية في القرن الحادي والعشرين شريطة أن تتوفّر في أعضائها إرادة التغيير المطلوب.

إنّ المنظمة يجب أن تحقق المستويات التالية:

أوّلا: الانسجام الداخلي المطلوب عبر التقدّم في المسارات الاقتصادية والثقافية والسياسية وتجاوز المنافع الضيقة نحو الأهداف العليا.

ثانياً: معرفة القدرات الهائلة التي تمتلكها الدول الأعضاء والعمل على الاستفادة الأفضل من هذه الإمكانات الضخمة.

ثالثاً: التدخُّل بكل قوة في الأحداث العالمية خصوصاً بالنسبة لما يرتبط بالعالم الإسلامي.

رابعا: التعاون الدولي في مختلف المجالات والإسهام الواسع في حل المشكلات الحضارية القائمة، ومن الطبيعي أنّ تحقيق هذه المستويات لن يتمَّ إلاّ إذا توفّرت الظروف التالية:

١. إعادة النظر بكل جدّية في النظم التي تحكم نشاطاتها والآليات القائمة واعتماد آليات فعّالة تمتلك القدرة التنفيذية المطلوبة وتعلو على العقبات المصلحية الضيّقة لتفرض الواقع المطلوب، ولا ريب في أنّ هذا المعنى بحاجة إلى إرادة قوية للتغيير.

٢. امتلاك القدرة المالية المطلوبة، والاكتفاء الذاتي المالي دون انتظار المعونات الإضافية التي تتبرّع بها هذه الدول أو تلك وإلاّ بقيت تابعة ذليلة لمطامعها وقعدت عن تحقيق آمالها الكبرى.

٣. اعتماد عنصر العقوبات الرادعة للدول المتقاعسة عن القيام بواجباتها.

٤. اعتماد فكرة إشراك الجماهير والمنظمات غير الحكومية في مجال تحقيق الأهداف المطلوبة لو من خلال الضغط على حكوماتها للانسجام مع الخط الإسلامي العام.

٥. الاتجاه نحو تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية للدول الاعضاء وتطهير العالم الإسلامي من كل الظواهر اللاإسلامية وهو هدف كبير يعلنه الجميع ولكنهم يتوانون عن تحقيقه.

وفي خاتمة المقال نودّ أن نقول: إنّ المؤتمر الثامن للقمة الإسلامية في طهران شكّل نقلة نوعية لعمل المنظمة من حيث قوة التماسك الذي ظهر في

المؤتمر والصدى الاعلامي الذي تركه والقرارات المتقدّمة التي وافق عليها وقبل ذلك من حيث تحدّيه لسياسات الاستكبار العالمي التي كانت تستهدف عزل الثورة الإسلامية حتى على المستوى السياسي والدبلوماسي فضلاً عن المستويات الاقتصادية والثقافية.

وكان للخطاب الهام الذي ألقاه قائد الثورة الإسلامية واقتراحاته البنّاءة لتسلّم الدور اللائق بالمنظمة في نظام الاقتدار العالمي، وكذلك الخطاب الذي ألقاه رئيس المنظمة السيد الخاتمي الأثر الكبير في اتجاه منظمة المؤتمر الإسلامي نحو مستقبل أفضل واقتدار أسمى.

إلاّ أنّ ذلك كله كما قلنا يتوقّف على استمرار الإرادة وقوة التصميم وروح التحدّي التي يجب أن يتحلّى بها أعضاء المنظمة كي تستطيع تحقيق هذه الأهداف.

نسأل الله جلّ وعلا أن يوفّقنا جميعاً لتحقيق مرضاته، إنّه السميع المجيب.

* * *

دور منظمة المؤتمر الإسلامي
في دورتها الحالية[1]

محمد كريشان: الآن وقد انتهت الأجواء الاحتفالية التي تصاحب عادة المؤتمرات الإسلامية، انتهت رئاسة إيران للمؤتمر الإسلامي وبدأت رئاسة قطر. ما الذي يمكن أن يقال لضمان استمرارية ما في عمل المؤتمر الإسلامي ولضمان نجاعة هذا العمل؟

الشيخ محمد علي تسخيري: بسم الله الرحمن الرحيم، أعتقد أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي تشكّل وسيلة ضخمة من وسائل هذه الأمّة للوصول إلى طموحاتها، طبعاً ليست الوسيلة الوحيدة، ولكنّها مهمة في هذا الصدد. وأعتقد أنّ هذه الأمّة مؤهلة لتلعب دوراً كبيراً في مستقبل الحضارة الإسلامية باعتبار الموقع القيادي الذي أعطاها إياه الإسلام، باعتبار ما تملك من طاقات حضارية، وباعتبار أنّ المسيرة الإنسانية اليوم لا تفسح المجال إلاّ للأمة الفاعلة المؤثّرة في المسيرة، ومن هنا فمنظمة المؤتمر الإسلامي يمكنها أن تفعل الكثير في تحقيق هذا الطموح، ولها دور كبير مستقبلي في هذا الصدد.

محمد كريشان: ولكن سماحة الشيخ يعني.. رغم أهمية الإسلام كجامع لهذا

---

١) اجرت قناة الجزيرة في قطر عبر المذيع محمد كريشان مقابله تلفزيونية بعد انتهاء مؤتمر القمة الإسلامي التاسع وها نحن نقدم مقتطفات منها لتتم الفائدة.

التجمّع الدولي يبقى تنوّع الدول داخل هذه المنظومة وتعدّد ولاءاتها السياسية وتعدّد أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية يجعل من مثل هذا التجمّع تجمعاً مناسباتياً أكثر منه شيء آخر، يعني.. هل فعلاً يمكن للمؤتمر الإسلامي أن يكون تجمعاً فعالاً وله كلمة في رسم السياسة الدولية؟

الشيخ محمد علي تسخيري: أعتقد أنّ هذه المنظمة لو بقيت على وضعها السابق فلن تستطيع أن تفعل الكثير، لكن أمامها سبل للتطوير، عليها ـ أوّلا ـ أن تعيد النظر في آلياتها، وعليها ـ ثانياـ أن تمتلك القدرة المالية المستقلة إلى حدٍّ كبير، وعليها أيضاً..

محمد كريشان (مقاطعاً): عفواً... يعني مستقلة عن الحكومات؟

الشيخ محمد علي تسخيري (مستأنفاً): نعم، يجب أن تمتلك شخصية مستقلة... حتى تمتلك الاستقلال في القرار أيضاً.

محمد كريشان: ولكن هي أصلاً تجمُّع لحكومات.

الشيخ محمد على تسخيري: هذا صحيح، ولكن مع ذلك هناك دور كبير للأمانة العامة، وهناك دور كبير للرئاسة في هذا المجال، ولو أنّها ضمنت شيئاً كما يمكن أن يطلق عليه من الجزاء للدول التي لا تمتثل للقرارات، ولو أنّها ضمنت أو فسحت المجال للتجمّعات الشعبية أيضاً لتساهم في عملها، فإنّي أعتقد أنّها تستطيع أن تلعب دوراً أكبر ممّا هو عليه الآن، وبالمناسبة أعتقد أنَّ رئاسة المؤتمر يمكنها أن تؤثر أكثر من ذي قبل، لم يكن للرئاسة دور ـ ـ فاعل، ولكنه بدأ يقوى خصوصاً بعد مؤتمر القمة الثامن بطهران. وبدأت الرئاسة تدخل في المساحات المختلفة وتشترك مع الأمانة العامة لتحقيق أهدافها، وإنّي لأرجو لقطر أن تستمر في هذا المجال وتعطي للرئاسة الدور الفاعل إلى جانب الأمانة العامة، لكي تستطيع هذه المنظمة أن تكون بالمستوى المطلوب لتحقيق تلك الطموحات التي أشرتُ إليها.

محمد كريشان: سماحة الشيخ، هل تراهنون أكثر على الرئاسة أكثر من

الأمانة العامة؟ يعني الرئاسة الإيرانية مثلاً ما الذي أضافته؟ وما المطلوب من قطر إذا أردنا أن نكون عمليين وواضحين في الطرح ؟

الشيخ محمد علي تسخيري: في الواقع الرهان يجب أن يكون على عناصر ثلاثة، أوّلا: على آليات المنظمة، والتي قرّر مؤتمر القمة تطويرها. وثانياً: على فاعلية الأمانة العامة نفسها. وثالثاً: على القيادة الفعلية لرئيس المؤتمر.

وأعتقد أنّ الرئيس خاتمي عندما كان رئيساً لمؤتمر القمة الثامن بذل كل جهده ليسير مع القضايا ومع الأمانة العامة لتحقيق ما لديها من طموح ولتقوية مسيرتها، ولا أدلّ على ذلك من الدور الذي لعبته منظمة المؤتمر الإسلامي في مسألة تحويل قضيَّة الحوار الحضاري أو حوار الحضارات إلى قضية عالمية بحيث قبلت الأمم جميعاً هذه الفكرة، وأعلنت الأمم المتحدة بالإجماع عام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات في مقابل نظرية الصراع التي طرحتها النظرة الأمريكية أوالمُنَظِّر الأمريكي هنتنجتون، فهذا نموذج من الدور الذي لعبته المنظمة، ولها أدوار أكبر وأكثر تأثيراً في هذا المجال.

محمد كريشان: هل تعتقدون بأنّ الجانب الثقافي هذا جانب مهم جداً، أنتم رأستم اللجنة الثقافية للمؤتمر الثامن للمؤتمر الإسلامي في طهران، سواء حوار الحضارات أو غيره من هذه القضايا، هل ربما تنجح فيها منظمة المؤتمر الإسلامي، أكثر من القضايا السياسية الشائكة أو الاقتصادية المعقدة؟ هل الرهان على الجانب الثقافي رهان مضمون إلى حدٍّ ما؟

الشيخ محمد علي تسخيري: لا ريب أنّه رهان مضمون، وتاريخ المنظمة يثبت أنّها نجحت في الجانب الثقافي أكثر منها في الجوانب السياسية والاقتصادية أيضاً، يعني منظمة المؤتمر الإسلامي اليوم تملك مؤسسة ضخمة باسم مجمع الفقه الإسلامي الدولي، التي جمعت العلماء من شتّى أقطار العالم الإسلامي، ومن المذاهب الثمانية، والتي تطرح في كل عام قضايا تهمّ العالم الإسلامي أو قضايا لم تحل بعد، وتصدر الرأي فيها، وهي خطوة رائعة على

طريق التقريب بين الآراء والمذاهب الإسلامية، وهذه المنظمة نجحت في تشكيل الإيسيسكو وهي منظمة ثقافية متعدّدة الجوانب، وفي تشكيل (الأرسيكا) أو في الإعداد لجامعات ومراكز ضخمة في شتّى أنحاء العالم الإسلامي، أو في كتابة أو في إقرار الاستراتيجية الثقافية الرائعة للعالم الإسلامي، كل هذه منجزات ضخمة تذكر وتشكر لهذه المنظمة، لكنّها على الصعيد الاقتصادي مثلاً لم تحقّق الكثير، وإن كانت حقّقت مثلاً تشكيل بنك التنمية الإسلامية، أو طرح فكرة السوق الإسلامية المشتركة، وتشكيل المؤسسات التي تجمع مؤسسات الدول المختلفة، ولكن لا يصل هذا العمل إلى مستوى الإنجاز الثقافي.

في المجال السياسي أعتقد أنَّ المنظمة نجحت في كثير من الحقول، لكن هذا النجاح ـ كما أعتقد ـ لا يصل إلى نجاحها الثقافي.

محمد كريشان: إذا بقينا في المجال الثقافي قبل أن نتطرّق للمجال الاقتصادي ربما والسياسي، من الأفكار المثيرة التي طُرحت مؤخراً إمكانية الحديث عن إطلاق فضائية إسلامية بمناسبة رئاسة قطر للمنظمة، كيف تنظرون إلى هذا المشروع؟ إلى أي مدى يمكن فعلاً إطلاق فضائية تليفزيونية إسلامية؟ وكيف يمكن أن نجد لها التصوّر الذي قد تتفق عليه أغلب الدول الإسلامية رغم تعدّد اتجاهاتها سواء السياسية العامة أو غيرها؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة هذا أمر كنا ننتظره، والفضل للرئاسة الحالية، وهنا يظهر دور الرئيس في تحقيق هذا الحلم، وأعتقد أنّ جماهيرنا في أنحاء العالم الإسلامي تنتظر هذه الفضائية، وأرى أنّها تستطيع أن تنجح، ذلك أنّ المساحة المشتركة بين المسلمين أكبر بكثير من مساحات الاختلاف، اختلاف الأذواق، اختلاف السياسات، اختلاف المناطق والثقافات المحلية، المساحة المشتركة أوسع، يمكن لهذه الفضائية الإسلامية أن تركّز على المساحة الثقافية المشتركة التي لا يختلف فيها اثنان في عالمنا الإسلامي، منابعنا القرآن الكريم، السنّة الشريفة، تاريخنا الإسلامي المتفق عليه، كل هذه

الأمور يمكنها أن تفتح آفاقاً رحيبة مشتركة، ويمكن لهذه الفضائية أن تقوم بدور كبير في عملية التوعية، لأنّ التوعية هي الأساس الأوّل لنهضة أي أمّة وانطلاق دورها تحت الشمس.

محمد كريشان: على ذكر مساحات الاختلاف... من بين الأشياء التي ـ ربما ـ تؤَرِّق عديداً من الباحثين والمتابعين للشأن الإسلامي هذا التعدّد في المذاهب، وأحياناً تضخيم البعض للخلافات المذهبية، يعني أنتم عضو في اللجنة العليا للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية... كيف يمكن لهذه الفضائية أو لغيرها من فضاءات الفعل الثقافي أن تتجه لمعالجة هذه القضية بكثير من الروية وبكثير من الحكمة، حتى نبتعد عن هذا التشتّت الذي ـ أحيانا ـ يضخم ـ ربما ـ إعلامياً حتى أكثر من اللازم؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة هي ان الاختلاف المذهبي هو غنى فكري، وإضافات حضارية تضاف لمسيرة الحضارة الإسلامية، هذا هو المراد، وهذا هو الذي أراده الإسلام من فسح المجال للاجتهاد الحر، وهكذا فهم القادة الأئمة هذا الاختلاف المذهبي، إلاّ أنّ عصور الانحطاط وعصور التشرذم ـ مثلاً ـ في أواخر القرن الرابع الهجري ثم الخامس ثم ما بعد، عصور الدويلات والطغاة الذين كانوا يتستّرون ـ أحياناً ـ بهذا المذهب أو ذاك حوّلت هذا الاختلاف الرائع المذهبي إلى طائفية مقيتة، وأَصَّلَت هذه الطائفية في نفوس الأتباع، وكان ما شهدناه في خلال التاريخ الإسلامي من فجائع وفظائع يندى لها الجبين، أما الواقع فهو يسمو على هذا... على ما جرى، الواقع إنَّ المساحات المشتركة بين المذاهب، وخصوصاً بين السنة والشيعة، هي مساحات ضخمة جدّاً، حدّثني الأستاذ المرحوم محمد المبارك أنّه رأى ٩٥٪ من المساحة الفقهية يشترك فيها السنة والشيعة برأي واحد، ويبقى ٥٪ من هذه المساحة يُشكل موارد الاختلاف، ولكن ـ الأسف كل الأسف ـ أنَّ البعض يركّزون على الـ ٥٪، وينسون تلك المساحة الضخمة، الحقيقة هذه الفضائية تستطيع أن تعيش في مساحة الـ ٩٥٪، وأن توسّع ـ حتى ـ هذه الـ ٩٥٪، ليفهم

بعضنا بعضاً، وإذا تفهمنا بعضنا البعض حصل التفاهم المطلوب، وحلّقت الأمّة ـ بكل أجنحتها ـ إلى المستوى الذي يريده الله لها.

محمد كريشان: يعني شيخ هذا على مستوى ـ ربما ـ على المستوى الفقهي الديني الفكري العام، يعني عندما يتحدّث البعض عن تخوفات من إيران الإسلامية والتوجُّه الشيعي لدى إيران الإسلامية.. هل تعتقدون بأنّ هذا الحديث عن هذا التخوّف ـ خاصة في منطقة الخليج ـ وعندما يتمّ الإشارة إلى القضايا السياسية سواءً الشيعة في العراق أو الشيعة في منطقة الخليج، يُشار إلى إيران ببعض الريبة، هل هذا الشك تراه في محله؟ وهل هناك من يغذيه أصلاً؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة عندما تحرّك الشعب الإيراني ضد النظام الشاهنشاهي كان يعلم ماذا يريد، النظام الشاهنشاهي كان يسعى لإبعاد الشعب في إيران عن جسم الأمّة، وجعل إيران قاعدة أمان ـ كما عبّر الرئيس الأمريكي ـ لآمال المستعمرين، الثورة الإسلامية أعادت الأمور إلى موضعها الطبيعي، والشعب أعلن أنّه يثور لأجل القرآن، ولأجل الإسلام، وبعد ذلك رأيناه يمشي في مجال دعم الأمّة الإسلامية، وضرب المصالح الصهيونية، وشهدنا الكثيرين من الأعداء ـ كما أعتقد ـ أو الجاهلين الذين يعملون على حصر هذه الثورة في إطار مذهب ما، أو في إطار منطقة جغرافية ما، أو مصلحة إقليمية ما، إلاّ أنّ روح الثورة الأصيل يتجاوز كل هذه الحدود الضيقة، ويعيش آمال الأمّة الإسلامية، والدستور الإسلامي يرقى على كل هذه الأمور؛ الثورة أَصَّلَت اللغة العربية، ونشرت ثقافة القرآن بشكل رائع، وراحت تمدّ الجسور إلى العالم الإسلامي.إنَّ عملية التخويف طبيعية من العدو، العدو يُخَوِّف بعضاً من البعض، كما يخوِّف العرب من إيران يخوَّف إيران من العرب، وأرى أنَّ على المخلصين ـ أوّلا ـ أن يحتفظوا للثورة بنصاعتها وأصالتها، وأن يمدّوا الجسور الواسعة المهيعة بين إيران وكل الدول الإسلامية، وخصوصاً كل الدول العربية، وخصوصاً دول الجوار، ونحن نشهد ـ والحمد لله ـ تطوّراً جيداً في هذا المجال.

محمد كريشان: يعني مثلما يقع التخويف بإيران أحياناً يقع التخويف بالإسلام بشكل عام، يعني كل هذا الحديث في أحداث معينة عن هذا الربط بين الإسلام والإرهاب والحركات التحررية في بعض البلاد العربية وتوجّهها الإسلامي وبين الإرهاب والتطرف، يعني أنتم كرجل دين وكرجل سياسة ـ أيضاً ـ كيف يمكن أن تقع معالجة هذه النظرة للإسلام والمسلمين ، سواء على الصعيد الثقافي أو غيره؟

الشيخ محمد علي تسخيري: الحقيقة يجب أن ندرك أنّ هناك منظومة تعمل على تحقيق هذا الهدف، نفس التنظير ونظرية صراع الحضارات. نفس العمل على خلق عدو وهمي للغرب بعد أن سقط العدو الحقيقي وهو الشرق، كل هذه الأمور وهذه الاتهامات، وربط الإسلام بالإرهاب ـ مثلاً ـ وأمثال ذلك. كل هذه المنظومة يجب أن نتفهّمها جيداً، ولا نفسح المجال في أمورنا لتسلل هذه الأمور. المرحوم محمد الغزالي كان عنده تعبير جيد يقول عن الأعداء: إنّهم يمتدّون في فراغنا؛ لأنّنا تركنا فراغاً ونقاط فراغ وخلل امتدّ الأعداء إلينا. الحقيقة أنّ الإسلام دين حضاري ودين حوار، حتى مع المشركين، نجد القرآن يوصي الرسول بأن يعلن الموضوعية الكاملة ليقول: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، بهذه الروح الموضوعية يدخل الحوار، والقرآن يقرّر شروطاً رائعة للحوار لو درسناها بعمق، وطبّقناها في مجال تعاملنا مع الآخرين أعتقد أنّ هذه الشائعات سوف تزول.

أعتقد أنّ هناك مجالات للقائنا مع الغرب أيضاً، فأننا نستطيع أن نتحدّث حول حقوق الإنسان، نستطيع أن نتحدّث حول العائلة، نستطيع أن نتحاور حول العدالة، نستطيع أن نتحاور حول السلام العالمي، هناك مجالات كثيرة للحوار، ونفس تقبُّل العالم لفكرة حوار الحضارات يبشرنا بخير، ويبشر أيضاً بأنّ عصر التهم الزائفة الموجَّهة إلى الإسلام في طريقه إلى الزوال.

الإيسيسكو والقرن الحادي والعشرون

التحدّيات والمسؤوليات[1]

مسؤوليات الإيسيسكو في تنمية العالم الإسلامي

تعتبر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ الإيسيسكو ـ وهي تحتفل بالذكرى الخامسة عشرة على تأسيسها، منظمة دولية تفتخر بها الدول الإسلامية، لما تقوم به من نشاطات أساسية واسعة. لقد جاء تأسيس هذه المنظمة استجابة حقيقية لمتطلبات الدول الإسلامية من أجل التخطيط والتعاون في سبيل الارتقاء بمستوى الأجيال الإسلامية من الناحية التربوية والعلمية الثقافية، إلى قيادة الحضارة الإنسانية، واستعادة الدور الريادي الذي كان للمسلمين في ثقافة الإنسان.

وقد خطت المنظمة الإسلامية خلال السنين الماضية، خطوات إيجابية كثيرة رغم كل التحدّيات التي واجهتها خلال الفترة الماضية. إلاّ أنّنا ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، نجد أنّ التطورات العالمية والإسلامية تدعونا لخوض مرحلة جديدة تدعو إلى كثير من التفاؤل بالدور الإسلامي القادم.

إنّ استعادة الدور الحضاري للأمّة الإسلامية ينطلق من تربية الجيل القادم تربية تؤهله لحمل المهمة، وتوفير ظروف ملائمة لممارسة الفئة المفكرة

---

١) ألقيت في ندوة الإيسيسكو بمناسبة مرور ١٥ عاماً على تأسيسها وقد عقدت بالرباط.

دورها في عملية البناء الحضاري.

مصادر التحدّي وعناصره

وقبل أن نتحدّث عن ضرورات المرحلة القادمة، نجد من الضروري ملاحظة العناصر التالية، والتي ترتبط مباشرة بقضيتنا هذه:

أوّلا: التغيرات العالمية

ومن الواضح أنّنا نواجه خلال القرن الحادي والعشرين تغيرات عالمية كبرى ترتبط تماماً بنوع التحرك الدولي الإسلامي من قبيل (التحولات الضخمة على مستوى الإعلام والعلاقات المعلوماتية، وكذلك ارتفاع مستوى التدخُّل الدولي في الشؤون التعليمية والاجتماعية والعائلية، وحتى التقنين الداخلي في هذه المجالات، وهو ما يتجسّد في الاتفاقيات الدولية العامة في إطار منظمة الأمم المتحدة)، ويجب أن تؤخذ كل التغيرات بعين الاعتبار.

ثانياً: التحوّلات على مستوى الأمّة الإسلامية

ذلك أنّ الأمّة الإسلامية دخلت عصر الصحوة الإسلامية الكبرى بعد مرحلة طويلة من الفتور الحضاري، وراحت تسترجع خصائصها القرآنية وتحقّق معالم شخصيتها وتعمل على تحكيم شريعة الله في كل شؤونها وفي علاقاتها الداخلية والدولية، ومن الطبيعي فإنّ الأرضية المناسبة لأنشطة المنظمات الإسلامية الدولية سوف تتسع، وبالتالي تلقى على عاتقها مسؤوليات ضخمة في هذا المجال.

على أنّنا نتوقع حضوراً إسلامياً أكبر ولو على مستوى الأقليات في شتّى أنحاء العالم ممّا يضيف بعداً جديداً لهذا التحرك.

ثالثاً: التحوّلات على مستوى الحوار بين الأديان والحضارات

فإنّ هذا الحوار رغم ما انتابه من ظروف موضوعية أهمّها التشكيك في

نوايا الداعين إليه وعدم توفّر القاعدة المناسبة، عاد اليوم ضرورة عالمية لا مناص منها لتعيين نقاط الاشتراك، سواء على الصعيد الفكري والعقائدي، أو على الصعيد العملي السلوكي الفردي والاجتماعي، أو على الصعيد الحضاري الدولي، باعتبار أنّ الجبهة الدينية يجب أن تتوحّد بوجه الاتجاهات المعادية للدين، كالعلمانية والمذاهب المهدمة للعلاقات العائلية والإنسانية.

وهذا المعنى يلقي بظله بلاريب على الساحة، ويعتبر تحدّياً قوياً للقوى العاملة.

رابعاً: التحولات على مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي

فإنّ هذه المنظمة يراد لها أن تلعب دوراً أكثر فاعلية من ذي قبل، سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي؛ فالمنظمة ماتزال لحدِّ الآن تفتقد بعض الجوانب التنفيذية المطلوبة، ممّا جعلها مع الأسف، لاتعيش في صميم القضايا المهمة؛ فالاستراتيجيات ماتزال معطّلة، ولائحة حقوق الإنسان الإسلامية ماتزال تتلمّس طريقها للتنفيذ. وما نرجوه هو أن يتبدّل هذا الوضع إلى حالة أكبر تأثيراً. وهنا يبرز تحدٍّ جديد للمؤسسات التابعة لها لتقوم بالدور الحساس المطلوب منها بشكل أكثر نشاطاً.

إذا لاحظنا هذه العناصر الأربعة، واستعرضنا الأهداف التي رسمتها منظمة المؤتمر الإسلامي للإيسيسكو، نجد أمامنا مستقبلا زاخراً بالتحدّيات الجديدة يتطلّب منها مواقف أكثر اتساعاً وعمقاً وتخطيطاً.

التحوّلات العالمية على مستوى الإعلام

فبملاحظة التحولات العالمية؛ نجد أنّ التطوّر الحاصل في تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الإعلام اختزل الفوارق بين الزمان والمكان، ممّا سيحدث في القرن الحادي والعشرين نقلة كبيرة في هذا المجال، ولابدّ للعالم الإسلامي أن يأخذ حظّه من هذا التطوّر ويكشف للعالم إسهامات علماء المسلمين في

البناء الحضاري، ويبيّن مواقفه وأهدافه للمجتمع الدولي، ويعلن عن قيمه التي تدعو إلى السلام الحقيقي والمساواة بين الشعوب والأفراد والعدل واحترام العهود والمواثيق الدولية. وبما أنّ الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ستلعب دوراً مهماً، بل ستتشكل ضرورة من ضرورات القرن الحادي العشرين، ونظراً لظروف العالم الإسلامي الاقتصادية والسياسية والعلمية الحرجة، فإنّه يمكن للإيسيسكو باعتبارها منظمة عالمية، أن تقوم بدراسة التعاون الدولي الإسلامي في إيجاد شبكة أقمار صناعية والتنسيق في مجال إنتاج ما يحتاجه العالم الإسلامي وما ينسجم مع ثقافته وأهدافه.

ومن جملة ما سيشكل ضرورة من ضرورات الأمّة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، الاستفادة من الحاسب الآلي وشبكة الأنترنيت لتبادل المعلومات، وهذا أيضاً بحاجة إلى دراسة علمية دقيقة.

إنّ علوم الأقمار الصناعية والحاسوب الآلي يجب أن تأخذ طريقها للكتب المنهجية في الدول الإسلامية، وفي البحوث الجامعية والمعاهد الفنيةو المختبرات العلمية، وذلك بعناية وباهتمام من المنظمة الإسلامية إيسيسكو من أجل زيادة الكفاءات الإسلامية في نشر العلوم العصرية في عالمنا الإسلامي.

التحوّلات العالمية في مجال التدُّخل الدولي في عملية التقنين

ثم إنّ الإيسيسكو مطالبة بإلحاح في إطار وظائفها العامة بالتعامل الحكيم مع الاتجاه الدولي للأمم المتحدة ومن ورائها الدول العظمى للسيطرة على التقنين الداخلي لكل الشعوب، وخصوصاً شعوب العالم الثالث، ذلك من خلال:

١. رصد كل التحرُّكات العالمية والتخطيط المطلوب لطرح المبادئ الإسلامية ووجهات نظر العالم الإسلامي.

٢. استباق الأحداث ووضع التصّورات العامة والأسس المقبولة إسلامياً وتعميمها على الدول الإسلامية لتتمّ التوعية المطلوبة.

٣. عقد الاتصالات الدولية، والحضور الفعّال في المؤتمرات واللقاءات التي

تتمّ في هذا الصدد وتنسيق الجهود الإسلامية. ونذكر بهذا الصدد أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي، لم تستطع أن تلعب دوراً نشطاً في مؤتمرات مكسيكوسيتي، وبخارست، والقاهرة، وكوبنهاغن حول التنمية، أو مؤتمري نيروبي وبكين، وأمثالهما حول المرأة، ممّا فسح المجال لهجوم صاعق من قبل أعداء القيم الإنسانية تحت غطاء التحرّك الدولي للتنمية.

٤ ـ التعامل مع الجوانب الإيجابية من هذا التحرك بكل رحابة صدر والوقوف الحازم بوجه الجوانب السلبية.

فوثيقة القاهرة مثلا حول السكان والتنمية، ووثيقة بكين حول المرأة، تحويان بلاريب، عناصر إيجابية كثيرة لإصلاح وضع المهاجرين والمهاجرات، وتنظيم شؤون المبعدين واللاجئين، وقوانين العمل، خصوصا بالنسبة للمرأة والطفل، وإصلاح الوضع التعليمي، وهي أمور ينبغي تشجيعها وتطويرها، ولكنهما في الوقت نفسه حوتا الكثير من العناصر السلبية الخطيرة كموضوع ما يسمى بالحقوق الجنسية، والصلات بين الجنسين خارج حدود الزواج، وتغيير مفهوم العائلة التقليدي، وفسح المجال للإجهاض، والمساواة المطلقة في جميع الشؤون، بل وتأليب جنس ضد جنس آخر، وهي جميعاً وغيرها أمور ينبغي دراستها والاستعداد الكامل للردّ عليها، الأمر الذي كنا نفتقده مع الأسف.

الصحوة الإسلامية ومسؤوليات الإيسيسكو

لم تعد الصحوة الإسلامية مجرد إحساسات جماهيرية، بل أخذت أبعاداً جديدة على مختلف الصعد، مما أثار حفائظ أعداء الأمّة الإسلامية، وهذا يتطلّب من الإيسيسكو دوراً فاعلا في ترشيد الصحوة الإسلامية وتوجيهها توجيها يصبّ في المساواة الصحيحة لتحقيق أهدافها ضمن خطوات كثيرة، نشير منها إلى ما يلي:

١ ـ تشجيع دراسات الصحوة الإسلامية (أسبابها _ خصائصها ـ نتائجها)

والعمل على ترشيد هذه الصحوة لتقوم بدورها المطلوب في تحقيق الغد المشرق.

٢. العمل على بعث عطاء الصحوة في كل عروق الأمّة وتحقيق التوازن التوعوي المطلوب.

٣. المساعدة في تحقيق مقتضيات الصحوة من قبيل دفع عملية تطبيق الإسلام إلى الأمام ونشر المظاهر الإسلامية، وتحريك الحماس المطلوب للقضية الإسلامية.

٤. مراقبة التخطيط المعادي للصحوة وتوعية الأمّة بأخطاره وفضح أساليبه.

٥. العمل على تنفيذ كل الاستراتيجيات التي تمّت الموافقة عليها والسعي للحفاظ على شخصيتها، والدفاع عن حقوقها، وإمكان قيامها بمهمة الدعوة الإسلامية.

٦. العمل على رفع المستوي الثقافي والعلمي والتقني في الدول الإسلامية، وتطوير أنظمة التعليم بما يخدم أهداف الدول الإسلامية حقيقة، وتشجيع الباحثين والمفكرين والدارسين، وإقامة أُلمبياد الدول الإسلامية في مختلف المجالات العلمية.

ونقترح هنا إعداد تقرير سنوي عن أوضاع العالم الإسلامي في المجالات التي تعنى بها الإيسيسكو، وتحديد ميزان التقدُّم أو التراجع الحاصل فيها، وعرض هذا التقرير على المؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية ومؤتمرات القمة الإسلامية مع عرض الحلول الناجعة للمشاكل واقتراح مشاريع قرارات مناسبة.

٧. الاهتمام بمساعدة الدول التي تعاني ظروفاً ثقافية واجتماعية سياسية حرجة كالعراق وأفغانستان والصومال وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيشان، لتخطّي هذه المصاعب.

ونسجّل هنا أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي لم تكن على مستوى الأحداث

الضخمة التي واجهت الأمّة الإسلامية حتى في الجوانب الاجتماعية والصحية والثقافية، فضلاً عن الجوانب السياسية والاقتصادية، ممّا يتطلّب جهوداً حثيثة لمعرفة نقاط الضعف وحذفها ونقاط القوة ودعمها وتقويتها. وإلاّ فمن المخجل حقاً هذه الفروق الاقتصادية الهائلة بين أنواع الدخل، وأنماط التعليم والمستويات الصحية، وهذه العادات السخيفة المنتشرة هنا وهناك، وهذه المفاسد الأخلاقية التي تعجّ بها بعض المناطق، ولانكير ولانذير.

ونحن وإن كنا نسعى لكي نحسن الظن بالمسؤولين عن الأمور، لكننا لا نستطيع أن نغضّ النظر عمّا تعانيه شعوبنا خصوصا أثناء الويلات والنزاعات العسكرية، من تشريد وتقتيل قد يدوم سنوات طويلة وثقيلة، في حين تنعم أجزاء أخرى من عالمنا الإسلامي بالدعة والراحة وكأنّ شيئاً لم يكن.

٨. توظيف العقول الإسلامية المهاجرة في تنمية العالم الإسلامي ففي الوقت الذي تعاني فيه الدول الإسلامية من نقص كبير في الخبراء، نجد الدول المتطوّرة تعتمد على المفكرين المسلمين في البحث العلمي والدراسات العليا، مع أنّهم لايتقاضون إلاّ مايتقاضاه عامل التنظيف، وأسباب ذلك كثيرة، منها أمنية ومنها سياسية، لكن السبب الرئيس هو انعدام وسائل العمل العلمي وغياب العناية الكافية برجال العلم في كثير من الدول الإسلامية.

وحبّذا لو بادرت الإيسيسكو بإجراء دراسة لتسهيل عملية الاستفادة من العقول الإسلامية وتوظيفها لخدمة العالم الإسلامي أو على الأقل وضع خطة لاستثمار وجود هذه النخبة في المجتمعات غير الإسلامية لخدمة القضايا العلمية والإعلامية والثقافية في العالم الإسلامي.

٩. تطوير مستوى التعامل مع الأقليات الإسلامية المهاجرة أو المقيمة في الدول الأخرى بشكل يضمن لها الرفاه المستمر والحفاظ على الشخصية والدفاع عن الحقوق، وإمكان القيام بمهمة الدعوة الإسلامية.

الحوار الحضاري

الأمّة الإسلامية قد قطعت مرحلة صعبة من التبعية والعزلة، وماتزال تبذل

محاولات عديدة لعزلها عن مسيرة الحضارة الإنسانية وعن المجتمع البشري، وعلينا أن نسعى لأن تكون المرحلة القادمة مرحلة الانفتاح على المجتمع البشري، ولذلك فلابدّ أن تضع الإيسيسكو نصب عينها مغزى الرسالة الإسلامية وأهدافها العالمية النبيلة ودعوة الآخرين للتعاون في تحقيقها لخدمة المجتمع البشري.

إنّنا نعيش في عالم يتجاهل دور الدين والجانب المعنوي في الحياة الإنسانية ويعاديه في بعض الأحيان، لكنّ الأمّة الإسلامية استطاعت أن تضرب للعالم أكثر من مثال، وهو مثال عملي على دور الدين في تفجير المواهب الفردية والجماعية، وما نريد من الإيسيسكو أن تبرهن عليه، هو أنّ الأمّة الإسلامية غير منطوية على نفسها، وأنّها لاتعيش بأمجاد ماضيها فقط، بل إنّها قادرة على أن تلعب دوراً فاعلا في بناء الحاضر والمستقبل أيضاً.

إنّ الأوضاع العالمية القادمة تتطلّب مزيداً من التفاهم والاحترام والمساواة بين مختلف الحضارات.

وعلى هذا فيجب أن يتم تخطيط دقيق للأمور التالية:

أوّلا: معرفة الجهات التي ينبغي أن نتحاور معها.

ثانياً: تحديد موضوعات الحوار الفكرية منها والعلمية.

ثالثاً: تحديد مقومات الحوار والسعي لإعطاء صورة تفصيلية عنها.

رابعاً: تحديد الجهة التي يمكنها أن تتحدّث باسم الأمّة الإسلامية وتمنح التعهدات المطلوبة.

خامساً: السعي لإيجاد المؤسسات المتخصّصة في هذا الموضوع لتتمّ دراسة النتائج بدقة حتى لاتضيع سدى.

سادساً: تعيين المدى الذي يجب أن يسير إليه الحوار، والمستويات التي يجب أن يتم التعاون فيها بشكل منضبط.

التحوّلات المستقبلية لمنظمة المؤتمر الإسلامي

أمّا بالنسبة للتحوّلات التي نتوقع أن تشهدها منظمة المؤتمر الإسلامي، فمن الضروري أن تستعد الإيسيسكو لمرحلة تنفيذية أكبر تستطيع معها أن تنفذ إلى التخطيط التعليمي والثقافي للدول الأعضاء، وأن تراقب سير عملية التنفيذ للإستراتيجيتين الثقافية والإعلامية، وأمثالهما من الوثائق الدولية التي تشكّل من حيث المجموع، حصيلة ثقافية مهمة لهذه المنظمة.

و إنّنا لنتوقّع أن تقوم المنظمة بإرجاع أمر الكثير من القرارات الثقافية الاجتماعية إلى منظماتها العاملة، وفي طليعتها الإيسيسكو لتشرف هذه عليها بكل دقّة وتواصل، وهذا ماحدث بالنسبة لبعض الجامعات والمراكز الثقافية، طبعاً مع ملاحظة وجوب تأمين الموازنة اللازمة.

اقتراحات عامة

وفي الختام نقدّم بعض الاقتراحات في سبيل الارتفاع بقدرة الإيسيسكو على تحقيق أهدافها المقدسة.

الأوّل: كثيراً ما نجد العجز المالى يقف مانعاً مهمّاً من تحقيق الأهداف المطلوبة، ومن هنا فنحن إذ ندعو الدول الأعضاء لتسديد مساهماتها المالية بانتظام، نؤكّد على ضرورة تنظيم مشروع اقتصادي متكامل يمكنه أن يحقّق الاكتفاء الذاتي نسبياً. ولم نجد في ميثاق المنظمة مايمنع من ذلك، وإذا كان هناك مانع وجب العمل على رفعه.

الثاني: مضاعفة النشاط في إطار المنظمة للعمل على عقد اتفاقيات مستمرة ثنائية مع الدول الأعضاء وغيرها، وكذلك مع المنظمات الأهلية ليتحمّل الطرفان فيها تكاليف المشروعات الثقافية، وهذا المعنى يتماشى مع البند الثاني من المادة السابعة عشرة للميثاق، ويوفر للمنظمة قدرة أوسع على التحرّك.

الثالث: بناءً على ما تضمّنه الميثاق من وظائف، نجد من الضروري أن ترصد المنظمة كل اللقاءات الثقافية والدينية على المستوى العالمي، وتعمل من

خلال فتح الصلات مع منظميها، على الحضور الفعّال فيها، والدفاع عن الثقافة الإسلامية والشخصية الإسلامية، كما يمكنها أن تشكّل حلقة بين هذه الجهات وكل المنظمات الإسلامية المؤهّلة.

الرابع: تعتبر الإيسيسكو من منظمات المؤتمر الإسلامي التي يسمح لها بالعمل على الصعيد غير الرسمي، إلاّ أنّ التعامل مع هذا القطاع مازال غير حاصل على النصيب الأدنى. ومن هنا نقترح أن تعمل المنظمة على التعامل والتعاون الأكبر مع هذا القطاع، بل يمكنها أن توازن بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي، وهذا المعنى يمنحها قدرة أوسع، وسمعة أكبر، ومجالاً أرحب لخدمة قضاياها الكبرى.

القيم الإنسانية المشتركة ودورها
في تعزيز التضامن بين الشعوب والامم

تمهيد

كيفما عرفنا الحضارة فانه يجب أن نقرّ بأنّ الصفة الإنسانية -بمعنى: امتلاك الاتجاه العام لخدمة الإنسان وتطوير إمكاناته الذاتية والعرضية - هي أهم مقوماتها بلا ريب.

ولا يمكن أن يتّسم أي مذهب أو تخطيط أو حتى مجرد سلوك بالسمة الحضارية إلَّا اذا اتّسم بالصفة الإنسانية.

والصفة الإنسانية، عبر إدراكات الوجدان ، وبلا حاجة الى استدلال، تلازم الايمان بمجموعة من القيم المطلقة والمشتركة ، فلا يمكن أن نفترض النسبية في كلّ شيء ثم نفترض وجود خصائص إنسانية، فإنَّ ذلك يستبطن نوعاً من التناقض :

مفاده: الاعتراف - من جهة - بأنَّ الإنسان له هويته المتفرّدة جزئياً - إن لم يكن التفرّد كلياً - ورفض أي تمايز انساني أو قيمة ثابتة فيه من جهة أخرى.

فما هي هذه السمة الثابتة المميّزة؟

إنّ الجواب الوجداني (ونؤكّد على وجدانيته، لأنّ ذلك يغنينا عن الاستدلال) هو: الفطرة الإنسانية.

والمقصود بالفطرة هو أنَّ الإنسان مخلوق إلهي أودعت الحكمة الإلهية في

وجوده وطينته الأصلية مجموعة من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول والغرائز التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له.

وكل الحضارات والمذاهب والأديان إنّما جاءت لتثير له دفائن العقول - كما يعبّر الإمام علي× - وتهيّئ الجو المناسب لبروز هذه الطاقات الكامنة على سطح حياته فتهديه سبيلاً يختلف كل الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي لا تتمتّع بما يتمتّع به من طاقات.

أمّا القضايا البديهية فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة: معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الأشياء وتلك من قبيل: الإيمان بمبدأ العلية، والإيمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين، وارتفاع النقيضين) وبعض القضايا الأخرى فهذه قضايا مغروزة في القناعة والوجدان الإنساني لا يحتاج للاستدلال عليها وإلَّا دخل في طريق مسدود؛ لأنّ الاستدلال نفسه يتوقّف عليها كما هو واضح.

أما القدرات العقلية فهي نفس قدرة النفس الإنسانية على التأمّل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكليات، والقيام بقياس الأشياء للوصول إلى تصوّرات جديدة والتخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم. إنَّ هذه القدرة الذهنية هي من مختصات الإنسان وهي سرّ مسيرته التكاملية وإبداعه ونموّه.

وأمّا الميول الغريزية فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه للاستفادة من طاقاته في هذا المجال:

ومن هذه الميول: ميله نحو الكمال، والسير نحو الكمال المطلق، ومحاولة سد جوانب العجز في وجوده، والركون إلى هذا المطلق القادر وأداء حقّه وشكر نعمه والقيام بحق طاعته - فهذه أمور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وإن اختلفت تجلياتها وتعددت أساليبها وربما غطّت الشبهات على هذه الميول وكبتتها.

ومنها أيضاً غريزة حبّ الذات والعمل على تحقيق طموحاتها، فهي من

الغرائز الأصلية في الإنسان والتي لا يمكن تجاوزها والقضاء عليها، كما تصوّرت الماركسية يوماً ما أنّها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية.

ومنها التذوّق الفني: والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخر بها هذا الكون.

وعلى هذا فالذي يبدو لنا بكل وضوح أيضاً أنَّ مسألة الإيمان بنظرية الفطرة الإنسانية يفسح المجال للحديث عن جملة مفاهيم من قبيل مفاهيم (الحقوق) و(التكاليف) و(العدالة) و(الإنسانية) و(الأخلاق) و(الذوق الفني العام) و(القيم المشتركة) و(الحضارة) و(الحوار) و(الدين) و(المعرفة) و(التصديق) و(المنطق) بل وحتى (البرهان والاستدلال) و(العلم) لأنَّهما يعتمدان على عنصر ثابت بدونه لا تسلم لهما حدود ومعالم.

وبدون الإيمان بهذه النظرية يبقى الإنسان حبيس نفسه ولا يتّصل إلّا بصوره الذهنية - كما يعبر جورج باركلي - بل يمكن القول بأنّه لا يستطيع الإيمان بذاته هو وهذا منتهى الخواء.

وبدونها فكل حديث عمّا مضى إنَّما هو حديث بلا معنى كما نتصوَّر. وهذه حقيقة كبرى تصطدم بها الاتجاهات المادية بقوَّة، ومن هنا جاءت النصوص الإسلامية لتؤكّد على (الفطرة) وأنَّ الدين في الحقيقة ينسجم مع (الفطرة) لأنَّها واقع أصيل والدين مشروع واقعي لاصلاح الإنسان، يقول تعالى:

⇗✗⇦♋♏✍✂♋♐ ⌂⌨⌂♑⇳♉◆❒ ⬄⚐♋♎❒🕯⬧⌑✂
✐✐☹⅄♐✍✂ ★✎✍✂ ✽☠♦❷⇳➲♋▫ 🗐 ✍☪▦⓿♋☪⌂❍
⬥⬥ 🗐 ✍◘✐⬀❸■◘♦⬂ “□✍□☪♐✍✂ ♦❷⬥➲⬥▫
☙①♋♐🕓⬥❶ 🗐 ★✎✍✂ ⇗✉▫◘⌂➲♋♐ ⬥✍③♋⑨⬀⌨⬥✍
✂✍✎✍♏♋⇦▫⮛ ✂✍♐⬂◗⬥⑩⬥▒✐⚐◗⬥ [1]. وهذه الآية الكريمة

---

١) الروم، ٣٠.

تقرر- كما يقول الامام الشهيد الصدر(قدس سره)- الأمور التالية: [١]

أولاً: أنَّ الدين (بكل مافيه من حقوق وتكاليف ومنظورات للعدالة) هو من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعاً لا تبديل لخلق الله.

ثانياً: أنّ هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلّا الدين الحنيف الخالص، أمّا أديان الشرك والإيمان بالآلهة الوهمية النسبية فهي لا يمكن أن تحلّ المشاكل الإنسانية.

يقول سيدنا يوسف لصاحب السجن: ﴿✍♦✍✍•➔⬀⌨🡐⑨←❒♌♦ ☯↗✎✍⍓☺⬄♋❒🕮 ☝•♈♐ ▦🕗♎○♎☼❒←⑩ ♊♎✌ ⬄⚐🡐☞☼❒🕮 ✎✍⍓♎❑←☺🡐✌⬂⑩●☺⍓♋ ✦✎✍✂ ♦✌♦❽☼❒🕮 ✎✍❑✌ ☠➔🗎↗♦✎✍♦📪✂♦↗♦❒ ✍♊🕐•➲▫🖫←♋ ♊♎✌ ✍❑🙵🙼▯﴾ [٢].

وثالثاً: ان الدين الحنيف الذي فطرت عليه الإنسانية يتميز بكونه ديناً قيماً على الحياة قادراً على التحكم فيها وصياغتها في إطارها العام.

ذلك أنّ المسألة الاجتماعية المهمة في تاريخ الإنسان هي التعارض الذي ينشأ بين المصالح الفردية (وهي تؤدي لأنَّ يتصوّر الإنسان لنفسه حقوقاً في الحصول عليها بمقتضى حبّ ذاته و(المصالح الاجتماعية) التي يطرحها النظام الاجتماعي الذي يعيشه ويفرض عليه (تكاليف) تجاهها باسم (العدالة) وهذا التناقض بين المصالح الفردية والاجتماعية لم يستطع العلم أن يحلّه، فإنَّ علم الإنسان لن يقف مطلقاً أمام ترجيح مصالحه الشخصية.

ولم تستطع المادية التاريخية من خلال قوانينها التاريخية أن تقدّم الحلّ ويبقى للدين الحل النهائي لهذا التعارض وتحقيق العدالة وذلك من خلال ربطه بين المصالح الذاتية وسبل الخير، إذ يقول القرآن الكريم: {♊♦✌⇳ ⬉♦☺♎✍• ♋⍓⑩♒🙵◎⍓❑☪ ▫•⌧• ⑥↗♑⬂❽♦❽✂ ♐♈•·

---

١) اقتصادنا، ص ٣١٠-٣١٢.

٢) يوسف، ٤٠.

[illegible] [1] ويقـول: {[illegible]} [2].

وهكـذا تـتلاحم المصـلحة الفرديـة والمصـلحة الاجتماعيـة و(الحقـوق) و(التكاليف) تلاحماً رائعاً ينفي التعارض.

وهنا يؤكد المرحوم الشهيد الصدر (قدس سره):

«فللفطرة الإنسانية إذن جانبان، فهي من ناحية تملي علـى الإنسـان دوافعـه الذاتية التي تنبع منها المشكلة الاجتماعيـة الكبـرى فـي حيـاة الإنسـان (مشـكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية للمجتمع الإنساني) وهي من ناحية اخرى تـزوّد الإنسـان بإمكانيـة حـل المشـكلة عـن طريـق الميـل الطبيعي إلـى التديّن» [3] .

ونضيف الـى ماسبق أنَّ الإنسـان بفطرتـه يطمـح الـى (التغييـر) أي تغييـر الواقع الذي يعيشه الى الأفضل باستمرار. فهذا مـن نوازعـه الفطريـة التـي قـد تخمد لديه أحياناً ولكنّها لن تنمحـي مـن صـفحة الـذات، وهـو مجهّـز بإمكانـات التعالي على الواقع والخلاص من ضغوطه وتصـوّر الحالـة الأفضـل تصـوّراً إجماليـاً - وربمـا كـان تفصـيلياً - ثـم العمـل علـى تغييـر الواقـع الـى الصـورة المفروضة. وهـي حالـة لا يتمتّـع بهـا أي حيـوان آخـر. ومـن هنـا تنشـأ عمليـة التغييـر وتطبـع الحيـاة الإنسـانية بطابعهـا الحضـاري دون غيـر الإنسـان مـن

---

١) غافر، ٤٠.

٢) فصلت، ٤٦.

٣) اقتصادنا، ص ٣١٠- ٣١٢، طبعة مشهد.

الموجودات.

وهكذا يمكن أن نقرر أنَّ العملية الحضارية تحتاج في كل مراحلها الى الإيمان بالقيم الثابتة وعلى النحو التالي:

اولاً : في مرحلة إيمان الإنسان بذاته.

ثانياً: في مرحلة العبور الى خارج الذات.

ثالثاً: في مرحلة صياغة الفكر وتكوين الصورة عن الحاضر والمستقبل انطلاقاً نحو التغيير الى الأفضل .

رابعاً: في مرحلة نقل الفكرة الى الآخرين واستلام أفكارهم .

خامساً: في مرحلة السبر والتقسيم والتمحيص والتداول.

سادساً: في مرحلة الاستنتاج والاقتناع .

سابعاً: في مرحلة التخطيط للتغيير.

وأخيراً : في مرحلة تنفيذ التغيير وتحقيقه.

وخلاصة الأمر:

إنّ هناك تلازماً تاماً بين المسيرة الحضارية الإنسانية التغييرية وعملية الحوار والإيمان بالقيم المشتركة والمطلقة.

القيم المشتركة مطلقة واقتضائية

إنّنا وبالتحليل النفسي الوجداني الذي اعتمدناه في مسيرتنا هذه ندرك وجود منظومتين من القيم إحداهما مطلقة التأثير لا تحدّها حدود أو ظروف معينة والأخرى هي قيم الحالة الطبيعية أو (قيم الأصل) ممّا يعني تحوّلها الى النقيض أو فقدانها التأثير المطلوب إذا طرأت ظروف أخرى.

ومن أمثلة المجموعة الاولى:

قيمة العدالة فهي مطلوبة مهما كانت الظروف.

وكذلك تقديم الشكر للمنعم المتفضل.

ومن أمثلة المنظومة الثانية:

حفظ الذات، حفظ الكرامة، التعاون، الدفاع عن المستضعفين والسلام

والأمن، التغيير الى الأفضل، الرحمة، الإيثار، الأمانة.

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة ما يؤول إليه من تبعات ظلماً لا عدالة، وكذلك السلام أحياناً بما يؤدّي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية. فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة فإنَّ السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهاً من وجوه العدالة، ونرفضها إن كانت ظلماً، ولكن التساؤل الأساس هو: ماهي معايير العدالة؟ وكيف نتأكد من تحقيقها.

إنّ الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأول: معيار تعبّدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق، وهو الله تعالى، وهو تعليمات الدين الثابتة، والتي نتأكّد من كونها صادرة من الله سبحانه ذلك أنّنا نتأكّد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتّعه بكل صفات الكمال، فهو لا يريد بالإنسان إلّا الخير ولا يخدع الإنسان وإنَّما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه التأمل في الأعماق وقناعاتها أو فلنعبّر بأنَّه يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق الفطري هو كون هذه القناعة - أيّة قناعة كانت - من ملازمات الطبيعة الإنسانية، ولذلك نجدها متوفرةً لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم.

ولكي نتأكّد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أي إنسان (هل تعتبر أنَّ السلوك الفلاني سلوكاً إنسانياً أم سلوكاً حيوانياً) فمثلاً لنركّز على (قتل اليتامى والعجزة والمستضعفين للتلهّي والتشهّي) مثل هذا السلوك يعدُّ سلوكاً وحشياً من قبل أي إنسان بلا ريب، والقرآن الكريم أحياناً يعيد الإنسان إلى تأمّله الوجداني وقناعته الفطرية حينما يقول: {🕮⬆❍♋✍□♦ ♐⬩❒⬈☠⬉ ✂♐✍♋♍⬆⓿♒⬗⧗♦⏲☼⬆→}[1] ويترك أمر تعيين الطيّبات له ،

---

١) المائدة، ٥.

ويقـــــــــــول {◑⊗✡❋☺◰✍ ❍◰❷▪⚐♦ ❻◆✉■⊗❻"

✂✍☜◉⇘⊞☒❑◆◷❍♉◷❀}[1] ويتـرك أمـر تعيـين الفـواحش لـه أيضـاً

ويعتبـر الخـروج عـن الحالـة الإنسـانية (فسـقاً) وانحرافـاً عـن الطبيعـة

{♦■❍♠❑✂☎ ✂✍✎⅄ ▫♦♁❑❍❀◉♑←☠⬀

◫◫⬀☠↙&❀❍→⊞✡❑◫ ◫ ◫↑❑♁◉♑♦◷❊◇♘①♑ ♎→☠⬉

✂✍☜◉⇘⊞☒◷❍⬁◑→❑♍♑}[2] .

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة وهي:

أنَّ الأديان تؤمن بالفطرة الإنسانية، وأنَّ الفطرة تقرّر كـون العدالـة مطلوبـاً مطلقاً وكون السلام مطلوباً إذا شكّل مصداقاً من مصاديق العدالـة وتجليـاً لهـا، ومن هنا كان التأكيد الدائم على (السلام العادل) تأكيداً إنسانياً صحيحاً.

السلام العالمي والموقف منه

قلنا لا ريب في كون الأمـان مطلبـاً إنسـانياً فطريـاً يسـتمدُّ جـذوره مـن أهـمّ غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريـزة (حـبّ الـذات). وهـذه الغريـزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكامليـة العليـا للانسـان.. فـلا يكفـي وجـود الـدوافع الغريزيـة لتـأمين المسـير المتوازن وإنّما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيداً من الفطرة نفسها على تـوفير الجـوّ الآمـن، نجـد العنايـة الإلهيـة قـد غرسـت فيهـا بـديهيات الحكمـة، والميـول نحـو العـدل، والنفـور مـن الظلـم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير مـن مصـاديق العـدل والظلـم، ممّا يمهّد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الـولاء لـه، وحينئـذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الأطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

---

١)الاعراف، ٣٣.

٢) الحشر، ١٩.

فالأمن إذن حاجة إنسانية دائمة لا تغيّرها الظروف، وليس ظاهرة عرضية حتى يقال، بأنّها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدّل تبدّلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا أيضاً يكون من الطبيعي أن نتصوّر الحاجة إلى نظام شامل يتكفّل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة.

ولا يمكننا أن نتصوّر حدوداً لمسألة حماية السلام والأمن إلّا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها، بعد أن ندرك أنَّ الفطرة هي معيار الحقوق الإنسانية كلها بشكل اجمالي. وأنّها هي التي فرضت حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الأمن تحديداً إلَّا إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصراً ضد الأُمن نفسه، فلا معنى إذن لضمانه.

وإلاّ فكيف نتصوّر الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن، وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدّده بما يردعه عن فعلته، حتى ولو كان ذلك بتهديد أمنه؟

الحوار بين الديانات واسع الأبعاد

بعد ما سبق نستطيع بكل وضوح أن نقرّر إمكان الحوار بشكل واسع الأبعاد بين الأديان وذلك:

١ـ لأنّها جميعاً تؤمن بنظرية الفطرة الإنسانية وتوابعها .

٢ـ لأنّها جميعاً تؤمن بقيم مشتركة كثيرة حتى ليلمح الإنسان تطابقاً تاماً في أصول القواعد. وربما ذكر بعض المؤلفين المسلمين القدامى مجمل تعليمات المسيح واعتبرها تعليمات اسلامية[١].

وقد قام محققان فاضلان مسيحيان بإعداد بحث جيد عن القيم والقواعد

---

١) لاحظ مثلاً ماذكره الشيخ ابن شعبة الحراني (وهو من علماء القرن الرابع الهجري) في كتابه المشهور (تحف العقول) اذ ذكر الكثير من الحكم والمواعظ الحياتية عن عيسى ×.

المشتركة للأحكام القانونية انتهيا فيه الى نتائج جيدة، فهما يقولان:

«تكفى محاولة اقامة جسور حول السؤال الذي يطرحه الناس نساءً ورجالاً، عندما يريدون أن يعيشوا بمقتضى إيمانهم: ما هي مشيئة الله؟ ماذا يتوجّب عليّ أن أفعل؟ يبدو لنا أنَّ الديانات الإبراهيمية الثلاث تسير في جوابها في اتجاه واحد»[١] .

وهما يقرران في النهاية: وحدة الناس في الله .

٣- أنَّ الأديان كلها تدعو الى الحوار المنطقي ولمّا كانت الأديان هي روح الحضارات فإنَّ الحوار بينها يفسح المجال لحوار حضاري أصيل ممتد الى مختلف المساحات الحياتية، ويوجّه الحوار الحضاري نحو مسارات أكثر انسانية.

الحوار بين الحضارات ودور القيم فيه

بعد ملاحظة ماسبق يمكننا القول ان السير الطبيعي للبشرية يقتضي أن يسود منطق الحوار بين الحضارات. باعتبار أنَّ الحضارات تحمل بشكل واضح بصمات الفطرة - اعترفت بها بشكل فلسفي أو رفضتها[٢]. ولذا ففيها جوانب مشتركة تفسح المجال للحوار لا محالة.

كما أنّنا ذكرنا من قبل أنَّ الأديان تشكّل جوهر الحضارات - حتى ولو أنكرت الحضارات ذلك - وبالتالي تبقى التأثيرات الدينية واضحة المعالم وأخيراً نجد المجالات المشتركة بين الأديان تفسح المجال لحوارات مشتركة بين الحضارات.

---

١) الاستاذ عادل خوري والاستاذ فانوني، كما جاء في تقرير الندوة الايرانية النمساوية المشتركة المنعقدة في فينا عام ١٩٩٩م ، ص٢٦٠.

٢) ولتوضيح ذلك يلاحظ أنّ كل فلسفات التشكيك في الحقائق المطلقة في مجال الفكر أو السلوك كالماركسية والفرويدية والدور كهايمية والكانتية وفلسفة باركلي وغيرها، هذه كلها تحمل نوعاً من الجزم والقطع لا محالة وإلّا لشكَّت في نفسها أيضاً، وهي لا تفعل ذلك.

هذا بالإضافة الى حقيقة امتدّت مع البشرية وتعاظمت مساقطها باستمرار، وهي هذا الترابط المصلحي بين إعمار الارض وساكنيها على مختلف الأصعدة.

وهو ترابط عبّرت عنه طموحات الأديان العالمية، والفاتحين الكبار بشتّى التعابير منذ أقدم العصور، واشتدَّ على مرّ الأيام حتى عدنا اليوم نشبه العالم بقرية صغيرة. والعالم هذا لم يصغر ولكن وعينا لترابطه وشدّة الالتحام بين أجزائه هو الذي أوصلنا الى هذه النتيجة.

فلم يعد بمقدور أي بلد أو دولة أن تخطط لبيئتها ولطاقاتها وقوانينها الجوية والبحرية ومواصلاتها ومخابراتها بل وتعليمها وتربيتها وثقافتها ونهضتها واقتصادها ودفاعها، بمفردها بعيداً عن ملاحظة مايجري في العالم.

ومن هنا نعتبر أنَّ الاتجاه نحو العالمية اتجاه طبيعي لا معنى لمقاومته، بل يجب تشجيعه ودعمه . وإذا كنا نقف بوجه (العولمة) ونعتبرها تحدّياً خطيراً فإنّما ذلك لأنّ هذا النمط يعني تفسيراً خاصاً لهذا الاتجاه يصبُّ في مصلحة القوى العظمى أو فلنقل يعني سيطرتها على مقود المسيرة وتحويلها لصالح أمّة بعينها مهما كان الأمر، وأمركة للعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها بمختلف الوسائل وشتّى السبل القمعية. ولذلك وصفت بالعولمة المتوحشة والمجنونة و(أن تأكل أو تؤكل) وأمثال ذلك.

وعلى أيٍّ فإنَّ الحوار هو مقتضى الترابط ووحدة المصير الإنساني ولا بديل له إلّا الصراع، وهو منطق الغابة لا الإنسان بلاريب.

فيجب إذن تأكيد انسانيته وتعميقها بتأصيل القيم الإنسانية فيه.

ويمكننا الحديث عن هذه القيم في ما يأتي كنماذج فقط وإلّا فمجال هذه القيم واسع جداً .

نماذج من القيم المشتركة التي يجب أن تسود

١ـ قيم الحوار المنطقية.

وهي قيمٌ إنسانية ثابتة. لا تتغير باختلاف الظروف فيجب أن يكون الحوار قائماً على مفروضات متّفق عليها بين الطرفين وإلّا لم يعد منتجاً.

ويجب أن يدخله الطرفان بروح طلب الحقيقة ، وأن تكون أطراف الحوار بمستوى دراسة الموضوع ويجب أن يتوضح محور الحوار بشكل تام، كما يجب أن يكون امراً عملياً لا طوبائياً.

ويجب أن تسوده روح احترام الآخر، كما يجب أن يتخلّص من رواسب الماضي أيضاً.

ويجب أن يتمَّ في جو حرّ بعيد عن الضغط والعنف والتحايل والضوضاء والتهويل.

وغير ذلك من مقتضيات الحوار السليم.

وأستطيع بكل اطمئنان أن اقول: إنَّ القرآن الكريم أشار الى كل هذه القيم الحوارية الثابتة في أصالتها.

٢- قيم العدالة ومعاييرها ومساحاتها.

فمهما اختلفت الآراء وتنوّعت المذاهب فإنّه تبقى هناك مساحات لا يختلف عليها اثنان. وهل يختلف أحدٌ على ضرورة إعطاء الحق لأهله، وأن سلب الشعوب حقوقها في الأرض والمصير ظلم، وأنَّ التنمية والاستثمار الصحيح للموارد أمر حميد وغير ذلك.

فيجب إذن اكتشاف هذه المساحات والسعي لتعميمها وتعميم الالتزام بها.

٣- الاتفاق على الحقوق الأساسية للانسان، والسعي لتوسعة هذا الاتفاق ليشمل الحقوق التفصيلية الأخرى، وهو أمر غير صعب إذا حسنت النوايا؛ لأنَّ البحث بحث في عمق الوجدان الإنساني وفي قيم تدرك بالفطرة الصافية.

٤- الاتفاق على حدود الحرية الإنسانية ومحاولة ترجمتها الى معالم واضحة وتطبيقات عملية.

٥- الانطلاق من القيم الإنسانية لتحديد الايديولوجيات الهدّامة: كالارهاب والعنصرية والاستبداد والتفرقة العنصرية والاستعمار وغير ذلك.

٦- وضع مبادئ سلامة البيئة وتعميمها .

٧- الاتفاق على مبادئ الفن الرفيع بما يخدم البشرية ويستجلي كوامنها.

٨- الاتفاق على القيم الاجتماعية ومقومات المجتمع السليم الخالي من الشذوذ والتسيّب.

٩- الاتفاق على نوع التخطيط للصراع ضد التحدّيات المتفق على رفضها من قبيل: الأمراض والفقر والجهل والأمية. والتخطيط لتقليل آثار الكوارث الطبيعية كالزلازل والسيول والحرائق وغيرها .

١٠- تنظيم الحقوق الدولية المشتركة في مجال الملاحة والمواصلات والمعلومات وأمثال ذلك.

١١- بناء المؤسسات الدولية العاملة بمقاييس متعادلة واحدة بعيداً عن الازدواجية والتفرقة .

١٢- الوصول الى آليات عملية لتعزيز التضامن وتعميم المسؤولية الإنسانية تجاه عملية السلام ونشر العدالة.

معاً لتعميم منطق الحوار

وفي ختام حديثنا المختصر هذا لابدّ أن ندعو بقوة لتعميم منطق الحوار بعد أن آمنا بأنَّه أمر تقتضيه الحكمة والفطرة والعقل السليم، في قبال مقتضيات العاطفة الجامحة والعصبية المقيتة والانحباس في بوتقة الماضي.

وفي هذا الصدد ندعو لتكوين أمّة من المفكرين من كل الأطراف القائمة في الواقع العملي تعمل على تهيئة الظروف لهذا التعميم، وتضع الخطة اللازمة لذلك، وأرى أن نسمّيها بـ (الوسطية العالمية)، أسوة بما ندعو إليه ونسمّيه داخل الهوية الاسلامية بـ (الوسطية الاسلامية). وذلك انطلاقاً من إيماننا بأنَّ هذه الوسطية لها مفهوم شمولي يعمُّ تصوّرنا عن الوجود (باعتباره متوازناً)، وموقف الإنسان منه موقفاً متوازناً، كما يشمل تصوّرنا عن التاريخ والعوامل

المؤثرة فيه، فضلاً عن كونه تعبيراً عن طبيعة الاسلام وموقفنا منه أيضاً.

ومن هذا المنطلق (الوسطي) نرى أن تعتمد الخطة العالمية الدعوات التالية:

١ـ الدعوة الى التفرقة الجادَّة بين الثنائيات الحدية المتناقضة أو المتضادة بحكم العقل القطعي من قبيل ثنائيات (الوجود والعدم) و(التوحيد والشرك) و(الاطلاق والنسبية) وأمثالها، وبين الثنائيات اللاحدية أو المصطنعة من قبيل (انا الخير والآخر الشر) (إمّا محاربة الارهاب أو الكون معه) (إمّا ان تكون ماركسياً أو فانت لا تفهم الماركسية). (أنا التوحيد وما عداي الشرك) (أنا التمدن وما عداي التوحش) (مبادئي هي منتهى التاريخ وما عداها هي التي يجب أن تزول) (أما أنا أو الهمجية) وأمثالها، فإنَّ النمط الأول ممّا يمكن الاتفاق عليه وإن شكّك في ذلك الماركسيون . أمّا النمط الثاني فهو من قبيل الأصنام الفكرية التي تتم عبر عملية (تصعيد) ذهنية أو نفسية أو تاريخية أو عصبية فيتحوّل (النسبي) فيها إلى (مطلق) وبالتالي يقيّد كل عمليات التفكير ويمنع كل احتمالات التطوّر. نعم يجب الإذعان للقيم الإنسانية المشتركة التي أشرنا إليها ودلّ عليها الوجدان.

٢- العمل على إشاعة روح الانفتاح الواعي على الحاضر ، وعدم الانحباس الأعمى في الماضي أو حتى في النظريات التي تمَّ القبول بها مع احتمال وجود ثغرات فكرية فيها.

٣- السعي لتعميم ما قلناه من قبل من أنَّ كل الحضارات لابدَّ أن تستقي من الفطرة بعض مكوناتها أو على الأقل نبقي احتمال استقائها وارداً، وحينئذ تنفتح أمامنا كوى الحوار.

٤- الاتجاه نحو تعميق مفهوم التطور الفكري والإبداع الجديد وعدم التأثُّر بمفهوم (ليس في الإمكان أبدع ممّا كان) وإبقاء روح اكتشاف الحقائق حية دافعة متدفقة.

٥- السعي نحو تعميم الإحساس الإنساني المشترك بالاخطار التي تهدَّد البشرية جمعاء ولا تفرّق بين حضارة وحضارة، وقومية وأخرى، ومنطقة وثانية كالمرض والجهل ونقص المعنويات وتلويث البيئة وتفكّك العائلة وسيادة

منطق العدوان وغيرها.

٦- الدعوة الى تغليب التعقّل على عنصر التطرّف فهو أمر يعمي البصيرة ويمنع من التفكير بهدوء مهما كانت الايديولوجية .

٧- السعي للتوصُّل الى حل متوازن بين الاتجاه العالمي وبين احتفاظ الشعوب والأمم بخواصها الثقافية وغيرها. وهذه الجادّة الوسطى هي التي تضمن نجاح الاتجاه العالمي من جهة لكيلا يصطدم بالعقبات الجادة، كما يحفظ للبشرية والأمم ثرواتها المتنوعة على مختلف الصعد. فنحقق بذلك مبدأ فلسفياً يقول بـ (الكثرة في عين الوحدة) .

٨- ضرورة تثقيف الجميع بأنَّ مصالح الأمم هي جزء من ماتؤكّد عليه قيمها. وحينئذ لن يقوم هناك تناقض بين القيم والمصالح وتتهيّأ فرص واسعة للحوار.

٩- تعميق الروح الموضوعية الإنسانية لمحو الروح الاستعلائية العنصرية من جهة وعدم التأكيد على القيم الحضارية الخاصة واعتبارها قمة الانتاج الحضاري واعتبار ماعداها تخلّفاً . نعم يجب الإيمان بالقيم الإنسانية المشتركة.

وقبل أن ننهي حديثنا نؤكّد أنّ بوادر الأمل بالمستقبل الواعد - من وجهة نظرنا - كثيرة:

فهذا القبول العالمي بحوار الحضارات في الأمم المتحدة، وهذه اللقاءات المتتابعة منذ الثلاثينات في القرن الماضي وعلى مختلف المستويات ، وهذا الانفتاح من قبل المرجعيات الدينية المتنوّعة على الحوار، وهذا الاتجاه الواسع نحو المعنويات ، وهذه المعلوماتية المنتشرة والتي تكشف الحقائق أمام الجميع، كل هذا وغيره يعدنا بمستقبل مثالي رغم ما نواجهه من تحديات العولمة المصلحية، والنظريات الاستعلائية، والظلم الفاحش ضد الشعوب، والاحتلال والإرهاب الفردي والرسمي، والتعامل المزدوج. ذلك أنّنا نؤمن ونرى أنّ قوى الخير تنتصر على عوامل الشر وفقاً لسنن الله في الحياة.

الفصل الثالث:

العلاقة مع الأديان

القيم والمصالح أساس العلاقات
بين المسلمين والمسيحيين

لا شكَّ أنَّ هناك في العالم الاسلامي صحوة اسلامية شاملة وقد تجلّت بشكل أكثر وضوحاً في منتصف القرن الماضي، وقد رأينا بعض مظاهرها والتي قد تكون أيضاً عناصر مساعدة على اتساعها وتعميق جذورها، متمثّلة في قيام المؤسسات الشمولية في أواخر الستينات كرابطة العالم الاسلامي ومنظمة المؤتمر الاسلامي، ونجاح الثورة الاسلامية في ايران، وهزيمة الاتحاد السوفيتي في افغانستان، وانتشار المطالبة بتطبيق الاسلام في شتّى أنحاء العالم الاسلامي، وتنامي الشكوك تجاه نوايا الغرب تجاه العالم الاسلامي، وانتشار العادات والظواهر الاسلامية خصوصاً بين الشباب وأمثال ذلك.

وقد دفع هذا التحوّل الكبير بعض الدول العظمى كأميركا لتغيير استراتيجياتها، وبعض المفكّرين ليعيدوا النظر في تحليلاتهم الحضارية واسلوب التعامل بين الحضارات، كما دفع بعض ذوي النظريات المتطرّفة الى العودة الى نظريات تقسيم العالم الى متحضّر ومتوحّش، وبالتالي تطبيق مبدأ قانون الغابة مع سكّانها، وأنَّه لا معنى للتعامل معهم وفق المبادئ الانسانية.

وقد انجزت اعمال تحقيقية لها قيمتها الدراسية في هذا المجال[١] .

---

١) من قبيل ما كتبه الكثير من الكتّاب الاسلاميين كمحمد محمد حسين والعقاد، ومحمد حسنين هيكل، والمطهري، والسيد الصدر، والندوي، وكتّاب غربيون مثل جون اسبيزيتو وب .

وقد كانت المحاولات تنصبُّ على عناصر ثلاثة في مجال تبيين سبب الظاهرة، وهي:

١ـ مسألة انقسام المجتمعات الاسلامية الى خطوط ثقافية ثورية أو رجعية وصراع هذه الخطوط.

٢ـ مسألة سعي الغرب أو الحكومات الموالية له إلى تهميش العنصر الاسلامي والمظاهر الاسلامية.

٣ـ عمل المفكّرين الاسلاميين على الاستفادة الجيدة من ظروف الانفتاح الانساني وحقوق الانسان لغرض إثارة الحماس في العالم الاسلامي.

وهم بذلك ينقسمون في مجال التعامل الاسلامي الغربي الى فريقين:

الأول: من يرون أنَّ مجال التصالح بين الغرب والاسلام مغلق ونفقه مظلم، لأنَّ السرَّ يكمن في أنَّ الاسلام نفسه يرفض الغرب قيمياً ولا يسمح مطلقاً بالتعايش أو ما يسمّونه بالانسجام مع الحداثة أو التغريب. وتسمّيهم الكاتبة شيرين هانتر بالمستشرقين الجدد[١]، أمّا نحن فيمكن أن نسمّيهم بفلاسفة (اليأس الحضاري).

ومن هؤلاء مثلاً مارتن كرامر الذي ينعى على مخالفيه تساهلهم في الأمر ويسمّيهم (الاعتذاريين) ويرى أنَّ عملية الإحياء الاسلامي ستقضي على نفسها في نهاية القرن كما يرى أموس برلموتر في مجال العلاقة بين الاسلام والديمقراطية (أنَّ المسألة ليست الديمقراطية بل الطبيعة الأصلية للاسلام)[٢].

ولا نعدم في عالمنا الاسلامي من يصوّر العلاقة في ثنائية متنافرة تنافر

بيسكاتوري، وفرانسوا بورجا، وجيل كيبيل ور. ديكميجيان، وشيرين هنتر، وابراهام برايان وغيرهم.

١) مستقبل الاسلام والغرب صدام حضارات أم تعايش سلمي للكاتبة الشرقية شيرين هانتر الترجمة لزينب شوربا، ص ٩٦.

٢) الواشنطن بوست، ١٩ يناير ١٩٩٢.

الاسلام والجاهلية.

الثاني: يرى إمكان التعايش نتيجة حيوية الاسلام وقدرة التجربة الاسلامية على التغيّر والتكيّف، كما يرى أنَّ الانبعاث الاسلامي ناتج لا من قدرات الاسلام الذاتية بل من الحرمان الاقتصادي والاستلاب الاجتماعي والحرمان السياسي أيضاً وهذا ما يؤكد عليه فرانسوا بورغات كما يرى أيضاً بعداً ثقافياً لهذه الحركة كجهد للاستقلال الثقافي ويقول:

نحن نشهد الوجه الثالث لعملية إزالة الاستعمار. فالوجه الأوّل كان سياسياً ـ حركات الاستقلال والثاني اقتصادياً ـ تأميم قناة السويس في مصر والنفط في الجزائر أمّا الوجه الأخير فهو ثقافي[١]. ويدعو هؤلاء الى سياسة التعامل بايجابية وتسمّيهم الكاتبة شيرين هانتر بالعالم ثالثيين[٢]، واسميهم بـ (مفكّري التوافق)، وهناك كثيرون من المفكّرين الاسلاميين ينحون هذا المنحى.

وإذا كنت أنعى على الأوّلين بعدهم عن فهم طبيعة الاسلام المرنة، وفهم حقيقة الصراع الطويل بين العالم الاسلامي والعالم الغربي بكل ما فيه من مد وجزر، فإنّي أنكر على أتباع الاتجاه التوافقي الغربي اعتبارهم قيم الحضارة الغربية هي الأصل، ومدى قدرة الاسلام على الانسجام معها هو المعيار في حيوية الاسلام.

فهذا برايان في سلسلة مقالاته عن الموضوع في (الايكونوميست) اللندنية عام ١٩٩٤ يبدو توافقياً داعياً الغرب الى شيء من الانحياز الى المعنويات وداعياً العالم الاسلامي الى الايمان بكل القيم الغربية معتبراً العالم الاسلامي يمرُّ اليوم في قرنه الخامس عشر الهجري بنفس الحالة التي كان الغرب يمرُّ بها في قرنه الخامس عشر الميلادي، وكما كان الاسلام العامل الخارجي المؤثّر آنذاك لحدوث النهضة فيجب أن يكون الغرب هو العامل الخارجي

---

١) **Paris: Editions La Decouverte 1995**، ١٠٧.

٢) مصدر سابق ص ٩٨، من الترجمة العربية.

المؤثّر في نهضة العالم الاسلامي اليوم.

وكذا نجد شيرين هانتر فهي تدعو الغرب إلى شيء من التديُّن وتدعو العالم الاسلامي الى العلمانية ليتمَّ حل المشكلة[١].

وكأنَّ الأمر يدور بين حالتين فإمّا أن يتنازل الاسلام عن قيمه ليرضى الطرفان: اليائسون والتوافقيون، أو يوصف بأنّه العدو الحضاري على طول المدى للغرب. ولنصوّر هذه الثنائية الحدّية بشكل آخر، فإمّا أن يكون معيار الصراع القيم فلا تلاقي في البين، أو يكون المصلحة فهناك آفاق للتعاون والتعايش.

ولكي أنتقل بالبحث من التعامل الاسلامي الغربي الى التعامل الاسلامي المسيحي في حركة الواقع اليوم ـ وهناك من سحب الواقع الغربي على كل الساحة المسيحية ـ أبدي الملاحظتين التاليتين:

الملاحظة الأولى:

أنَّ هناك خلطاً واضحاً أحياناً بين الاسلام كمنظومة قيم والمسلمين كأمّة تعتنق الاسلام، فالواقع التطبيقي للاسلام ولمسيرة الأمّة لا يعكس في ظروف ليست قليلة حقيقة القيم الاسلامية في حركتها العملية، فلا يمكن مثلاً اعتبار تصرّف حاكم معين منطلقاً من الثقافة الاسلامية حتماً، خصوصاً وأنَّ الحكم الاسلامي ابتلي بفترات استبداد وبعد عن القيم يتبرأ منها المسلمون أنفسهم، كما أنَّ القيم الغربية والسلوك الغربي لا يعني بالضرورة رضاً مسيحياً عنه بل ان محاولات التخلّص حتى من النَفَس المسيحي معروفة.

إلّا أنّنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا ان روح القيم الاسلامية هي التي تحرّك التيار العام في العالم الاسلامي حتى لو افترضناه علمانياً، كما أنَّ الروح المسيحية تفعل فعلها وتترك تأثيرها الجذري على مجمل الحياة الغربية. ولكنهما (الاسلام والمسيحية) يبقيان مصونين عن أي انحراف في العالم

---

١) مصدر سابق.

(الاسلامي والغربي) لا يمتُّ الى قيمهما بصلة.

ومن هنا نجد الفرق واضحاً في مجال النظرة أو في مجال التعايش في الغرب عنهما في العالم الاسلامي حتى أنَّ المرء لا يحس بكثير من الفوارق بين المسلم والأرمني الايرانيين أو القبطي والمسلم المصريين.

ومن هنا نقول: إنَّ الحوار الاسلامي المسيحي له تأثيره القوي على العلاقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية.

الملاحظة الثانية:

إنَّنا لا نجد أنفسنا محصورين في الزاوية الضيقة فإمّا أن نترك الساحة للقيم المتناقضة فالصدام والصراع أو نلجأ الى المصلحة فتُسحق القيم ويتم التعايش ـ والمفروض أنَّ التنازل عن القيم يعني الاغتراب عن الذات . إنَّ هذه المعادلة باطلة على صعيد العلاقة الاسلامية الغربية وأكثر بطلاناً على صعيد العلاقة الاسلامية المسيحية.

فهناك الكثير الكثير من نقاط الاشتراك بين الاسلام والغرب يمكنهما أن يتفاهما عليها دون التنازل عن القيم. من أمثال (حقوق الانسان، والديمقراطية، والسلام، والحرب ضد الارهاب، ومقاومة العنصرية والنازية والفاشية وغير ذلك).

وهناك المصالح المشتركة التي تزيد العلاقة قوة.

أمّا المساحات المشتركة بين الاسلام والمسيحية ففيها اتساع ملحوظ.

فهناك تراث قيمي مشترك لا يقدّر بثمن، فإنَّ الملاحظ للنصوص الاسلامية يجد كماً كبيراً من النقل عن عيسى × وأمّه الطاهرة نقلاً يوجّه الحياة وينقيها. وكمثال على ذلك نجد الشيخ الكليني وقد توفي في أوائل القرن العاشر الميلادي

في كتابه المعروف (الكافي)[١] ينقل نص مناجاة الله (عز وجل) لعيسى كأروع ما يكون حيث يبدو كما يعبر محمود ايوب (عبداً متواضعاً لله، لكنه في الوقت عينه ولي مقرب عند الله) ثم يعقب فيقول:

«من خلال مفهوم التجلّي الإلهي هذا تلتقي صورتا المسيح الاسلامية والمسيحية حول نقاط عدة: فالإسلام يؤكد أنَّ في مقدور الانسان، بل من واجبه أن يتقرّب الى الله والتقرّب الى الله يتّضح جلياً في معراج النبي محمد ’ حيث وقف أمام الله مباشرة وصعود المسيح ليجلس عن يمين الله» ورغم وجود بعض النقاش في هذا النص إلّا أنّه يكشف عن تلاحم بين التراثين.

على أنَّ هناك تلاقياً في مجالات كثيرة منها:

- التركيز على عبادة الله ومحاربة الظلم والطغيان.
- الإيمان بالفطرة الانسانية المبدعة.
- الإيمان بمنظومة أخلاقية تكاد تكون واحدة.
- الإيمان بحقوق الانسان.
- الإيمان بقيمة التشكيل العائلي.
- الإيمان بضرورة التكافل الاجتماعي.
- الإيمان بضرورة إحياء الذكريات المصيرية.
- الإيمان بقيمة الحياء والعفة الاجتماعية.
- الإيمان بالحياة الإلهية المسجدية أو الكنسية.
- الإيمان بضرورة خدمة الحضارة الانسانية.
- الإيمان بمنظومة من العبادات والصلوات المزكّية للنفس.

وغيرها كثير كثير.

---

١) روضة الكافي، الجزء الثامن، ونقله عنه ابن شعبه الحراني في آخر كتاب (تحف العقول) وتحدث عنه بالتفصيل البروفيسور محمود أيوب في كتابه (دراسات في العلاقات المسيحية الاسلامية) ج١، ص٦٤.

وهناك مساهمات حضارية مشتركة. على أنَّ المصلحة وهي في نفسها قيمة دينية تقتضي هذا التعايش.

إنّ التعاون في الحرب ضد الفقر والمرض والجهل، والعمل لنفي التعصّب، والانهيار الأخلاقي، وإشباع الحاجات المعنوية ومقاومة المخططات الشيطانية لتقويض الكيان العائلي والتشكيك في القيم الدينية، ومقاومة الارهاب بشتّى أنواعه ومنه الإرهاب الرسمي، ورفض أدعياء الدين الذين يخلقون الحروب لمصالحهم الشخصية والفئوية والحزبية ويتستّرون بالدين، وغيرها، كلها مصالح تدعو الطرفين للتعاون البنّاء.

سيدنا إبراهيم ×
نموذج الإنسان الحضاري الكامل[1]

[illegible]

١) بحث ألقي في مؤتمر الأديان الإبراهيمية المنعقد في قرطبة باسبانيا، بتاريخ ١٩٨٧/٢/١١.

🗐 ⇘☐ᘐ☐☪♋👁ᘐ✂ ❼■✍♦⇖ ♦⇗✎✂⍓⑨❑&→✸

■☐🗐❑■🖬○🕐♋👁ᘐ✂ ☎✂❑←☺⑩ᘓ🔔❑🕯•▫

■☐🗐❑☒🖃☐❽♋👁ᘐ✂ ☎✂❑➔✍✂♦⇗♦❒

♦❑➔♎ ★✎ᘐᘐᘓ🖃 ☎✂❑←☺⇖🕐♦☝⇳⇖ᘐ✂♦❒

🗐❼■🖫⇗❑⍓☺⇘♋👁ᘐ✂ ⌘☠⇙➔ᘓ✡•▫ ☎ ⬄⚐⇗🗏♋•♋👁⇗❑♦✌

❒♦☼ᘓ➔⇙⚐⌘ ✂ᘐ👁♋☪☐🕐⇖❷❸← }(١).

يكاد يكون سيدنا إبراهيم(ع) الشخصية الوحيدة التي تجمع البشرية المتألهة على اعتبارها الأسوة الحسنة، وما نسعى إليه في هذا البحث هو دراسة نقاط الالتقاء الإنساني التي تنسجم مع أصولنا العقائدية جميعاً لنجعلها منطلقاً حيّاً لمسيرة إنسانية واحدة، ومن ثمّ لنعمل على تقريب الفرد المساهم في الحضارة الإنسانية من هذا النموذج الفريد.

وقبل استعراض ما يقرره القرآن الكريم حول هذه الشخصية العظيمة يجب أن نلاحظ بعض النقاط كمقدمات تمهيدية توضّح توجه النظرية الإسلامية للحياة أوّلاً بأبعادها العامة، ثم نستعرض الدور الذي يلعبه الفرد في هذا التوجه الحضاري الإنساني

كما نركّز على العقبات التي تنطرح أمام مسيرة هذا التوجُّه نحو أهدافه الكبرى مشيرين إلى العلاج المتصوَّر. كل ذلك يؤكّد أنَّ الصورة القرآنية عن هذا الرجل الموحِّد يمكنها أن تشبع تماماً كل الحاجات التي تفترضها تلك النظرية في الرجل الذي يصنع التقدُّم الحضاري ويترك بصماته على التطور الحقيقي ـ من وجهة نظر الإسلام ـ أي التطور المنسجم مع خط الفطرة الصاعد إلى الله تعالى.

أهم المبادئ للنظرية الإسلامية حول الحياة الحضارية الإنسانية

---

١) سورة الحج، ٧٧ ـ ٧٨.

الأوّل: أنَّ الحياة الإنسانية نعمة الهية منّ بها الله ـ الرحمن الرحيم ـ تعالى على هذا الموجود وكرّمه بها ليوصله إلى كماله الوجودي المناسب له.

الثاني: أنَّ هذا الموجود الإنساني لا يصل إلى كماله إلاّ من خلال عمل اجتماعي حضاري تاريخي ومتدرج ومتكامل، تقوده إلى تكامله هدايتان تشكِّل إحداهما نبيّه الداخلي، وهي الفطرة بكل ما فيها من طاقات للمعرفة النظرية والعملية، ودوافع نحو استكناه المجهول، والاتّجاه للكمال والتديّن للإله المطلق، وقدرات للتعقّل والتجريد والاستدلال، وتجاوز الحدود المادية، وهذه هي الهداية الفطرية. في حين تشكل الأخرى عقله الخارجي الذي نسميه(بالوحي) وهي الهداية التشريعية التي تكمل عنصر الإرشاد لديه وتهيئه للوصول إلى الهدف.

الثالث: أنّ المسيرة الإنسانية تصادفها مشكلات جمّة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ـ مشكلة عدم الإيمان بأي وجود أعلى، وبالتالي عدم التسليم لأي قيمة او قانون، وهو ما نسميه أحياناً بـ(الإلحاد).

٢ـ مشكلة الإيمان المفرط بآلهة وهمية تأتي نتيجة عملية تصعيد ذهني لبعض الوجودات المؤثرة حقيقة أو حتى وهماً وبالوصول بها إلى مستويات مطلقة، وجعلها موجَّهة تمام التوجيه للحياة.

٣ـ مشكلة التعارض بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية.

٤ـ مشكلة عدم وجود الدافع الذاتي للتسليم للحدود الاجتماعية وتطبيق النظام الأصلح حتى ولو كان يعارض المصالح الشخصية.

٥ـ مشكلة خمول الطاقات الفطرية نتيجة التخلّف الاجتماعي. وغير ذلك من المشاكل التي تترك أعظم الآثار السلبية على المسيرة الحضارية الإنسانية.

فالمشكلة الأولى: إذا تحكّمت في المجتمع ـ وكذلك المشكلة الرابعة ـ فإنهما تؤديان إلى تحلل عارم، وعدم انتماء مقيت فظيع لا تستقر معه حياة، ولا يسلم فيه قانون، وبالتالي لا تفترض معه مسيرة سالمة.

والمشكلة الثانية: إذا انتشرت مزّقت البشرية إلى جماعات متناحرة، وأوقفت

عجلة التقدُّم الإنساني؛ باعتبار أنَّ هذه الآلهة الوهمية تتحوّل إلى قيود على الذهن الإنساني الحضاري؛ لأنَّها وليدة وضع متخلّف، فلا تسمح ـ إذن ـ بوضع أكثر تطوراً.

والمشكلة الثالثة: تكاد تكون هي سرّ كل هذا الظلم والحيف والجور والتعدّي على حقوق الجماعة، وما إلى ذلك من الفسق والانحراف عن المسيرة الإنسانية السلمية.

أما المشكلة الرابعة: فهي قد تحوّل الإنسان إلى مجرد حيوان وديع مسخر للطبيعة أو لمصالح الإنسان الآخر، وبالتالي تفقده القدرة على احتلال دوره الحضاري المنشود، وهنا نذكّر بأنَّ هذه المشاكل قد تكون أحياناً ناشئة من طبيعة الإنسان نفسه، كما قد تكون ناشئة من عوامل خارجية طارئة، إلاّ أنّ النظرية الإسلامية ـ والواقع يؤيدها ـ تؤكد أنّ الحلول الحقيقية لهذه المشاكل الحضارية تكمن في الدين، وهو ما تقود إليه الفطرة والطبيعة الإنسانية نفسها، وبالتالي فإذا تجسّد الدين في الرجل الحضاري استطاع أن يغيّر المسيرة.

أما كيف يتمّ الحل على يد الدين فهو ما يمكن تلخيصه بالأمور التالية:

أوّلاً: يعتمد الدين الإلهي مسألة الإيمان بالله العظيم، وهو المطلق الحقيقي الذي تنزع إليه الفطرة كل النزوع، ولا تستريح إلاّ بالوصول إليه والاطمئنان بذكره{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(١). وهو الوجود الحقيقي الذي لم يصنعه الذهن القاصر بل هو خالق الوجود.

وثانياً: يعتمد مسألة الوحي وامتداد الرحمة الإلهية إلى البشرية لتستمدَّ من(العلم الإلهي) و(اللطف الرباني) ما يعطي الإنسان المخطط التفصيلي لحياته الصاعدة بعد ما أعطته فطرته المخطط الإجمالي لذلك.

وثالثاً: يعتمد مسألة الآخرة والحياة الإنسانية الممتدة إلى عوالم الخلود،

---

١) سورة الرعد، ٢٨.

وبالتالي تتحوّل الحياة من وجود محدود إلى حياة خالدة.

ورابعاً: ينظّم كل الشؤون الحياتية ويربّي النفس الإنسانية على حبٍّ يتعالى على الأمور الدنيا ليذوب في الله العظيم. ويتحوّل إلى تسليم حنيف خالص له جلّ وعلا لا يرى حقيقة في الوجود إلاّ هو، ولا مولى في الكون إلاّ هو، ولا محبوباً غيره، ولا مؤثراً سواه. جلّت قدرته وآلاؤه. وعندما يتأصل الدين في وجود الإنسان ويملأ عليه وجوده وإحساساته فسوف لن تبقى أية مشكلة من المشاكل السابقة على الإطلاق، ولا معنى لتصوّر الإلحاد، أو التأليه الكاذب، أو التغليب الجشع للمصالح الفردية، أو العصيان، أو حالات الخمود الفطري، كلاّ وإنما يعود السير طبيعياً نحو الكمال المطلق، وكادحاً نحو الله { يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}(١).

الرابعة: أنَّ الإنسان الفرد يستطيع أن يغيّر نفسه ومجتمعه ومسيرته الحضارية، لا بل إنِّ الإسلام يطلب من الإنسان المؤمن أنَّ يدعو ربَّه دائماً ليجعله إمام المتقين.

وبهذا الإحساس نقول: إنّ النظرية الإسلامية لا تذيب الفرد في دوامة المجتمع في نفس الوقت الذي تعترف فيه بالإطار الاجتماعي النظيف مجالاً خصباً للتحول التكاملي للفرد. وبهذا يمكن أن يكون الفرد في سلوكه(أمة) على سعتها إذا امتلك تأثيرها المطلوب، وتفجرت لديه طاقات الفطرة الكامنة، وطفحت على سطح سلوكه دفائن العقل والنفس اللامادية الفاعلة، وهكذا كان إبراهيم× (٢).

إبراهيم (ع) نموذج الرجل الحضاري القائد

---

١) الانشقاق، ٦.

٢) للتعمق في هذا المجال راجع ما كتبه الإمام الشهيد الصدر في نهاية كتابه «الفتاوى الواضحة» حول دور العبادات في حياة الإنسان.

إنَّ القرآن الكريم ليركِّز على شخصية إبراهيم (ع) تمام التركيز والتأكيد، بما لا نظير له من بين الشخصيات القيادية التي يطرحها اللهمَّ إلاّ شخصية الرسول العظيم محمد(ص) التي يعتبرها تجلياً لدعاء سيدنا إبراهيم، وأسوة للبشرية الصالحة.

وقبل أنَّ نستعرض بشكل إجمالي خصائص هذه الشخصية نشير إلى نقطتين مهمتين في البين هما:

أوّلاً: أنَّ ملاحظة دقيقة لهذه الخصائص توضّح لنا أنَّ إبراهيم(ع) كان يتمتّع بكل الخصائص الحضارية للفرد القائد المغيِّر، وأنَّه استطاع ـ أو أنَّ القرآن الكريم استطاع من خلال إبراز هذه الخصائص - أن يصوّر أروع كيفية للتغلب على كل نقاط الضعف التي أشرنا إليها من قبل.

ثانياً: أنَّ القرآن الكريم يؤكّد بكل دقة على علاقة الأمة الإسلامية بإبراهيم(ع) وذلك بأساليب كثيرة. فهو تارة يجعله والذين معه أسوة حسنة للمسلمين

⮜◘◆☪❁○⍓❍ ⬊◘◆❑⬄♒⬆🕮 ⬀☠⬈▤⬧♑◎ ⇳💣◆☼🕭☒🖅 ⇳⑨⬧🕭

◆✖⇦♎🕭⅄✏🙰✃◆❐ ⌘🏱⑩♎♎⏲◆❷⬀🖃♐✆ ☑❼♐✖

⬧♐ ▦⏲⬅○⍓➔◆✌ (١).

وأخرى يجعل الأمة الإسلامية مظهر إجابة لدعائه(ع) ❻◆🖃✸☪◆🙰

☪⬧❑⬅♒◆❻ ⬀☠♐♑⓿♎▫ ⇳❁⍓➔⬀🖃🙰✃◆❐

⬀☠⬖🙵⬀❸■🖬◆⬂ ☎✃❑➔🖬⬃☝◆③ ⬀☠⬋🙵⬃❁♎♓✌

⓫🏱⬅♑⬅☺♎🙵🖬⍓➔⬉③◆❐ ⍓🖮♎☝⏲◆③✃◆⬈

⬧◘⍓☺⬁▤♎◆⬂💻🙰✃◆❐ ❁🖬⏲◆☝⬁▤⬂♑◎🙰✃

❁💣☼❐🕮 ⍓🖮❑☼♐✆ 🗐 ⬀☠⬖🙵❸♎ℯ🖅◆❽⬉③◆❐

(٢). ⓫🏱⑩⬁▤⍓⬧⬂♑◎🙰✃⬇❽③⬖⑩⍓➔⬂♑◎🙰✃

---

١) سورة الممتحنة، ٤.

٢) سورة البقرة، ١٢٩.

ويطلق عليه - تارة ثالثة - اسم(الأب) { [illegible] }(١).

كما أنّه يأمر هذه الأمة باتباع هذه الملة الحنيفة [illegible] (٢)

وهكذا جاء في قوله تعالى [illegible] } (٣). حيث يتمّ الربط بين إبراهيم والدور الحضاري للأمة وبالتالي فإنّ أولى الناس بإبراهيم هم أتباعه وهذا النبي والمؤمنون [illegible]

---

١) سورة الحج، ٧٨.

٢) سورة النحل، ١٢٣.

٣) سورة الحج، ٧٨.

[illegible] (١).

ويتجلّى هذا الربط أروع تجلٍّ بعملية الحج حيث تبدأ العملية تاريخياً برفع قواعد هذا البيت.

[illegible] (٢).

ثم بذلك النداء التاريخي يطلقه(ع) منادياً كل فصائل التوحيد لتطوف حول البيت الحرام [illegible] (٣).

وبذلك يتم الربط العظيم بين إبراهيم وهذه الأمة وكل ما تقوم به من عمل

---

١) سورة آل عمران، ٦٨.

٢) سورة البقرة، ١٢٧ و ١٢٨.

٣) سورة الحج، ٢٧.

حضاري(تردد نفس النشيد وتعمل نفس العمل وترفع نفس الشعار).

من الخصائص التي يذكرها القرآن لإبراهيم (ع)

لعل أهم الصفات التي يتحدث عنها القرآن الكريم، وأجمعها؛ هي صفة(الحنيفية) والتي تعني باختصار(صفاء الإيمان، وعمقه في النفس، وتحوله إلى تسليم مطلق لله تعالى)، يقول تعالى:{ 🔔➔✍⬀ 🖃⧫✍⬀ 👌♑✁⬆🕯⬧

◗♐🖃⬀❷⧫🕓♎♑🏱⌘ ❍⬜☪⓿▦☪🙵 ☎ ❒⧫👌⧫🙵

🖅☒🔔♌⧫👌♑♊⌘ ✁🙵🍥⬂☺⬅⌑⇳❸♐🖅♑✓✗⧫ }(١).

}🔔➔✍⬀ 🕓✿⑨⬜🖅⬥ ✁🙵✏✦ 🗏 ▫⬧🙵🙵🙵✍❑⌨♐➔⬉❑✁☎

👌♑✁⬆🕯⬧ ◗♐🖃⬀❷⧫🕓♎♑➚☹⧫ ❍⬜☪⓿▦☪🙵 ❒⧫👌⧫🙵

🖅☒🔔♌⧫👌♑♊⌘ ✁🙵✈▫☼⬅⌑⇳❸♐🖅♑✓✗⧫) (٢).

}❒⧫👌⧫♊⇳ 🕮❒❍⇳❍✿♊⬅ ⑩♑③✡✡🙵 👌♓♑☺⬤♊⇳

🕮❒♒⇔⬛☠⌘ ✏★ ❒⧫♉⇳♑⬜❍⬅🕛 ❒⧫♎➔❑⧫

👍➔⧫⬂❍⬁♊☒ ❒⧫✁🙵✍🖮⬜⧫➚⬜ 👌♑✁⬆🕯⬧

◗♐🖃⬀❷⧫🕓♎♑⑩🏱⌘ ❍⬜☪⓿▦☪🙵 🗏 ❒⧫✁🙵👌✦③⬧⓿☒

✁🙵✏✦ ◗♐🖃⬀❷⧫🕓♎♑⑩🏱⌘ ⌘⬜🗳♐⑩☒⌖ }(٣).

}🔔➔✍⬀ ◗♐☼❋♉⚐⚐ ♎⬜⑨⬜🗀♉⚐⚐ ❻⧫🗀⬛♐❼☑

◗♐🖫⬛❼🗐 🕓⬁❸⧫🕓⬇💻 👌❿❍⇔✌⧫◗⬀⑩🏱🖁 ⑩♑③✡✡🙵

🔔♑⑩⧫☺✞🙵 👌♓♑✁⬆🕯⬧ ◗♐🖃⬀❷⧫🕓♎♑➚☹⧫

---

١) سورة البقرة، ١٣٥.

٢) سورة آل عمران، ٩٥.

٣) سورة النساء، ١٢٥.

⌘♊♑♌ ♦♌♒⌧✍ ✍♦♌♦❒ ✍☪▦⑩♑☪◫❍

✍✂♐♏☺✏⌑⇳❸♋✍✓×♦ |(¹).

☪◘□♌⬆📖 ♍♍♒⌧✍ ⌘⚐⑩♑♎⌚♦❷⬀♋♍ ☐♌♋♍}

➔⌨♦③ ⬄⚐⬩♐♦❒ ✍☪▦⑩♑☪◫❍ ⌖✎ ✍ॐ☞♑☼✍⬩♒

⌘♊♑♌ ✂♐♏☺✏⌑⇳❸♋✍✓×♦ |(²).

}⚐➔☠▪ 📖❒❒⬃❍◫⑩⬂☪♦✍✎ ♍♋♐⬩⓿⬂⌨◫ 📖❒♌⬀

✂✍✍□⌨♋➚⇳ ♌♑✂⅄♗⬩ ♍♋♎⌚♦❷⬀♋♍♎⑩⚐⌘

❍◫☪♑⓿▦☪✍ ☎ ❒♦♌♦✍ ✍♒⌧♒♌♦ ♌♑♊⌘

.(³){ ✂✍♐♏☺✏⌑⇳❸♋🗎⬁✓×♦ }

وهذه الصفة هي مقتضى المسير الفطري السليم وهو ما أكّد عليه الأنبياء جميعاً، فبعد ذكر قصة إبراهيم والتركيز على خطه يأتي هذا المقطع القرآني:

}⌚♑⌨⬀⬄♦◘⬩ ✂✍✎★ ☎ ❒♦♌♦♊⇳ 📖❒❍⇳○✿♊✏ ♌♑⬀♍

✂✍✎★ ⌚♑⌨⬀⬄♦◘☪ ☎ ❒♦✝⬩♦⬂♊✏ ✎⬩📖⬉⓵

(⁴). ولذلك يعتبر القرآن ملة إبراهيم هي الطريق السليم، وما عداها ⬉♦⓵⌚⌨♋⑨✏❒♌♦ |

لا يعـــــدو الســـــفه | ❒♦♌♦♊ ③♦❷⬀⬊⌧🖬⮌ ⬉♦♊ ♌♓♑✂⅄♗♑

⌘⚐⌚♑♎⌚♦❷⬀♋♍ ♍♋⬩⬥ ♌♦♊ ♊◫▦♑❍♦

☼♦▦⬂○✿❍➔⓵} (⁵). ويؤكّد سلامة خطه عن كل لون آخر

---

١) سورة الأنعام، ١٦١.

٢) سورة النحل، ١٢.

٣) سورة النحل، ١٢٣.

٤) سورة البقرة، ١٣٨.

٥) سورة البقرة، ١٣٠.

[illegible] (١).

ويعتبر شريعته الصراط المستقيم [illegible] (٢).

[illegible] (٣).

وخلاصة الأمر أنَّ (الحنيفية) والإخلاص لله هي سرّ الوجود الحضاري الفاعل.

بعد هذا لنستعرض بإجمال أهم الصفات التي يذكرها القرآن لهذه الشخصية وهي:

أوّلاً: الإيمان البالغ حدّ اليقين النافذ للقلب والوجود كله، وهو ما نلحظه في مجموع الآيات.

ثانياً: التأمل والتفكُّر والتعقل الدائب:

---

١) سورة آل عمران، ٦٧.

٢) سورة الأنعام، ١٦١.

٣) سورة النحل، ١٢٠ و ١٢١.

[illegible] (١).

ثالثاً: الدعوة إلى التوحيد بشتى الوسائل ومنها إقامة بيت التوحيد.

رابعاً: الحجاج الفطري السليم في مجال الدعوة إلى الله:

وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ

---

١) سورة الأنعام، ٧٦ - ٧٩.

أَلَا تَأْكُلُونَ * مَـا لَكُمْ لَا تَنطِقُـونَ * فَـرَاغَ عَلَـيْهِمْ ضَـرْبًا بِـالْيَمِينِ * فَـأَقْبَلُوا إِلَيْـهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (١).

---

١) سورة الصافات، ٨٣ - ٩٦.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ} (١).

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} (٢).

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} (٣).

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

---

١) سورة الأنبياء، ٥١ - ٦٤.

٢) سورة مريم، ٤١ - ٤٥.

٣) سورة الشعراء، ٦٩ - ٧٧.

)[١].

خامساً: التسليم المطلق لله تعالى يقول القرآن المجيد:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٢).

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ... * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} (٣).

{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ... * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٤).

---

١) سورة العنكبوت، ١٦ و ١٧.

٢) سورة البقرة، ١٢٦ ـ ١٣٣.

٣) سورة التوبة، ١١٣ ـ ١٢٠.

٤) سورة آل عمران، ٦٠ ـ ٦٤.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً } (١).

سادساً: الاهتمام بالمسيرة الإنسانية كلها والبدء بالذرية

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ] (٢).

سابعاً: الصراع الفكري والعملي ضد الأصنام وإعلان البراءة الدائمة من خطها العملي:

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...}(٣).

ثامناً: عدم التخوّف من الشرك وآلهته المزيفة وتهديداته:

{وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

---

١) سورة النساء، ١٢٥.

٢) سورة إبراهيم، ٣٥ ـ ٤١.

٣) سورة الممتحنة، ٤.

أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (١).

تاسعاً: التضحية التامة في سبيل الهدف، وكل حياة إبراهيم تضحية بالنفس والأهل والولد في سبيل الهدف....

عاشراً: توفير البيئة الصالحة لتلقّي الرحمة والبركة الإلهية:

قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٢).

حادي عشر: امتلاك الصفات الإنسانية العليا:

{وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (٣).

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ

ثاني عشر: الدعاء واللجوء الدائم إلى الله:

---

١) سورة الأنعام، ٨٠ و ٨١.

٢) سورة هود، ٧٣.

٣) سورة النساء، ١٢٤ و ١٢٥.

٤) سورة هود، ٧٥.

٥) سورة النجم، ٣٦ ـ ٤١.

٦) سورة ص، ٤٥ ـ ٤٩.

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء}(١).

ثالث عشر: الجهاد المتواصل:

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

وبعد كل هذا ألا يحق لنا أن نعبِّر عن إبراهيم بأنَّه النموذج الإنساني الحضاري الكامل، وأنَّه (الأمة) القائمة لوحدها، وأنَّه المحور الذي يجب أن تجتمع حوله الأديان جميعاً

وتسير في ظلّه محققة هدفه وهدف الأنبياء جميعاً، وهو تعبيد الإنسانية لله، والصراع ضد الطاغوت والاستكبار وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ (٣).

ولذا فإنّنا ندعو البشرية جمعاء إلى هذا المستوى الرفيع، وإلى نبذ كل الأطروحات المادية التي سلبتها وجودها الإنساني الأصيل ومقامها المكرم، وذلك رغم ما طرحته من شعارات برّاقة كالحرية والديمقراطية، والضمان والاشتراكية، والعلاقات الاقتصادية المتوازنة، وما إلى ذلك، وما هي في الواقع إلاّ جسور لتحقيق المطامع الجشعة لأرباب الكارتلات النفطية، وشركات الاحتكار العالمية، ومؤسسات النقد الدولية الجاثمة على صدور الشعوب الضعيفة.

---

١) سورة إبراهيم، ٣٧ و ٣٨.

٢) سورة الحج، ٧٨.

٣) سورة النحل، ٣٦.

وإنّنا بعد هذا لندعو البشرية إلى أن تؤطِّر كل نظمها الحياتية(التربوية، والاقتصادية، والحقوقية وغيرها) بإطار أخلاقي إنساني رفيع، يعتمد عناصر الثبات الفطرية، ويتّجه نحو الكمال المطلق بفلسفة شاملة تركّز على خصائص الإنسان الأصيلة(التعقل، الاندفاع المتحرك دائماً نحو الكمال، الإرادة الواعية) والحضارة إذا فقدت هذه العناصر فقدت روحها وسارت بالبشرية إلى وديان العذاب والدموع، فإلى حياة القرآن الكريم ندعو كل الشعوب.

خلاصة نظرة الإسلام إلى
العلاقة بين الحق والتكليف والعدالة[1]

لكي ندرك هذه العلاقة لابدَّ من أن نعرف هذه المصطلحات وندرس كيفية نشوء العلاقة بينها وندرك سر الإشكال وكيفية حلّه.

الحق: هو في اللغة (الثبوت) ولذا يطلق على البارئ جلّ وعلا، فهو تعالى (الحق المطلق) {⚐➔☠▪❻↓⑩ɞ❒▦✂☎ ☽☒🖫■❼ ✂🙵✎★ 👌♦❒◆⌂⌂♦⌂⌂♑←☠⇖ ✂🙵⌂⌂♦⌂⌂⌂♎⇗}[2]. ويطلق أيضاً على الخبر المطابق للواقع.

والكون كلّه ـ كما يصوّره القرآن الكريم ـ يقوم بالحق أي يوجد عبر رحمة إلهية. {❒◆👌♦🙵 ⌘⌂⌂■☽⇘✡❒🙵 ✂🙵⌂❍❍☺⌂🕔❒◆🕔☠🙰 ❒◆✂🙵⚘☞❻⇗⋎◆ ❒◆👌♦🙵 ⌂◆⑩⇘☸♦&⇙☺⌂🙵✎ ☽☒♦· ⌂☒🙵🙵🙵⌂⇘♦⌂⌂♎⇗ ▤ ❒◆☽☒♍· ✂🙵⌂❍❍🙵⇖◆❒♦ ▫♦🙵🙵🕒⇳▦☒☒⌘ ☎ ⌂✝✍🙰⓿◆❒⋖ ✂🙵🙵⌂🕔❍▦⇘☒⌂ ✂🙵💻⇘♑❒☺🙰⑩✍♦}[3]. ومن هذا المفهوم الحقيقي الواقعي انتزع مفهوم اعتباري ليساهم في تنظيم العلاقات الاجتماعية. {❒◆✂🙵⌂❍❍☺⌂🙵✎⇗◆

---

١) بحث ألقي في مؤتمر الحوار في فينا، بتاريخ ١٩٩٩/٩/١٧.

٢) الأنعام، ٦٢.

٣) الحجر، ٨٥.

[illegible] .{[1]

وعليه: فيمكن القول بأنّ الحق الاجتماعي يمتلك بعدين:

الأوّل: النشوء من حالة واقعية (تركيب تكويني أو مصلحة واقعية).

الثاني: اعتبار شرعي أو عقلائي أو عقلي (قائم على الفطرة).

منشأ الحقوق:

والذي يبدو من النصوص الإسلامية، ومن التأمّل الذاتي هو أنَّ كل الحقوق ترجع في أصولها إلى الفطرة الإنسانية وتشكّل بذلك مجالاً لتحقّق مفهوم للعدالة. {[illegible]}[2].

والعدالة أمر يدرك حسنها العقل بشكل مطلق. ولذلك فإنَّ الله تعالى، وهو الحق، يأمر بالعدل {[illegible]}[3] وتوضيح هذا الأمر:

---

١) الرحمن، ٧- ٩.

٢) الروم، ٣٠.

٣) النحل، ٩٠.

إنَّ نظرية الفطرة (التي تقبل بها الأديـان) تؤكّد أنَّ الإنسـان موجـود متميّـز يحمل إمكانات ذاتية أودعها الله تعالى في طينته.

وهذه الإمكانات تقود الإنسان إلى كماله المطلوب إذا تـوفّرت لهـا الظـروف المناسبة. وتشمل الأمور التالية: قضـايا العقـل النظـري وقضـايا العقل العملـي والدوافع الفطرية الغريزية نحو الكمال وحب الذات والتدين وغيرها.

ولن ندخل في تفاصيل هذه المكونات وإنَّما نكتفي بهـذه الإشـارة لننتقـل الـى القول بأنَّ الوجدان الإنساني قد يـدرك بشـكل واقعـي بعـض الحقـوق الإنسـانية مباشرة من قبيل إدراكه لحق الإنسان في الحرية المعقولة. وقد جاء فـي الـنصّ التاريخي «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

وحـق الإنسـان فـي الحيـاة ولوازمهـا. (✌♦♊ 🔔♦☜♦✍• ☼♦⊞▦⇘○☝✍
“□✍□☪♋✍✂ •✍♦☜♦🔔 ✍⍓☺✵☼❒🕯☒⌛♦▫
♉⍓☺♑⓿➔✡✍)[1]

وتقابـل ذلـك (تكـاليف) الآخـرين بحفـظ هـذه الحقـوق. حيـث يؤكّـد القـرآن {❒◆♦• ✍♦⌨⬀②⍓○⓿❑✂☎ “□✍□✡♋✍✂
🕮❒⍲⇳⓿◆✍✏⬈◆♎➔☠⬀}[2].

فإذا ضممنا إلى ذلك حكم النفس الإنسانية الدائم بحسن العدل. والمقصود بـه اعطاء كل ذي حق حقه أدركنا بأنَّ هناك منظومة أساسية تنطلق منها الحقوق، والتكاليف على أساس من العدالة.

الحقوق والتكاليف والعدالة الدينية:

والنصوص الإسلامية تؤكد أنَّ الفطـرة الإنسـانية نفسـها تقـود الإنسـان الـى

---

١) المائدة، ٣٢. (اقتباس)

٢) الاعراف، ٨٥.

عالم رحب وسيع وأفق عظيم هو أفق (الدين) باعتباره متقوّماً بالعلم الإلهي الواسع والقدرة الإلهية المطلقة واللطف الإلهي الشامل.

فإنَّ قضايا العقل الفكرية تقود الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى إيماناً عقلياً، كما أنَّ قضايا العقل العملية تؤكّد له ضرورة اللجوء إلى هذا الوجود المطلق والاستمداد منه والتعبّد له وطاعته طاعة كاملة مناسبة لحقه كمولىً حقيقي لهذا الكون كله وحينئذ ينفتح أمام الإنسان عالم واسع للحقوق والتكاليف وأنماط العدالة هي في الواقع مستمدَّة من تلك المنظومة الفطرية الصغيرة التي يدركها بوجدانه. فالعقل هنا يقوم بدور الهادي إلى الله والداعي إلى طاعته في حين يفتح الدين أمامنا آفاقاً واسعة من الحقوق على ضوء العلم الإلهي بالعلل الواقعية والكمالات الإنسانية.

وعندما ندخل العالم الديني نجد أنّ النصوص الدينية تتحدَّث عن مقولات كثيرة من قبيل:

أوّلا: التوسّع في مجال الحقوق بما يكفل قيام نظام اجتماعي سليم يكفل سيراً طبيعياً للفرد والمجتمع نحو الكمال (وذلك وفق العلم الإلهي الواسع بمايصلح الإنسان، وهنا تأتي الحقوق الاعتبارية والشرعية الواسعة في مختلف المجالات الفردية والاجتماعية، والتربوية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك).

كما تأتي (التكاليف الإلهية) في تلك المجالات كما يأتي توضيح دقيق لكيفية التعادل بين الحقوق والتكاليف.

وثانياً: فإنَّ النصوص الدينية تؤكّد أنَّ هذا النظام الحقوقي الذي أعطاه الله تعالى يقوم على أساس العدل العام {◆❑➔♎ ☎✄❑➚⧁☞⑨⇳⇱☞✄

☎✄❑➔◑☐✍☞✄◆❒ ☎ ▤❽◆❑⬂◑✸☝⬛☞⧁ ➲⚇♦❷⬂⚠❒🕮

✃🙵✏▲}[1]. وان هناك موازاةً للتوازن التكويني مع التوازن التشريعي.

{❒◆✃🙵👁○○☺⍓🙵✏↗◆ ❻◆▫⬧➔⍓♑⍓🙵

❒◆❒◆⬂✽➚⍓ ✃🙵👁⬂☺♑❷❾◆✃♍♒ * 🕮❒⬧⬩

✍⬧➲⇳⬄◆❑⬀✃☎ ×🙵❼ ✃🙵👁⬂☺♑❷❾◆✃♌⬀}[2].

ثالثـاً: طـرح الفقهـاء المسـلمون مسـألة مفصّـلة ليفرّقـوا فيهـا بـين الحقـوق والأحكام (التكاليف) ولا نرى حاجة للـدخول فيهـا فهـي مـن تفاصـيل البحـوث الفقهية وهي تتبع الدليل الذي يثبتها من حيث اللـوازم التابعـة كالإسـقاط والنقـل والانتقال وغير ذلك.

والخلاصة هي:

١. أنّ هناك منظومة لهذه العلاقة يُدركها الإنسان بفطرته.

٢. أنّ الفطرة تهدي الإنسان إلى الدين (كعالم ارحب).

٣. أنّ الدين ينظم العلاقة على أساس من علم الله وقدرته ولطفه بالانسان.

٤. وأنّ نظام الحقوق الـديني يقـوم علـى القسـط والعـدل وتحقيـق المصـلحة الإنسانية والتوازن المطلوب.

سرّ الإشكال وسبيل الحلّ:

والذي يبدو لنا من خلال ما تقدّم أنَّ مسألة الإيمان بنظرية الفطرة الإنسـانية تفـتح مجـالاً للحـديث عـن (الحقـوق) و(التكـاليف) و(العدالـة) و(الإنسـانية) و(الأخلاقية) و(الذوق الفني) وغير ذلك.

بل إنَّ هذه المسألة هي التي تفتح مجالاً لتحقّق (المعرفة الإنسانية اليقينية).

وبدونها فكل حديث عمّا مضى إنَّما هو حديث بلا معنى كما نتصوَّر (وهـذه حقيقة كبرى تصطدم بها الاتجاهات المادية بقوة) ومـن هنـا جـاءت النصـوص الإسلامية لتؤكّد على (الفطرة) وأنَّ الدين في الحقيقة ينسجم مع (الفطرة) لأنَّها واقع أصيل والدين مشروع واقعي لإصلاح الإنسان يقول تعالى:

---

١) المائدة، ٨.

٢) الرحمن، ٧ و ٨.

{▫♦❒🔔🕯❒♎⚐⇔ ❒◆♉⇕♑⌧⌨⌧ ⑨♏✂✍ℳ⇦✖⇗
❍⌧☪⌧☾❍▦☾✍✍ 🗐 ▫✍➲⇕❷♦☠❁ ✂✍✎★ ✂✍✍🕮⅄☹☞⊘
▫♦➲♦❷♦ ✂✍✍🕮☾❒✍❒" ⬊♦🖬■❸⬀&❒✍ 🗐 ♦♦
✍♦⌨⬀⑨✍③✍♦ 🕮✍➲⌧🖬▫🖃⇗ ✂✍✎★ 🗐 ❶♦🕓🕮✍①☙
✂✍✍✎✍ℳ✍⇦▫⋎ ✂✍✍🕮⬂➁♦⑩♒⊘⚐❶{[1] وهذه الآيةالكريمة تقرّر - كما يقول الامام الشهيد الصدر(قدس سرّه) - الأمور الآتية:

أوّلا: أنَّ الدين (بكل ما فيه من حقوق وتكاليف ومنظورات للعدالة) هو من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعاً لا تبديل لخلق الله.

ثانياً: أنَّ هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلاّ الدين الحنيف الخالص، أمّا أديان الشرك والإيمان بالالهة الوهمية النسبية فهي لا يمكن أن تحلّ المشاكل الإنسانية.

يقول سيدنا يوسف لصاحب السجن: {👌♦✍✍♦➔⬀⌨⇐⑨⇐❒♌♦
👌✍♊ ⑩⇐❒☼✍❍✍🕘▦ ➁✍♦✍ 🕮❒♋⇔☺⌧✍✎↗☯
♋⌧☺❍⑩⬂✌⇐☺⇐❑♎⌧✍✎ 🕮❒☼☞⇐⚐⇔
❒◆↗◆✂🖃♦✍✎♦↗🗎→☠ 👌❒✍✎ 🕮❒☼❽♦✌♦ ✂✍✎✦
⌺⊘&❒✍ 👌✍♊♋⇐🖬▫➲♦🕓♊✍}[2].

وثالثاً: أنَّ الدين الحنيف الذي فطرت عليه الإنسانية يتميَّز بكونه ديناً قيّماً على الحياة قادراً على التحكَّم فيها وصياغتها في إطار العام.

ذلك أنَّ المسألة الاجتماعية المهمة في تاريخ الإنسان هي التعارض الذي ينشأ بين المصالح الفردية (وهي تؤدي لأن يتصور الإنسان لنفسه حقوقاً في الحصول عليها بمقتضى حب ذاته و(المصالح الاجتماعية) التي يطرحها النظام الاجتماعي الذي يعيشه ويفرض عليه (تكاليف) تجاهها باسم (العدالة) وهذا

---

١) الروم، ٣٠.

٢) يوسف، ٤٠.

التناقض بين المصالح الفردية والاجتماعية لم يستطع العلم أن يحلّه، فإنَّ علم الإنسان لن يقف مطلقاً امام ترجيح مصالحه الشخصية.

ولم تستطع المادية التاريخية من خلال قوانينها التاريخية أن تقدّم الحلّ ويبقى للدين الحل النهائي لهذا التعارض وتحقيق العدالة وذلك من خلال ربطه بين المصالح الذاتية وسبل الخير إذ يقول القرآن الكريم:

{✌⇕♦⬁ ⬉♦☺⚇⬪• ⬂⬜⑩♒♑◎⬜☾ ▫⬧☒• ⑥↗♑⬂➑♦➑✁
◑⬧•⬪☝⬁⬧⬗♦⬛⬧♑⬜♐ ☎ ❑◆♦⬁⇕ ⬉♦☺⚇⬪• ◷✿◷⬛⬧☯♐
✌♓⚇⌗ ❶⬧▤⬧❷⬪ ⬀❑❑⬁ ⬁↑☼ॐ⬧⑥▤ ❑◆⚖➔❑◆
✌⬉⬧⬁✌⚇⬀⚇ ▫⬧⬆❑⬆⬧⬃⬧◷✲◈⬁⌨⬜ ③♦⑨⇕⌘↗⬛➔❑♍♒
✁♐▭⬂♑⬛⬗⬛⬛⬧ ③⬉❷⬀♐⬜⬁➔❑♌♦ ⬜⚇❸♐⬛♐}[1] ويقـــــــــول: {✌⬜⬛⇕ ⬋☒✋⚇⬪•
⬀◆❷⬀❸☝ ❍⚇○✿♐⚇⬛} ◷✿◷⬛⬧☯♐ ▫⬧⬛⬧☾♦⬛▦⬂○⬁○⚇◷ ☎ ❑◆♦✌⇕
⬁☾⬜♐✎↗♦ ▫⬧➔⬜⬛⬛⑩⬂♑⬜♐}[2].

وهكذا تتلاحم المصلحة الفردية والمصلحة الاجتماعية و(الحقوق و(التكاليف) تلاحماً رائعاً ينفي التعارض.

كما يقول المرحوم الشهيد الصدر(قدس سره):

«فللفطرة الإنسانية إذن جانبان، فهي من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتية التي تنبع منها المشكلة الاجتماعية الكبرى في حياة الإنسان (مشكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية للمجتمع الإنساني) وهي من ناحية أخرى تزوّد الإنسان بإمكانية حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي إلى التديّن»[3].

---

١) غافر، ٤٠.
٢) فصّلت، ٤٦.
٣) اقتصادنا، ص ٣١٠ ـ ٣١٢، طبعة مشهد.

* * *

فلسفة العلاقة بين السلام والعدالة[1]

انطلقت دعوة الحوار بين الأديان على أسس منطقية سليمة، وراحت تترك أثرها الجيد في مجال تحقيق التفهّم والتفاهم المنشود وتقليل مناطق الصدام، وتوفير مجالات التعاون المستمر على صعيد خدمة القضية الإنسانية والقضية الدينية، والقيم المعنوية.. ونحن نرجو لها التوسّع من مرحلة التفاهم بين المتخصصين إلى مرحلة صيرورتها ثقافة عامة تعشقها الشعوب وتتعامل على أساس منها في مختلف قضايا التماس الحضاري بعيداً عن محاولات الاستغلال والتشكيك.

ومن أوليات قضية الحوار ـ أي حوار كان ـ ضرورة الإنطلاق من قناعات متفق عليها مسبقاً.. لتكون هذه القناعات هي الأضوية الكاشفة التي تحلُّ العقد وتفتح السبل المسدودة لعملية الحوار، وتقضي في موارد الخلاف.

وما نتصوَّره أنَّ الإيمان بالفطرة هو من القناعات المشتركة بين جميع الأديان السماوية:

والمقصود بالفطرة هو أنَّ الإنسان مخلوق إلهي أودعت الحكمة الإلهية في وجوده وطينته الأصلية مجموعة من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول والغرائز التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له.

---

١) بحث ألقي في مؤتمر الحوار بموسكو، بتاريخ ١٩٩٩/٦/٥.

وإنّ الأديان إنّما جاءت لتثير له دفائن العقول[١] ـ كما يعبر الإمام علي× ـ وتهيئ الجو المناسب لبروز هذه الطاقات كامنة على سطح حياته فتهديه سبيلاً إنسانياً يختلف كل الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي لا تتمتّع بما يتمتع به من طاقات.

أمّا القضايا البديهية فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الأشياء وتلك من قبيل: الإيمان بمبدأ العلية، والإيمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين، وارتفاع النقيضين) و(بعض القضايا الأخرى) فهذه قضايا مغروزة في القناعة والوجدان الإنساني لا يحتاج للاستدلال عليها وإلّا دخل في طريق مسدود؛ لأنّ الاستدلال نفسه يتوقّف عليها، كما هو واضح.

أمّا القدرات العقلية فهي نفس قدرة النفس الإنسانية على التأمّل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكليات، والقيام بقياس الأشياء للوصول إلى تصوّرات جديدة والتخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم.. إنَّ هذه القدرة الذهنية هي من مختصات الإنسان وهي سرّ مسيرته التكاملية وإبداعه ونموّه.

وأمّا الميول الغريزية فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه للاستفادة من طاقاته في هذا المجال.

ومن هذه الميول: ميله نحو الكمال، والسير نحو الكمال المطلق، ومحاولة سدّ جوانب العجز في وجوده، والركون إلى هذا المطلق القادر وأداء حقّه وشكر نعمه والقيام بحقّ طاعته ـ فهذه أمور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وإن اختلفت تجلّياتها وتعدّدت أساليبها وربّما غطّت الشبهات على هذه الميول وكبتتها.

ومنها أيضاً غريزة حبّ الذات والعمل على تحقيق طموحاتها، فهي من

---

١) نهج البلاغة،ج١،ص٢٤.

الغرائز الأصلية فى الإنسان والتي لا يمكن تجاوزها والقضاء عليها، كما تصوّرت الماركسية يوماً ما أنّها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية.

ومنها التذوّق الفني: والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخر بها هذا الكون.

ولسنا نريد استعراض كل العناصر الفطرية وإنّما نريد أن ننطلق إلى هذه الحقيقة وهي: أنّ الاقتناع بأنَّ (العدالة شيء حسن دائماً) و(أنَّ الشيء الحسن ينبغي فعله) هي من القناعات الفطرية التي لا تحتاج إلى دليل... فإذا اقتنع الإنسان بأنَّ الموضوع المعيّن حسن اقتنع بأنّه ممّا ينبغي فعله دونما تشكيك، فهو موضوع مطلق كما أنّ من المواضيع المطلقة حكم الوجدان الإنساني بأنَّ قضية (إطاعة المنعم الحقيقي، والمالك الحقيقي للكون والإنسان) هي قضية مطلقة لا تتخلّف أيضاً وهناك من القضايا التي زرعت في الوجود الإنساني كمصاديق لمسألة العدالة (أصلاً) الصدق، والأمانة، والرحمة، والإيثار، والسلام.

فهذه الأمور حسنة في أصلها، ونقصد من عبارة (في أصلها) أنّها قد تطرأ عليها بعض الحالات التي تفقد معها حسنها الطبيعي الفطري وتخرج من كونها تجلّيات للعدالة ومصاديق واقعية لها لتعود من تجلّيات الظلم والتعدّي.

ونستنتج من هذا أنَّ الفطرة الإنسانية تحكم بنوعين من الحكم:

أحدهما مطلق من قبيل: العدالة نفسها وطاعة الخالق الحكيم.

والثاني مقيد ونسبي من قبيل: الصدق والسلام.

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة ما يؤول إليه من تبعات ظلماً لا عدالةً وكذلك السلام أحياناً بما يؤدّي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة فإنَّ السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهاً من وجوه العدالة، ونرفضها إن كانت ظلماً ولكن التساؤل الأساس هو: ما هي معايير العدالة؟ وكيف نتأكّد من تحققها.

إنَّ الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأوّل: معيار تعبّدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق وهو الله تعالى وهو تعليمات الدين الثابتة، والتي نتأكّد من كونها صادرة من الله سبحانه، ذلك أنّنا نتأكّد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتّعه بكل صفات الكمال، فهو لا يريد بالإنسان إلّا الخير ولا يخدع الإنسان وإنّما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه التأمّل في الأعماق وقناعاتها أو فلنعبّر يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق الفطري هو كون هذه القناعة ـ أيّة قناعة كانت ـ من ملازمات الطبيعة الإنسانية ولذلك نجدها متوفرةً لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم.

ولكي نتأكّد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أي إنسان (هل تعتبر أنَّ السلوك الفلاني سلوكاً انسانياً أم سلوكاً حيوانياً) مثلاً (قتل اليتامى والعجزة والمستضعفين للتلهّي والتشهّي) مثل هذا السلوك يعدُّ سلوكاً وحشياً من قبل أي إنسان بلا ريب، والقرآن الكريم أحياناً يعيد الإنسان إلى تأمّله الوجداني وقناعته الفطرية {🕮⬆❍♉ ✍ ♑⬧▤⬈☠⬉ ✄🖎🙰♑⬌➲⮝⓿♒⌛⧫🕒☼💣➔} [1] ويترك أمر تعيين الطيبات للإنسان {⬗⓫☼✹☺⮹🙰 ❍⮹❷▪⮼⧫ ❻⧫🖃■⬚❻"} ويترك أمر تعيين الفواحش أيضاً ويعتبر ✄🙰♑⬂▦☒❑⧫🕒❍♉🕖❁} [2] الخروج عن الحالة الإنسانية (فسقاً) وانحرافاً عن الطبيعة {⬧■❍⬘❑✄☎

---

١) المائدة، ٥.

٢) الأعراف، ٣٣.

🗐 ⇗☠⬋&❀○→▦☼❐🕮 ⇗☠←♑☎❀○💧❐🕯♦▫ ⅄✎👓✂

{☙♍❐→✆⇖○🕔☒▦⇘☎👓✂ ⇖☠➔♎ ☙①✐⯑✵🕔♦☎🕯❐🡅🕮}[1].

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة وهي:

أنَّ الأديان تؤمن بالفطرة الإنسانية، وأنَّ الفطرة تقرّر كون العدالة مطلوباً مطلقاً وكون السلام مطلوباً إذا شكّل مصداقاً من مصاديق العدالة وتجلّياً لها، ومن هنا كان التأكيد الدائم على (السلام العادل) تأكيداً انسانياً صحيحاً.

السلام العالمي والموقف منه:

قلنا لا ريب في كون الأمان مطلباً انسانياً فطرياً يستمدُّ جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة (حب الذات). وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للانسان... فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنَّما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجوّ الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، ممّا يمهّد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الاطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها.

فالامن إذن حاجة انسانية دائمة لا تغيّرها الظروف، وليس ظاهرة عرضية حتى يقال، بأنّها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدّل تبدلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا فمن الطبيعي أن نتصوّر الحاجة إلى نظام شامل يتكفّل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة.

---

١) الحشر، ١٩.

ولا يمكننا أن نتصوّر حدوداً لمسألة حماية السلام والأمن إلَّا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها، بعد أن ندرك أنَّ الفطرة هي معيار الحقوق الإنسانية كلها بشكل إجمالي. وأنّها هي التي فرضت حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الأمن تحديداً إلّا إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصراً ضد الأمن نفسه، فلا معنى إذن لضمانه.

وإلاّ فكيف نتصوّر الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن، وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدّده بما يردعه عن فعلته، حتى ولو كان ذلك بتهديد أمنه؟

* * *

الحوار بين الإسلام والمسيحية
الموانع والحلول[1]

إذا كان السيد المسيح العظيم جاء هذه الأرض الطاهرة ليقدّسها ويربطها بالله العظيم، وإذا كانت جحافل الظامئين عبر التاريخ جاءت عيون هذه الأرض الطاهرة فارتوت منها، وراحت تسقي من نميرها كل الظامئين الآخرين، وتغذّي كل أولئك الذين يتضوّرون جوعاً للمعرفة والحقيقة، وإذا كانت الصفات التي تحلّى بها هذا الشعب العظيم تتألّق في سماء عالمنا اليوم، وإذا كانت المقاومة اليوم تتجلّى قدرة حقيقية تبهر الأنظار؛ فحقيق على جميع الظامئين وجميع العاشقين في أيّ مكان حلّوا أن يحجوا إلى هذه الأرض وأن يعيشوا مع حاضرها... مع مقاومتها، وحينئذ ليس غريباً أن يكون بينكم هذا الرجل الصغير ليعيش أروع أيام حياته، أنا أعتقد أنّ الكثير من الجوانب التي يتوفّر عليها الحوار بين أتباع الديانات الإبراهيمية التوحيدية بقي مجهولا تحت أطمار من النظريات الضيقة والتعصب وادعاء احتكار الحقيقة ومنعها عن الآخرين، ممّا أفقد البشرية ـ وأؤكد أفقد البشرية ـ الكثير من العطاء الذي لو أثمر لغذّى طريق الأجيال.

---

١) حديث ارتجالي في جامعة الحكمة المسيحية بلبنان، بتاريخ ١٩٩٧/٦/٣.

هدف الأنبياء

الإسلام ينظر للإنسان خليفة الله، والإسلام ينظر للدين عطية إلهية منطلقة من منطلق اللطف الإلهي بالبشرية، أليس الله خالق الإنسانية؟!إنّه الأعلم بخبايا النفس، وإنّه الأعلم بما يصلح هذا الإنسان ويقوده إلى هدف خلقته، وهذه نقطة أركّز عليها.

يخطئ من يتصوّر أنّ الله كان بحاجة لشيء، فالله غني مطلق، لطفه اقتضى أن يوجد هذا الإنسان ليسير إلى الكمال، وكمال الإنسان قربه من الله، الدين إذاً هدية، والمسيرة الدينية واحدة، الأسس واحدة، هذه حقيقة قرآنية أصيلة، الأنبياء جميعاً إنّما جاؤوا ليحققوا هدفين وفق منطق القرآن:

الهدف الأوّل: تعبيد الحياة لله وتعميق معالم الشخصية الفردية الاجتماعية والدينية.

والهدف الثاني: هو الصراع ضد مظاهر الطاغوت والطغيان، ومظاهر الطاغوت تعني كل فسوق عن المسيرة الفطرية الصافية، كل نبو عن المسيرة الإنسانية الحقيقية. يقول القرآن الكريم: {❐◆♑◉⬧◗⬧⑨⇳
⇨◆❐⬧→❐◆☾⇗⯑❑⬧ ✗⑦ ↗♏⇗ 📖↑✍❐◘🖮 ❻▪ꝏ←❐⬧🕔
📖❐♍🕐 ✂⇗⇳⧗←⑨←❐✂☎ ✂⇗✎⅄
❐◆✂⇗♉⇳✌⬧♈⇗🖮←❐✂☎ ✂⇗♑➲⅄🕔⇔↗❐☠❀}[1] هل ترون نبياً حاد عن هذا الهدف؟ إذا كان الأمر كذلك فكل ما جاء به الأنبياء عطاء على هذا الطريق، وإذا كانت هذه هي الحقيقة فكل تقارب بين أتباع الأديان سوف يثري الفكر الإنساني، ويمنح المسيرة الإنسانية قدرة وثباتاً على الخط وتسمّراً للأحداق في الهدف.

---

١) النحل، ٣٦.

القاعدة القرآنية للتقارب

لا أريد أن اتحدث عن تاريخ العلاقة بين الإسلام والمسيحية، والكثير منكم أعلم مني في هذا المجال، ولا أريد أن أتحدث عن الاحترام الخاص الذي يقيمه القرآن لتعاليم الأنبياء، وبالأخص تعاليم السيد المسيح، وعندنا هنا علماء يعلمون أنّ الكثير من النصوص الإسلامية تستقي بالنص من تعاليم السيد المسيح، تستقي بالنص لتقول لأتباعها أنّ هذه التعاليم هي تعاليم سماوية، وأنّ الإسلام جاء ليعمّق هذه التعاليم، ويا حبذا لو نهض المفكرون لاستخراج هذه النصوص لندرك جميعاً عمق تأثير تلك التعاليم التي جاءت من منبع واحد في ثقافتنا الإسلامية.

إذاً لاأريد أن استعرض، وإنّما أذكر لاستنتج، أيضاً، أريد أن أنسى الماضي الطويل لحالات التداول في الصراع بين المسلمين كدول والمسيحيين كدول، هناك تاريخ طويل من الصراع تارة تتقدّم فيه القوة الإسلامية إلى قلب العالم المسيحي، وأخرى تتقدّم القوة المسيحية إلى قلب العالم الإسلامي، وتزهق نفوس ونفوس وتمحى حضارات وحضارات ـ مع الأسف الشديد ـ باسم الإسلام وباسم المسيحية، وكم كان حرياً بنا أن نجلس جميعناو نتحاور وفق القاعدة القرآنية الكبرى: {[الآية مطبوعة بخط رموز غير مقروء]}[1].

---

١) آل عمران، ٦٤.

إذاً أعبر كل هذه الحوادث أعبر حوادث الأندلس، وأعبر الحروب الصليبية، وحتى أنّي أعبر ـ أحياناً ـ الصراع على السواحل الافريقية والجنوب آسيوية لأصل إلى واقعنا الحاضر، وأعبر كل الكتابات التي ـ مع الأسف ـ انطلقت من منطلق تعصب أو من منطلق حقد، ولا أفرّق فيها بين الكتابات المسيحية والإسلامية، فكل من ينطلقون خلاف الحقيقة مدانون، وكل من يكتبون من منطلق الحقد والتعصب مرفوضون، أمّا المقبولون فقط فهم الذين ينطلقون من منطلقات الحقيقة وخدمة القضية الإنسانية.

نقاط الضعف في مسيرة الحوار

الحوار بين الإسلام والمسيحية ليس قديماً، وإن كان التماس قديماً، ولكن الحوار بشكله الحاضر يكاد يكون مستحدثاً، إلاّ أنّ أكثر محاولات الحوار قد ابتليت بنقاط ضعف كثيرة، واسمحوا لي أن أذكر بعض النقاط الأساسية:

الأولى: إنّ الحوار ركّز على العنصر العقائدي المجرّد، على الحوار اللاهوتي فقط، حتى دون أن يدرك مدى أثر التوصّل إلى قناعة في ذلك الجانب على الحياة العملية، ومن الطبيعي أن تبقى الاستغلالات قوية لدى الجانبين. نسيان الحديث عن الجوانب الفكرية أو الجوانب الايديولوجية المبنية على تلك الأسس والأصول المشتركة، نسيان الحديث عن القيم الأخلاقية التي يؤمن بها الطرفان، نسيان الحديث عن القيم الاجتماعية التي يؤمن بها الطرفان أفشل كل محاولات الحوار.

الثانية: إنّ كل فريق كان يدخل ساحة الحوار وكأنّه يدخل ساحة معركة ليحسم الموقف لنفسه، يقول للآخر أنت على باطل وأنا على حق، ويجب أن يحذف الباطل ويحق الحق وأنا الحق، إذا كانت هذه الروح اللاموضوعية هي المحور فلن نتوقع نتيجة. اسمحوا لي أن أنقل لكم آية قرآنية تقول لرسول الله، لمحمد’ وهو المؤمن برسالته تمام الإيمان، تقول له يجب أن تدخل إلى الحوار مع الآخرين بروح حذف المسبقات الذهنية كلها، تدخل بهذه الروح وتقول

لمحاوريـــــــــــــك {❐◆☽☜☼❄✍ 🕮❐❐⬀ ☽☜③✸✍🗎→☠⬀

♍◉⬥→⍓✍■❼🗐 ♎→⑨⬦❽ 🕮❐❐⬀ ✗☜❼ ⮳✿🖬■🕔✍♍◉

✌❿🖮☜✓▫🕮}[1] قد تكون أنت على الحق وأنا على الباطل، والعكس بالعكس، وقد يحمل كلٌّ منا جزءاً من الحقيقة فإذا تكاملنا تكاملت الحقيقة.

الثالثة: هي أنّ كل إنسان يريد أن يتحاور يطلب من الآخر أن يعترف به أوّلا، المسلم يقول للمسيحى اعترف بي أوّلا حتى أحاورك، والمسيحي يقول للمسلم اعترف بي أوّلا حتى أحاورك، هناك بعض الموانع، ولابدَّ من التفاهم على الحدّ الأدنى من الاعتراف بالآخر،وربّما اكتفينابأن يحترم بعضنا البعض الآخر. وحينئذ لايبقى المسلم سجين ذاته ولا يبقى المسيحي سجين نصوصه، ويكون الحوار منتجاً.

الرابعة: إنّ الحوار كان يجري بين شخصين أو بين طرفين كلٍّ منهما يشكُّ بالآخر، يدخل المسلم إلى الحوار ويقول للمسيحي أنت تحاورني لتحقق أهدافاً سياسية، ويدخل المسيحي إلى الحوار ويقول للمسلم أنت تحاورني لتحقق أهدافاً سياسية أخرى، وفي إطار الشك لايمكن للحوار أن يثمر.

الخامسة: هي أنّ الحوار كان يجري بشكل عفوي، لاتنظّمه مؤسسة، ولايبدأ الآخرون من حيث انتهى الأوّلون، يجري بشكل متقطّع متجزئ لايعبر عن مسيرة، ولايستفيد من السوابق، على الأقل أنا أشهد أمامكم من الجانب الإسلامي.

النقطة الأخيرة: التي أود الإشارة إليها، أنّ كلا الجانبين كان يفتقد المرجعية الرئيسية في الحوار، لنفترض أنني أقنعتك أو أنّك أقنعتني، أو أنّنا اتفقنا على خطة، فمن الذي يقبل بهذه الخطة؟ ألم يكن الأحرى أن تكون هناك مرجعية دينية تتصدى نيابة عن هذا الجانب، وأخرى عن ذاك الجانب حتى إذا ما اتفقنا على شيء عاد قاعدة للجميع!!

---

١) سبأ، ٢٤.

هذه مجموعة نقاط، وهناك نقاط أخرى لم أتعرّض لها ولكنها تنفعنا كثيراً عندما نحاول أن ندخل مرحلة جديدة من مراحل الحوار. أعتقد أنّه من الطبيعي أن تتولى المرجعيات الدينية تنسيق مواقفها في كل طرف، وأن تتولى هذه المرجعيات سحب رواسبها النفسية والتاريخية والقاءها جانباً، قد لانستطيع أن نتحرّر من هذه الرواسب تماماً فلنتخلَّ عنها على الأقل في لحظات الحوار، لنصل إلى نتيجة.

وهنا أريد أن أقول إنني أفضّل أن ينتقل الحوار من الحوار الكلامي اللاهوتي المحض إلى الحوار الفكري العلمي، وما أكثر القضايا التي يمكننا أن ندرسها فكرياً؛ أليست مسألة صراع الحضارات مسألة تستحق أن نفكّر فيها معاً ونتحاور؟! هل قُدّر للحضارات أن تتصارع؟ هل قدرنا جميعاً أن نعيش الحرب، أمّا السلام فيجب أن لانحلم به؟ هل هناك مجال لمساحات مشتركة في التعامل الحضاري؟ هل علينا أن نتّبع «هانتينغتون» مثلا؟ أم نتّبع نظريات «بريان» وأمثاله، أم أنّ هناك مجالا قوياً للتعاون بين أتباع الأديان؟

مساحات مشتركة للحوار

أ. حقوق الإنسان

حقوق الإنسان ـ مثلا ـ مسألة ضخمة يمكننا أن نتعاون وندرسها بقوة، هل صحيح ما يقال من أنّ الدين يقف أمام حقوق الإنسان؟ أنا أعتقد، وأنطلق في هذا من منطلق إسلامي مسيحي، لأنّي أُؤمن بأنّ الدين وحده يؤمن بشيء اسمه الفطـــــــــرة، (◻︎⬧❷⇳♦☠✿ ✂︎✍︎★ ✂︎♐︎◉︎⬏⧫☹︎⬀⌀◻︎⬧➲⬧❷♦ ✂︎♐︎◉︎⬏☾◻︎♐︎◻︎" ⬂♦⬧■❸⬀♐︎◻︎ 🗐 ⬧⬧ ✍︎⬧⌨︎⬀⑨♑︎③✍︎⬧ ◉︎♑︎➲⬁⬜⬧⬧⬀⬂ ★✍︎♐︎✂︎ 🗐 ❶⬧🕓︎◉︎⬏♑︎①⬧ ✂︎♐︎✍︎♐︎♏︎♑︎⇦◻︎⬎ ✂︎♐︎◉︎⬎☽︎⬧⑩⬙⌀⚐︎⬤)[1] أؤمن بـأنّ الفطـرة تعنـي أنّ التركيبـة الإنسـانية

---

١) الروم، ٣٠.

صاغها الله لتسير بشكل طبيعي نحو المحبة والخير، أرأيتم هذا النص الذي قرأه علينا رئيس الجامعة، لو أنّك حملت كل معاني العلم والمعرفة الإيمان وفقدت المحبة فإنّك لاتساوي شيئاً. الفطرة هي منبع المحبة، الفطرة هي مجموعة النوازع والطاقات التي يملكها الإنسان تقوده نحو كماله، إذا جردنا الإنسان من فطرته جردناه من إنسانيته، ما الفرق بين الإنسان والخشب، الخشب تصنعه باباً أو تحرقه لم تخالف فيه فطرته، أما الإنسان إذا سلك سلوكاً فإنّه يقال هذا السلوك سلوك وحشي لا إنساني. ما الذي يميز بين السلوك الإنساني واللاإنساني؟ أليس ما يشير إليه الوجدان؟ والوجدان جزء من الفطرة. على أساس الفطرة يقوم نظام الحقوق، بل على أساسها يقوم نظام الأخلاق، ويقوم نظام المعرفة الإنسانية.

عندما يقول الفلاسفة العقلانيون إنّ الإنسان ينطلق من سجن ذاته الخارج وفق البديهيات العقلية، يشيرون إلى أنّ هناك أموراً غرست في فطرة الإنسان وهذه الأمور بديهية لا مناقشة فيها: الإيمان بالعلية، الإيمان باستحالة اجتماع النقيضين، الإيمان بوجود العالم الخارجي، هذه أمور فطرية نعبر من خلالها إلى العالم، وبدونها فنحن حبيسو ذاتنا، الفطرة هي مساحة جيدة نتحاور حولها ونتحدّث. أنا أؤمن بأنّ المعرفة مقسّمة، وأنّ الفكر الإنساني إذا دأب وفقه الله تعالى إلى مساحات، لماذا لا أستفيد من مساحات فكرك ولاتسفيد من مساحاتي الفكرية؟ الإيمان بالقيم العائلية والقيم الإنسانية أليست أموراً من صميم الدين؟!

أنقل إليكم تجربة من «مؤتمر السكان والتنمية»، هذا المؤتمر الضخم الذي عقد في القاهرة، أعدّت له وثيقة مملوءة بتصوّرات مادية فردية محطمة لكل العلاقات الاجتماعية والعائلية، مملوءة بنصوص تخالف الوجدان الديني، تدعو إلى الإباحية الجنسية، بل تدعو لطرح مصطلحات لايعرفها القانون، هل سمع أحد القانونيين بما يسمى «Sexual Rights» الحقوق الجنسية ؟ هذه الحقوق تطرحها هذه الوثيقة بقوة، وتؤكد أنّ الحقوق الجنسية تعني أنّ كل فرد له الحق في أيّ اتصال جنسي وليس لأي فرد آخر أن يشرف عليه مطلقاً، حتى الأب

والأم والعائلة أوأنّ الاقترانات الأخرى، غير الاقتران بالزواج، مقدّسة كالزواج تصرح بذلك في تعاريفها. بل تدعو هذه الوثيقة لتغيير تعريف العائلة ـ كما ذكرت في مكان آخر العائلة: هذا الذي نعرفه في الأديان أب وأم وأولاد، وعلاقات قانونية، وحجر زاوية في البناء الاجتماعي، أليس كذلك؟! الوثيقة تدعو لتغيير تعريف العائلة وجعله (كل مجموعة يصرف عليها مال واحد)، هل تعلمون ماذا يعني هذا؟ يعني أنّك لو نظرت إلى مجموعة من الذين يتناولون المخدرات فى مكان واحد لأسميتهم عائلة، أو نظرت إلى مجموعة من الشواذ جنسياً ـ وأرجو المعذرة ـ لاسميتهم عائلة؛ ومعنى ذلك تحطيم كل الروابط العائلية، وإذا ماتت العائلة مات المجتمع، وإذا مات المجتمع ماتت كل القواعد الأساسية لإقامة النظام والدين.

هذه الوثيقة طرحت أمام العالم وناقشتها دول، كثيرون رفضوا أن يشاركوا، قلنا لماذا نرفض؟ ندخل الساحة ونبيّن رأينا، ودخلنا وأصرّت دول «النورديك» على الموافقة على هذه الوثيقة بقضها وقضيضها، وقلنا ديننا لايسمح، وتعاونّا مع الفاتيكان أروع تعاون، واستطعنا أن نغيّر أكثر نقاط الضعف في هذه الوثيقة من خلال هذا التعاون، وخرجت الوثيقة نظيفة إلى حد كبير، مع بقاء بعض نقاط الضعف أليس هذايشكّل مجالاً للتعاون؟ لم أقل للفاتيكان أنت على حق ولم يقل لي أنت على حق ولم أطلب منه أن يعترف بي تماماً، ولكنّنا قلنا نتعاون فيما اتفقنا عليه.

ب. القيادة والشورى

و هناك قضية، لاأظن أنّها تخفى عليكم، أنّها قضية العلاقة بين القيادة والشورى، أو الحكم الفردي والحكم المجلسي، أليست هذه القضية موجودة بين الكنائس؟ هناك من يؤمن بولاية البابا ـ مثلا ـ وهناك من يؤمن بولاية شورى عامة لاتخصُّ فرداً، هل هذه قضية مسيحية فقط؟ أنا أقول لكم إنّها قضية إسلامية، حتى أنّنا عندما انتصرنا على ما يسمى بعرش الطاووس وكان عرش

الدم والحديد، واجهنا هذه المشكلة، هل الإمام حرٌّ فيما يحكم وله الولاية الكاملة ـ أسميناها ولاية الفقيه ـ وإذا كان الأمر كذلك فما دور الشعب؟ أم نترك الأمر للشعب كيف ينتخب وأنّى ينتخب وأي قانون يريد؟ وهذا لاينسجم مع التعليمات الإسلامية والنظام الإسلامي الذي اختاره الشعب نفسه. كان هناك حوار مطول، وانتهينا إلى هذه الصيغ، صيغ توجيهات المرشد وقيادة الولي الفقيه للساحة، وكذلك تدخل الشعب بمجالسه البرلمانية وانتخاباته للرئاسة وما إلى ذلك ـ بكل قوة ـ فإذا وصل الحكم إلى طريق مسدود تدخّلت ولاية القائد لتفتح هذا الطريق المسدود. وكان هذا التعاون الرائع، وأقمنا نظاماً أسميناه الشورى في ظلّ ولاية الفقيه، أنّها قضية يمكننا النقاش حولها.

ج. الهجوم المادي الغربي

لقد زرت بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الروسية، وإذا به يقول لي: نحن في روسيا، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، نتعرَّض لهجوم ثقافي مادي غربي، وأنتم تعرَّضتم لهذا الهجوم، ولكم تجارب ضخمة في هذا المجال، لماذا لانتعاون ونستفيد من تجاربكم وتستفيدون منا لكي نواجه الهجوم المادي،ألسنا جميعاً ضد الإلحاد والمادية؟ نعم كلنا نرفض الاتجاهات المادية لأنّنا نؤمن بالله جميعاً. هذا مجال نتعاون عليه كثيراً.

الحوار مع كل الأديان

لا أريد أن أطيل كثيراً في هذا المجال، وإنّما أريد أن أفسح مجالا للأسئلة عسى أن أقف على شيء ممّا يعتلج في بعض الصدور من أسئلة، وربما استطعت أن أقدم توضيحات لها، ولكني أريد أن أقول إنّنا بدأنا وأصررنا على أن نفتح باب الحوار مع كل الأديان: المسيحية واليهودية والزرداشتية، المجوس نحن نعتبرهم أهل كتاب وبالتالي فتحنا معهم حواراً، بل حتى الأديان غير الإلهية، مثل البوذية والهندوسية دخلنا معها في حوار؛ لأنّنا نعتقد أنّ لها

جذوراً إلهية؛ بل الحوار مع الغرب بدأناه حواراً فكرياً، وتوصّلنا فيه لنتائج جيدة. أنا أفتخر بأنّي التقيت بزعماء الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية،المجلس العالمي للكنائس، والكنيسة الانجيلية والايرلندية،زعيم الكنيسة في كرواتيا، والكنيسة الاميركية، وغيرهم كثيرون. ولنا معهم حوارات مختلفة وندوات متصلة ومتتابعة.

و أفتخر بأنّي استجبت لدعوة من سيادة الكاثيلوكوس آرام الأول، هذا الرجل العامل لصالح الحوار، والذي زارنا في ايران، وافتخرنا بزيارته، ورأى الإخوة الأرمن هناك وهم يعيشون ككل فرد في شعبنا، يضحّون كما نضحّي، يشعرون بكل ما نشعر، ويتمتّعون بكل ما نتمتّع به، كجزء لايتجزأ من كل هذا الوجود. ولي كل الفخر أن ألتقي هنا بالقادة الروحيين من شتّى الكنائس ومن علماء المسلمين، وأتعرّف على وجوه طيّبة.

و قبل أن أختم كلمتي، أودّ أن أخصَّ بالشكر هذه الجامعة وزعيمها المحقق الكبير، وأساتذتها وكل المسؤولين فيها، لأنّها قدمت خدمة جليّة للفكر، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا جمعياً على طريق الحق. والآن أنا مستعد للإجابة على الأسئلة، إذا سمحتم.

أسئلة ومداخلات

المطران بسترس، مطران بعلبك

عندما سمعنا سماحتكم في هذا الفكر، شعرنا بأنّكم تعبرون عن فكرنا أيضاً، ونشكر لكم هذا الانفتاح، ونشكر لكم هذا التقارب، ونتمنّى أن يكون الجميع من مسلمين ومسيحيين على هذا القدر من الانفتاح والتفاعل. كنت في لجنة الحوار الإسلامي المسيحي رئيساً للجنة المكلّفة من قبل البطاركة الأساقفة في لبنان وبدأنا نوعاً من التعاون بين المسيحيين والمسلمين ونهيّئ لمؤتمر مسيحي إسلامي ننشر فيه هذا الفكر، وسنبدأ إن شاء الله السنة القادمة بمؤتمر نوجز فيه ما توصَّل إليه الفكر المسيحي، وبنوع خاص الفكر الكاثوليكي، من بعد المجمع

الفاتيكاني الثاني؛ وسررت أن أرى في محاضرتكم القيّمة موجزاً ومطابقة لكل ما نعدُّ له، ونتمنّى أن يتجاوب معنا الأصدقاء المسلمون لكي ينجح هذا المؤتمر. اللبنانيون بأجمعهم يريدون الحوار يريدون التعاون ولكن هناك الشعب، الشعب لايزال عائشاً ـ كما قلتم ـ في رواسب قديمة. أريد أن أطرح ـ بكل بساطة ـ هل تطور الفقه الإسلامي إلى ما يفسح في المجال لهذا التعاون، مثلا حقوق الإنسان أصبحت أمراً معترفاً به في جميع الدول ومنها الحرية الدينية، وقد تكلّمتم أنّ الأرمن في ايران يعيشون هذه الحرية، فهل يسمح لهم بأن يكون لهم مدارس على غرار المدارس الخاصة، لا أعرف ما هي القوانين التي تشرّع المدارس في ايران، ولكن في لبنان توجد حرية المدارس فهناك المدارس الرسمية والمدارس الخاصة، وكل الطوائف اللبنانية مسيحية وإسلامية لها الحق بأن يكون لها مدارس خاصة، أريد فقط أن أستوضح من سماحتكم حول موضوع المدارس في ايران.

(الجواب)

تطور الفقه نحو تعاون مشترك

شكراً لسيادتكم على هذا التعبير وأجدني ممتناً لهذه الكلمات الطيبة، أتصوّر أنّ هناك سؤالا سبق مسألة المدارس في ايران وهو عن تطور الفقه. أنا لا استطيع أن أقول إنّ الفقه الإسلامي استطاع أن يحقق أوج عليائه، فهو أيضاً يقطع مرحلة بعد مرحلة، ولكني أجد الفقهاء نهضة كبرى، وأجد انفتاحاً على القضايا العالمية، وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وخصوصاً بعد أن وجهوا بطلب عظيم من النظام الإسلامي ليقول الفقه كلمته في مختلف النظريات التي يجب أن تطرح حتى تحل المشكلات؛ وأرى فيه تحولا كبيراً.

أمّا بالنسبة لحقوق الإنسان، فأعتقد أنّ مسألة حقوق الإنسان في عالمنا الثالث، وحتى في عالمنا الإسلامي، ما زالت تحبو في مدارجها النظرية، وما زلنا بحاجة إلى ترجمة حقوق الإنسان في الإسلام، على لائحة قدّمت إلى

مؤتمر القمة الإسلامي فوافق عليها بدوره، وكان قد كتب في آخرها عبارة تقول: «تعمل الدول الأعضاء على تطبيق هذه الحقوق في واقعها الداخلي»، فقالت بعض الدول يجب أن نضيف عبارة «إذا وافقت قوانينها الداخلية». قلت له: إنّ هذا يعني أنّكم تقولون للإسلام أو للدين، وأنتم ترون أن هذه حقوق إسلامية، يمكنك أن تدخل بيتى إذا طابق قدك أو طولك طول الباب الذي نملكه، فإذا كنت أطول من هذا الباب عليك أن تقطع رأسك أو تقصّ رجليك.

الإنسان له حقوق بحدودها المعقولة، ولا أوافق على الحق المطلق فى كثير من هذه الحقوق، لأنّ المطلق يتعارض مع حقوق الآخرين في كثير من الأحيان، إذا آمنا بأنّ هذا الحق هو من الحقوق المعترف بها شرعاً؛ فإنّ علينا أن نطبّقه حتى لو خالف قوانيننا الداخلية، علينا أن نغيّر هذه القوانين بدل أن نغير هذا الحق الذي آمنا بأنّه حق.

مدارس الأقليات الدينية في الجمهورية الإسلامية

أمّا المدارس في ايران، فإنّ للإخوة الأرمن مدارسهم الخاصة، كما لكل الأقليات المسيحية وغير المسيحية ـ اليهودية ـ مدارسهم الخاصة، ويرأسها مدراء أرمن. كما أنّ لهم نائبين حرّين في البرلمان الإسلامي، يتحدثان بقوة أمامهما الميكرفون المفتوح للشعب كله، لأنّ البرلمان مفتوح للشعب،هناك إذاعة خاصة يستمع الشعب من خلالها لكل المناقشات. كما أنّ للأقليات خمسة نواب، وأحد علماء الارمن معنا هنا، الأستاذ سركسيان، وهو ممّن نحب وربما يشهد أروع التحام بين المسيحية والإسلام، فإنّ الأطروحة التي قدّمها هذا المسيحي المؤمن تتحدث عن ثورة أبي عبدالله الحسين× بأسلوب جميل، نطلب من حضرته أن يطبع هذه الأطروحة لنستفيد منها.

و ما أكثر مؤلفات لبنان حول أئمة أهل البيت(عليهم السلام)بالأمس ذكرنا جورج جرداق وملحمته الخالدة «علي صوت العدالة الإنسانية»، تغنينا بهاونحن شباب، ومؤلفات سليمان كتاني والآخرين، والملاحم الشعرية للشعراء

أمثـال: بـولس سـلامة ونصـري سـلهب... كلهـم عظمـاء، تسـري كلمـاتهم فـي عروقنا كالعافية، تغنينا وترسم لنا ملحمة الوحدة.

علـى أي حـال، أمـامكم هنـا أقـول: مائتـا ألـف أرمنـي لهـم نائبـان فـي المجلس،وهذا امتيازاً، يعني أن لهم أكبر بالنسبة لأفراد الشعب الآخرين، فلكل مائة وخمسين ألف من الشعب نائب. ولهم الحرية الكاملـة فيمـا يقولـون، كـذلك لهم مدارسـهم التـي تـدرس باللغـة الأرمنيـة، وقـد زارنـا ـ كمـا قلـت ـ الـزعيم الروحي كاثوليكوس الارمـن آرام الأوّل، وزار هـذه المـدارس، وزار الكنـائس فاسألوه وسوف يحدّثكم.

الحرية والكرامة

الدكتور بطرس ديـب، رئـيس الجامعـة اللبنانيـة السـابق، (سـفير ومثقـف ومـــورّخ)

«لايستحين أحد إذا كان لا يعلم الشـيء أن يتعلمـه»[1]، كلمـة مـن نهـج البلاغـه الخالد، كنت أذكرها وأتأملها وأنا أنتشي ممّا كنت أسمع.

تحدّثتهم يا سيدى عن التقارب، والإنسان أخ الإنسان، والتقارب هو القاعدة، والعكس هو الشواذ غير المقبول، فمتى سمى الفكر إلى تلـك الأعـالى تتضـاءل الفروع الصغيرة، وتصغر في عين العظيم العظائم.

تحدّثتم عن حروب صليبية وعففتم عن التوقّف عندها وحسناً فعلتم كمـا فـي سائر ما تقولون، وإذا كانت الحـروب إجمـالا وسـيلة سـخيفة فـي التعامـل بـين البشر فيمـا تفترضـه مـن فـرض الحل بـالقوة لا بالفعل والعـدل، فربمـا كانـت الحروب الدينية من أسـخف الحـروب؛ لأنّ الـذين يسـتميتون فـي القتـال وبكـل شراسة لايعرفون لماذا يقتلـون ويقـاتلون، الحـروب الصـليبية لهـا ربمـا بعـض

---

١) نهج البلاغة، ج٤، ص١٨.

الأهداف الدينية، ولها الأهداف السياسية والاقتصادية إلى ما هنالك، وأقول: الحمدلله أنّ هنالك أهدافاً غير دينية؛ لأنّها تخفّف من فظاعة الجريمة.

كما تكلمتم سيدي عن حقوق الإنسان، حقوق الإنسان الحرية والمساواة المشتقتان من كرامة الإنسان، والحرية تتصدر الدساتير عادة وتسمّى بحق طبيعي للإنسان، ربما كانت أكثر من ذلك، أنّها جزء لايتجزأ من إنسانية الإنسان بالذات، لأنّ من خصائص الإنسان أن يكون مسؤولا، ولا مسؤولية حيث لاحرية. يا سيدي ندّدتم بما قامت به الدول في الماضي وقد يقوم بها بعضها حالياً، وفي تلك الأمور بذور شر علينا أن نقاومها، القضية الكبرى هي عدم انتقال تلك الشرور من صعيد الدولة إلى صعيد الشعوب، وتلك هي الأمانة الكبرى التي بين أيديكم وأيدى أمثالكم. أرجو أن تقولوا لنا كلمة فيها.

الجواب: ليعذرنا إخوتنا، أننّا إذا ذكر إمامنا بطل الإنسانية (علي) ننتشي، وإذا انتشينا غنينا، وإذا غنينا يطيب الحفل (علي) يقول لأحد ولاته ـ لمحافظ من محافظيه ـ وهو مالك الأشتر الذي أرسله إلى مصر، وسجّل له أروع وثيقة سياسية إدارية، أرجو من إخواني أن يطالعوها في نهج البلاغة، رسالته إلى مالك الأشتر تقول: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» ولا ثالث لذلك أخ في الدين وحتى إذا لم يكن متديناً فيكفي أنّه إنسان، والإنسان له حقّه وكرامته، لعلي الكثير الكثير من الحكم يعزّ عليّ أن لا أذكر سطراً واحداً من مناجاته مع ربّه حيث يقول: «إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب»[١].

أنا أعتقد أنّ الأديان كلها تتفق على تعريف للحرية، وتعريف للكرامة، وتعريف للحياة، وهذه أسس الحقوق الإنسانية: الحرية، الكرامة، الحياة ولا حياة بلاحرية وكرامة، ولا كرامة بلاحياة وحرية، ولا حرية بلاحياة وكرامة،

---

١) الخصال (للصدوق)، ٤٢.

هذا التعريف عن الكرامة يقول: إنّ الإنسان بما هو إنسان كريم عند الله، وفـي القـــــــــرآن {❒◆◉♑•☽•⑨⇕ ✍☒❷▪✌⬂✡□✍ ✉♦♉✍✍✗ ➚◆✂⑩◻⚐♦}[1] هـذه كرامـة ذاتيـة مـن منبـع الكرامـة وهـو الله، الله منبـع القداسة وهو تقديس للإنسان كإنسـان، هـذه كرامـة نسـمّيها الكرامـة الطبيعيـة، كرامة طبيعية ذكرت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان، (كرامـة الإنسـان) أعتقد أنّ الأديان تقول بكرامة إضافية، هذه الكرامة غير موجودة فـي الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان ومن نواقصه، كما أنّ هنـاك نـواقص أخـرى وإن كـان هذا الإعلان يمثّل خطوة رائعة على طريق إحقاق حقوق الإنسان.

أنا أقدر لهذا الإعلان دوره التاريخي، ولكني أعتبره ناقصـاً، وأعتبـر الـدين أكثر تقدّماً منه، وعندما أقول الدين أقصد كل ديـن، وفـي طليعـة هـذه الأديـان الإسلام والمسيحية. الدين يؤمن بأنّ هناك كرامة فوق طبيعيـة نسـمّيها الكرامـة المكتسبة، هـذه الكرامـة يكتسـبها الفـرد إذا كـان عـاملا فـي خدمـة الإنسـانية، الإنسان المتّقـي والإنسـان الصـالح، الصـلاح والتقـوى تعطـي الإنسـان كرامـة مكررة، كرامة مكتسبة، هـي فـوق الكرامـة الطبيعيـة، ولاريـب أنّ الكثيـر مـن الأناس العاديين لهم كرامة، ولكن هل تضعون إلى جانبهم الأنبياء؟ إنّهـم أكـرم من الأناس العـاديين؛ لأنّهـم أنـاس قـادوا الصـلاح فـي التـاريخ وسـجّلوا تغييـر الإنسانية.

هنـاك آيـة قرآنيـة تقـول:{③♦🕐❋🕯❒⑨☙&❑✍ ✂✍◉♑☪□✍□↓ ☽♐✡❋✍ ⌘◻◘■☽⬂✡□🕐▤➚✉ ✌♓♉♊ ❶•✍☒❷◉♑ ❒◆♉◻➔◻◘▫✡□🕐▤➚☠⬁ ⅄➚➔⇖❑✉ॐ✍ ❒◆📖⬆✡ॐ•✍🗐 ❒◆🔔•⌨♦✍✎★✍✍• ◉♑♎✌♦➔◻✍❻◆▫➔❑☑✂☎ 🗐 ☽♐♌□ 📖❒🗎⇩❷♦✌♦▤➚✉⬁ ⇖♎✡⑨◻ ✂✍✎★ 📖❒✍⬂☽•◉♑▤➚☠⬁}[2]

---

١) الإسراء، ٧٠.

٢) الحجرات، ١٣.

هنا التقوى تدخل كعنصر جديد للكرامة، وفي التقوى يندرج الجهاد {◆⬧□◆⬧✍ ✂⬧⬧✍✦ ✂⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧◆ ❼■✍◆⬉}[1] كذلك يندرج في التقوى العلم: {✂⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧◆ ⬧✍⬧⬧ ⬧✍⬧⬧ ❽⬧❑◆⬧⬄○❑④ ✂⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧◆ ◆⬧❑⬅⬧⬧⬧⬧◆③ ❑◆✂⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧◆ ◆◆③ ◆⬧❑⬅☺■⬧⬧⬧◆③ ⬧◆}[2] وهنــــاك عناصـــــر كثيـرة تكمـل هيكـل التقـوى وتعطينـا كرامـة معقولـة، ثـمّ إنّ الحريـة والحيـاة والكرامـة يجـب أن تكـون مقيـدة بالعقـل: الحيـاة المعقولـة، الكرامـة المعقولـة، الحرية المعقولة، أمّا إذا تحوَّلت الحرية إلى تهديم للإنسانية باسم الحرية فنحن ضدها، أو إذا كانـت الحيـاة ضـد الحيـاة أي إذا كانـت الحيـاة حيـاة «هولاكـو» و«تيمور لنگ» فإنّ هذه الحياةهي ضد الحياة، وإذا كانت الكرامة تعنـي إهانـة كرامة الآخرين فهذه الكرامة ضد الكرامة، إذاً الأديان تقيّد هذه القواعد الـثلاث بما أسميه المعقول وسمّها أنت المنطقية، أو سمّها الإنسانية، أو سمها ما شئت، أريدها كرامة مكتسبة، وحياة في إطار الأخلاق، وحرية لصالح الحرية.

هل الدين إلاّ الحبّ

المطران الزغبى مداخلة:

يقولون: «نحن في معهد الحقوق» العدل سيد الأحكام، هذا صحيح إذا حمل العدل على أجنحة الحب، تكلّم آية الله العظيم عن المحبـة، وتكلـم مـدير المعهـد الأب الحبيب بولس عن المحبة والحب، وهـذا مـا شـجّعني علـى أن أقـول هـذه الكلمة وأوجهها إلى أخي الكبير آية الله الضيف العظيم أهلاً وسهلاً بك.

أخي قبل أن أكون مسيحياً، وأنا بالطبيعة أخوك قبل أن تكـون مسـلماً، فكـل منـا ينتمي شاء أم أبى إلى ذينك الأبوين الأوّلين وإلى الخالق لا إلـه إلاّ هـو، إنّ

---

١) النساء، ٩٥.

٢) الزمر، ٩.

الانتماء الديني هو الذي طرأ على ذات الإنسان، وليست الذات هي الطارئة على الانتماء الديني، أنت أخي في الخلق والخالق وفي أبوينا الأوّلين، أنا أحبك لأجل من خلقني وخلقك، ولأجل اليدين اللتين جبلتاني وإيّاك من ذات التراب، على حد ما قال صاحب «المزامير» «يداك صنعتاني وجبلتاني»، أحبّك لأجل من شملني وشملك بذات الحب، كما أحب أخي شقيقي من أبي وأمي، لكنّي لا أحبك فقط لأجل الله الذي أحبني وأحبك، بل أحبك بذات الحب، حب الله الذي أبدعني أبدعك. أي أنّ حبي لك مشتق من الحب الذي غمرني به الخالق، ومن الحب الذي أحمله في قلبي، أنا لا أحبك بمعزل عن حبي لله كما لاأحبك بمعزل عن حب الله لك ولي، وإذا تقدمت وحدي إلى الله عابداً ومصلياً سألني كما سأل يوماً (قايين): «أين أخوك؟» وإذا شئت أن أقدم للهيكل قرباناً ولك عليّ شي بادرني المسيح بالقول اذهب أوّلا وصالح أخاك ثم قدّم قربانك، حب واحد ينبثق من الله ليشمل كليناايرتفع إلى الله من قلب كل منا مروراً بالآخر، إن حبنا المتبادل لايدوم يوم يكون ثنائياً ويقتصر على كلينا، إنّ حبي لك وحبك لي إلى زوال ما لم ينبثقا من حب الله وينتهيا إليه، أنت وأنا نؤمن بالله الواحد فإذا اختلفنا في مفهوم هذه الوحدانية لا في جوهرها ـ والعياذ بالله ـ فأنا وأنت موحّدان، وقد ميّز القرآن الكريم بين المسيحيين والمشركين فأنا وأنت موحّدان في ذات الحب، لأنّ الحب واحد سواء هبط من الله إلينا أو صعد إلى الله من كلينا، حب واحد دائري ينبثق من الله مصدر كل حب ومآله إليه عز وجل عبر حبي لك وحبك لي يا أخي.

الجواب: أنا لا كلام لي إلاّ أن أقول: هناك رواية عن أهل البيت عليهم السلام تقول: «وهل الدين إلاّ الحب».

الحرية بالمفهوم القرآني (إشكالية)

الدكتور شوقي ريا، أمين عام المنبر الحر

أحب أن أشكرك على هذه المرتكزات الفكرية التي نورتنا من خلالها نحو

أسس جديدة للحوار الإسلامي ـ المسيحي ـ وأحب أن ألفت نظرك إلى مسألة تهم المسيحيين من الناحية الفقهية ومن ناحية التشريع الإسلامي، مع أنّنى تلميذ صغير ولا زلت مستمعاً عبر التاريخ يرتبط ترابطاً تقريباً جزئياً، أو يجسّد الحضارات البيئية أو التاريخية أو العادات الاجتماعية، هذه الإشكالية الاجتهادية والفقهية هي مسألة الحوار المستمر من الناحية الاجتماعية. ثانياً: بالنسبة لي، وحسب دراستي للقرآن الكريم، أجد الحرية التي يخاف منها الكثير من المسلمين، أجدها حرية مطلقة في القرآن الكريم، بالمعنى اللاهوتي بالمعنى المسيحي، مثلا أعطيك آية صغيرة تعبّر عن الحرية المطلقة التي يعطيها الله من خلال القرآن الكريم للإنسان. في سورة الأنفال يقول: {❒◆●●

☎✁❑⬀♑♋⧫♔ ♐⧠⬄☞⓿⅄♑♋♔☒✍ ☎✁❑🡸☼❑⬀▤⧫✍

♓☺⌧❑⬉➔❑⬀⓸●● ⬀☠➔♎◆❒ ♋◆☪⬁➔♐☺⌧♓}[1] السمع هنا يعني العقل، {♎♌♋♍☐♌♏❒⓿⑨♑♋✁ ▪❸⧫⌖ ☞♌☸✏✁◆ ⬉☠⬀▤🡸⌛⬂♑♋✁ ❿💣❺◷♑♋✁ ★✏♋✁ ⌧⑨☪♐⬉

⬀❑⧫♑◆❒ * ⧫♌❑➔▣☞♍⬁➔⧫③ ●● ♐⧠⬄♐♔⅄✏♋✁

✁☪❸⬀❷⌧⌘ ⬀☠⌀&❸♐▫ ✦✏♋✁ ⌘☠♎▣⧫⬊

⬀☠🡸♑⌧➔⌧☺⬄♓❒📖 ⬀❑⧫♑◆❒ ☎ ⬀☠🡸♑⌧➔⌧☺⬄♓♊✿

♐♍❑➔⬂⌘❷⬁➔❿✌ ☠➔♎☐❒ ☎✁❑⅄♑◆❑⧫☝⧫♑}[2] هل هناك أروع من هكذا آية تعطي الإنسان الحرية المطلقة؟ ويقول أيضاً: {▫⧫☺⌧♊

◆⬀✏♋☒⅄ ⮫⧫✌◆❒ ♊♐✌⬁⧫⬉⓿▫▣⧫▫ ◆⬀✏♋☒⅄

▦◷♐❍♎✉ ☎✁❑⬉☪♐✌✁◆⬀ ⬀✍➔♔} [3]{⬀❷➔▦⬂▤◆⓿▫▣⧫▫

⧫✖⬄♐♔⅄✏♋✁ ☐♌♎♍ 🗐 ☎✁☑❑⬉☪♐✌⬁⧫➔✍ ●● ⬁❒❒📖

---

١) الأنفال، ٢١.

٢) الأنفال، ٢٢ و ٢٣.

٣) الكهف، ٢٩.

▦◷ↀ📖ↀ✂◁⧗♦🔔 ♊ↀ✌ ⌘☠▫▪ↀ➔◁♉☺✂ ☎✂❑➔✍❑⬆📖

♦♌❑❾❷ↀ③♦⑥ ◁☠✂&◁❸■▪♦↖ 🗐❻■▪✍☞↖③ ✂♦❶ↀ☽

♍ↀ✿☞❶◁🔔♦☺♌✍ ♋←♂✕⊙⑨✡✂}.[١]

الذي أقوله هنا أنَّ الحرية بالمفهوم القرآني وبالنصّ القرآني حرية مطلقة، تعطي حقوقاً طبيعية وحقوقاً سياسية، (يا أيها الناس انا خلقناكم من نفس واحدة)[٢]، نرجع ونجد مشكلة عبر التاريخ الإسلامي أو التاريخ العربي بالأخص، أنّنا بدلاً من أن نتّبع النصّ بالمفهوم، نتّبع العادات الاجتماعية التاريخة ثم ننطلق منها لشرح الإسلام، لذلك أحببت أن ألفت نظركم لهذه النقطة الأساسية وأحب أن أقول لكم إنَّ مفهوم الحرية أنّه لا جبرية في الإسلام، الحرية مطلقة في القرآن الكريم.

الحرية من منظور الاجتهاد الإسلامي (إجابة)

شكراً للدكتور وحيّاه الله على هذه الروح المتوثبة، روح الشباب لدى الشيوخ، في الحقيقة أنّ الاجتهاد هو الطريقة المثلى لمعرفة موقف أيّ دين أو أيّ قانون من الوقائع المختلفة، لايمكننا أن نحذف الاجتهاد من أىّ دين سواء كان سماوياً أو غير سماوي، أو من أيّ قانون، الاجتهاد هو عملية إعمال نظر دقيق لمعرفة رؤية النصوص لهذه الواقعة أو هذه الحادثة الجديدة، وهو عنصر مرن في أىّ تشريع دينياً كان أو وضعياً، لكنّ الاجتهاد فيه خطر، هذا الخطر هو الذاتية، وهو ما أشرتم إليه، قد تنعكس الذاتيات الفردية والتركيبية النفسية على ذهن الإنسان المجتهد فتجعله يستنبط شيئاً ربما يخالف ما ترمي إليه النصوص، ولكن هل لدينا طريق لمعرفة الواقع غير الاجتهاد؟ الاجتهاد في القانون الوضعي أيضاً هناك مجتهدون للمعرفة، في النصوص القانونية؛

---

١) الإسراء، ١٠٧.

٢) اقتبست من عدّة آيات كالآية الأولى من سورة النساء.

القاضي يجتهد لمعرفة موقف هذا النصّ القانوني من هذه الحادثة، الاجتهاد هو عنصر مرن قوي ويجب أن يلاحظ المجتهدون الذاتيات لئلا تترك أثرها، ومن هنا توجد دعوة للاجتهاد الجماعي، هناك دعوة لتكرر الاجتهاد حول النص،عندما يتكرر تحذف الذاتيات ويقرب المجتهدون إلى الواقع.

(برايان) الانكليزي في العام ١٩٤٧ ينشر في الـ «Economsit» يقول: «علينا نحن الغربيين أن نحذف عنصر الاجتهاد من العالم الإسلامي؛ لأنّ الاجتهاد يكرّس احتكار العلماء للساحة الثقافية فى العالم الإسلامي، فإذا أردنا أن نحدث انقلاباً على الوجود الإسلامي علينا أن نحذف الاجتهاد»، وهذه حالة خطيرة جداً، الاجتهاد هي حالة صحية جيدة شريطة أن لاينفذ من خلالها التأثير البيئي والتأثير النفسي إلى النتيجة، وهناك شروط وضعها المجتهدون ودقّقوا فيها، أذكر أنّ أحد المجتهدين أراد أن يدرس قضية عندنا، في الفقه الإمامي قضية تسأل لو فرضنا أنّ هناك بئراً، ماؤها قليل لكنّ لها مادة تمدّ هذا الماء، وقع فيها حيوان ميت، فهل هذا الماء يتنجس؟ (هناك حكم الطهارة والنجاسة في الفقه)، وهل عليّ أن أنزح كل هذا الماء؟ المجتهد درس ووجد أنَّ هناك نوازع نفسية تقوده لأن يقول بطهارة هذا الماء، فأمر بإغلاق هذه البئر بكاملها، يعني قطع أمله من هذه البئر، ثم درس المسألة وتوصّل إلى نتيجة، يعني المجتهد يجب أن يعمل قواعده الفقهية، والاجتهاد هو عنصر مرونة للفقه.

هناك قضايا مستحدثة، وقضايا العقود المستجدة، عقود التأمين، قضية الاستنساخ البشري ينقلون خلية من جلد إنسان ويضيفونها للخلية الجنسية لبويضة جنسية، وحينئذ تنمو هذه البويضة طبق عملية تنقسم إلى قسمين شبيهين لبعضها، ثم تتطوّر إلى أربعة؛ لأنّ الخلية الجنسية تنقسم إلى اثنين وثلاثين ثم تتفرع، وهذه العملية مطروحة الآن على ساحة العلم وأثبتتها التجارب في«النعجة دوللي» فهل نسمح أو لانسمح؟ هل يؤدي ذلك إلى إنسان «كاتالوك» هل أنّ الإنسان الذي يريد أن ينمّي طفلا ينظر كاتلوك ويقول: أنا أريد أيتها الشركة إنساناً بهذا الشعر وبهذه العين وبهذه البشرة؟ هل نسمح

بموت العلاقات العائلية من خلال عملية الاستنساخ أم لا؟ هذه تحتاج إلى اجتهاد، وأنا أقول لك بأنّ القضية لم تدرس جيداً، هناك من هاجمها بقوة، أنا شخصياً قد لا أجد لدي ما يبرر مهاجمتي لهذه العملية، فربما فتحت آفاقاً للعلم واستفدنا من نظريات الوراثة للقضاء على أمراض السرطان ومعرفة الجينات التي تحمل خللا وتؤثر في جيل تجعله جيلا مختلا، أنا أعتقد بأنّ العلم يجب أن يفتح ولكن نراقب هل يؤدّي بالتالي إلى ضرر اجتماعي أم لا؟ المهم المصلحة الاجتماعية والمصلحة الإنسانية، إذاً الاجتهاد له دوره في مختلف القضايا المستجدة.اريد أن أؤكد أنّ الاجتهاد حرٌ في الاسلام،و لذلك تختلف الآراء.

الفطرة في ظلّ المعايشة اليومية لأمور الحياة (سؤال)

الاباتى الدكتور بولس نعمان، مؤرخ ورئيس الرهبنة اللبنانية سابقاً

كلامك الليلة بالنسبة إلينا هو اكتشاف يكاد يوازي اكتشاف (كريستوفر كولومبس) لأمريكا، وقد قلتم كلاماً هو شبيه بكلام الرسول بولس، كلام رائع ساحر، لم أكن أنتظر أن أسمعه مطلقاً، ولكن أريد أن أسألكم سؤالا قلتم كلاماً رائعاً بالنسبة للفطرة الإنسانية، والفطرة الإنسانية كما فهمتها منكم الطبيعة الإنسانية أو العنصر الإنساني للإنسان، وهذا يرفعه الدين إلى مرتبة القداسة، من خلال خبرتكم فى ايران، أريد أن أعرف هل تدخُّل الدين في الأمور اليومية وفي الأمور العادية من شأنه أن يرفع هذه الفطرة أو بالعكس من ذلك أن يضرَّ بهذه الفطرة، وهذا الاختيار الذي شهدناه في قلبكم وعقلكم وصدركم كم يلزمه من السنين حتى ينحدر إلى الطبقات الشعبية عندنا في المسيحية وعندكم في الإسلام وشكراً.

الفطرة على ضوء المنهج القرآني (إجابة)

أشكركم كل الشكر، وأنا أحقر بكثير ممّا قلتم، ما زلت تلميذاً صغيراً يحبو ويحبو في مدارج الأنبياء، وأسأل الله أن يهبنا جميعاً عيوناً نافذة تستطيع أن

تبصر جنانهم وتعيش آفاقهم، كلنا متطفلون على موائدهم، الأنبياء سادة البشرية، والرسل والأوصياء حملة رسالة الأنبياء.

بالنسبة لما تفضلتم أنطلق من منطلق إسلامي، ومن منطلق ديني عام أيضاً، وأعتقد أنّ كل التعاليم، شريطة أن يثبت أنّها تعاليم السماء، شريطة أن نثبت أنّ التعاليم التي جاءت بها الأديان هي تعاليم موحاة وليست من صياغة ذهن إنساني لا علاقة له بالوحي، شرط واحد عندي وهو أن تكون هذه التعاليم موحاة، ونحن نعتقد أنّ النبي ليس كالفيلسوف، تأتيه الفكرة فيطبخها مع وجدانه ويعطينا معجوناً أو تركيبة فيها من خارج الذهن وفيها اعتمالات النفس، النبي حسب اعتقادنا هو أمين صادق يحمل كلمة الله ويوصلها: {❒◆✌♦✍

③♦☪➲♋✉← ⇖♦♊⇞✂✍✍▭▫●☐❑◆❽✂☽♑♌⬀ * ♎➔❑◆

☽♑✦· ❒◆❒⇔⦰⌧ ③⇖❑❒☐⌼⦰▤}[1] وفي آية أخرى:{❒◆♒♦❑⇗

✍♦☽♦❑▪✌♦ ⇖♦⬛⓿⬂✡❑✍ ✉♦➔⬀⮝◆

✂✍☞🔔♦✍❒⦰③✍⇗ ✿✝✿♦⓿⬁☼♦✍ * ✌♑☪⬀❍←

⛀♑✍✍⬂⓿◆☺♑✓✗⇗ ⚐➔☠▪ * ♒♦☽♦➲♦➔⬀☪◆✍

✌♑☪⬀❍← ✂✍♒⬂❑◆✍♑✓✗♦}[2] يعني لقبضنا على يده بقوة وقطعنا حياته، النبي مؤتمن فإذا ثبت لنا أنّ الحكم هو حكم إلهي فأنا أعتقد أنّ كل الدين منسجم مع كل الفطرة لأنّهما ينطلقان من منبع واحد ومن خالق واحد ومن حقيقة واحدة، الآية الكريمة تقول: {▫♑➲⇳❷♦☠✿ ✂✍✐★

✂✍♒▲☹⇗⦰ ▫♦➲♦❷♦ ✂✍♒☪☐✍☐" ⦥♦⬛❸⬀& ☐✍ ▤

♦♦ ✍♦⌨⬀⑨♑③✍♦ ♒♑➲⌼▪⬛⇗ ⇗✂✍✐★ ▤ ❶♦🕓♒♑①☙

✂✍✐✍♏♑⇔▫⧩ ✂✍♒⬂☽♦⑩♒⦰⚐❶}[3]، أعتقد هذا بقوة، وأعتقد

---

١) النجم، ٣ و ٤.

٢) الحاقة، ٤٤-٤٦.

٣) الروم، ٣٠.

أنّ الدين يعطي الإطار ولايتدخَّل في كثير من الجزئيات، يعني يعطي الإطار العام.

يعطي القاعدة العامة في العمل وفي السلوك، القاعدة يجب أن تدخل في الساحة الحياتية، الدين يجب أن يوجّه مجمل الحياة الإنسانية، وتبقى المصاديق حرّة ينتخبها الإنسان، {✍□✌✎☽◆❒ ✂☯❷♑✍✍⊠⅄ ✍□✌✎☽ ✍⊠▦➔❑❻⌚✂}[1] ـ كما في التعبير القرآني ـ ومن هنا أعود لكلمة شيخنا عن الحب، أرى أنّ الإنسان المؤمن يعيش الحب كله، يحب ذاته، الدين يقول له ليس لك أن تؤذي حتى ذاتك، عندنا رواية عن الإمام الصادق× تقول:«إنّ الله فوض إلى المؤمن أموره كلها إلاّ أن يذل نفسه»[2] ليس له أن يذل نفسه، هو يحب نفسه، وهو يحب مجتمعه، هو يحب إخوته، هو يحب الكون، هو يحب الجمادات. رسول الله محمد’ مرّ يوماً على جبل «أُحد» وهو جبل يقرب من المدينة، قال: «هذا (أُحد) يحبنا ونحبه»[3]، الجبل يحبنا ونحبه. ونحن عندما نصلي ونسلم على كل عباد الله الصالحين عبر التاريخ. نقول: السلام علينا وعلى عبادالله الصالحين، لأنّ الجميع ينطلقون من منطلق واحد ووفق فطرة واحدة.

أنا أؤكد سيدي أنّ الدين يجب أن يدخل إلى الساحة العملية بقوة، وان كان الدين لا يشخّص الكثير من المصاديق، هو يقول: {❒◆🕮❒⇖♑⑨❻❒✂☎ ✍□✌ ☠⇦♑⬩♏ ✍✍✂⬄✍⬧➲⬩➔⬀☞⇦⚐ ✌♓♑♊ ♎➔❑▪❑▭}[4]، أعدوا لهؤلاء الذين يتحدّونكم القوة، وتبقى القوة قاعدة عامة تنسجم مع القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة الذرية والقوة الثقافية. كل هذه هي منطلقات

---

١) الإنسان، ٣.

٢) الكافي(الكليني)ج٥، ص٦٣.

٣) مسند أحمد بن حنبل، ج٢،ص٣٣٧.

٤) الأنفال، ٦٠.

دينية.

وضع المسيحيين في الجمهورية الإسلامية

الاستاذ ابراهيم عطوي، صحفي في جريدة النهار

أحب أن أضيف كلمة على ما قاله سماحة الشيخ التسخيري حول المسيحية في ايران، من خلال عملي الصحفي تجوّلت كثيراً وكنت أسمع أنّ المسيحيين في ايران ـ بعد الثورة ـ مضطهدون، وأنّهم إلى ذوبان، لم أنفِ ولم أصدق ولم أسلّم، وكنت منذ البدايات أحلم بزيارة ايران، وقبل أسبوعين تحديداً في الأوّل من نيسان الماضي، كنت مع وفد المجمع الثقافي العربي في ايران وأصررت على زيارة إحدى الكنائس، زرت كنيسة «وانغ» في إصفهان هي للأرمن، وعرفت هناك أنّ للمسيحيين في مجلس الشورى الإيراني خمسة نواب من أصل خمسمائة ألف مسيحي ـ على ما أعتقد ـ يعني النسبة أكثر بكثير من نواب المسلمين، وهذه الكنيسة فيها دير وفيها أيقونات وجداريات وفيها متحف أناجيل من القرون الغابرة: انجيل من القرن الحادي عشر، وانجيل من القرن الثاني عشر، وما لفتني الجيل الجديد، جيل الفتيات المسلمات وهن يتأمّلن الأناجيل ويدوّن بعض الملاحظات؛ كما تأمّلت جيداً لوحة للرسام العالمي «رامبران» موجودة في الكنيسة ـ وهي من اللوحات النادرة ـ تمثّل أبناء إبراهيم.

و سألت هناك عن وضع المسيحيين ـ طبعاً سألت الأرمن المسيحيين ـ قالوا لي إنّهم ـ كما تفضّل سماحة الشيخ ـ يتمتّعون بحرية كاملة، لهم طقوسهم... لهم عباداتهم... لهم كتبهم، وفي منازلهم يصنعون الخمرة، يعني أنَّ بإمكانهم أن يصنعوا الخمرة في منازلهم، وأنّهم كسائر المواطنين الإيرانيين عليهم نفس الواجبات ولهم نفس الحقوق.

العقول المتنورة في مجتمع الثورة الإسلامية (استفسار)

الاب الدكتور مونس، أستاذ جامعي وعميد معروف

السادة الحاضرين، لن أطيل عليكم، لكن حديث آية الله كان «كالنبيذ» لطيف، ولو كان ذلك محرماً في كتاب الله، آية الله صدقني سمعتك بكثير من النشوة، وشهادتي فيك أضيفها لشهادة الأب نعمان وسيدنا الزغبي بالحقيقة أنّ الصورة التي أعطيتها هي غير الصورة المعروفة، التي هي في أذهان جميع الناس.

أنا أستاذ علم الأديان في الجامعة وعلم الاجتماع الديني، لم يقرأ رجل ديني قراءة كتابه الديني بهذا الوضوح وبهذا النقض وبهذه الصراحة وبهذا العقل وبهذا الإيمان وبهذه المحبة، شكراً لهذا الفكر المنّور. اسمح لي يا آية الله أن أقول خوفي، أنا أخاف من رجال الدين عندما يتكلمون في الدين، كما يقول نابليون: «الحرب شيء صعب لايمكن أن تعطى للعسكر يجب أن تعطى للمدنيين»، الدين شيء صعب يجب أن لايعطى لرجال الدين للتكلم به، لكنّك قلبت الآية الكريمة يا آية الله، فشكري العميق لما قلت.

سؤالي هو التالي، كم من العقول المنوّرة في مسارك تقرأ كما تقرأ سماحتك؟ هل هذه حالة جامعية أكاديمية، أم أنّك... منفرد، رائد، متطلّع، جريء، تُقدم ـ كما قال الاباتي نعمان ـ بكتاب بولسي كأنّك كربلائي جديد، فقلوبنا معك ولو كانت سيوف الآخرين عليك؟!

ما علاقة الدين بالوحي؟

و سؤالي الثاني، هو التالي: ما علاقة الدين بالوحي، الدين فعل صاعد من الذات نحو الله، والوحي عطية ـ كما قلتم ـ مجانية من الله إلى الإنسان، أي يمكن للإنسان أن ينتج ديناً، لكن صعب عليه أن ينتج وحياً، الوحي هو ما تقول عنه الديانات السماوية الثلاث لايقرأ إلاّ من فوق، الدين يقرأ في المجتمع، وهو علّة للتحوّلات الاقتصادية والنفسية والسياسية والعسكرية والتاريخية، علينا كي ننقذ الدين أن نبتعد عن الخلط بين قراءة الوحي الهابط من فوق إلى المجتمع بين قراءات الجلية تخلط أحياناً بين عواطفنا وبين قراءاتنا التاريخية.

التنوّر اتجاه كبير (توضيح)

الجواب :سيدي شكراً، أن أكون كربلائياً فلي أعظم الفخر، فكربلاء بقعة سالت عليها دماء أعظم شهيد، وظنوا أنّهم قتلوا الحسين، ولكن الحسين قتل ألف يزيد وقتل ألف ظالم، وتبقى كربلاء خالدة خلود الفكر والعطاء. أن يفكر كل المسلمين كما أفكر فلا أدّعي ذلك، أن تفكر الأغلبية كما أفكر لاأستطيع أن أوكد ذلك، ولكن أن أتفرّد أنا أو بعض زملائي فهذا غير صحيح، هناك اتجاه كبير بهذا المنحى، فيكفيكم أن تعلموا أنّ القائد الإمام الخامنئي مطلع على كل تفاصيل هذه الأمور، وهو أستاذي في ذلك ويشجعني، كما وأنّه مرجع من مراجع المسلمين الكبار، لقد طالع كل وثيقة القاهرة بنفسه ـ رغم كل مشاغله ـ قلت له إنّ دولاً رفضت مناقشة هذه الوثيقة وقالت إنها ظالمة ومنحرفة، فقال: وهل نريد أن نسير على طريق الجنة؟ يجب أن نمشي على طريق الاشواك ونصلح الطريق، نبدأ ونقول كلمتنا فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها.

أنا أعتقد أنّ الكثيرين يفكرون كما يفكر هذا العبد، وأعتقد أنّ هناك الكثيرين ممّن يعملون على دعم القضية الدينية في العالم، يسعون لتحريك ما قلت، وأودّ لو كثر أمثالي وكثر أمثالك في العالم المسيحي والعالم الإسلامي، فحبذا لو صعدنا إلى أوج (عليّ) حين يقول: «الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١].

علاقة الوحي بالدين (إجابة)

أمّا العلاقة بين الوحي والدين فأعتقد أنّ علينا أن نعرف الوحي أوّلا، ثم نعرف الدين ثانياً، ثم ندرس العلاقة بينهما. ما هو الدين؟ هل الدين هو تنظيم للحياة الفردية، أم أنّ الدين هو نظام جامع للبشرية، يقود جموعها نحو التكامل؟ وما هو الوحي؟ هل الوحي عملية اتصال بين الله والإنسان تقول له عن أشياء عقلية مجردة؟ لقد عاش الكثير من المسيحيين فى فترات الضعف، يفكرون في أمور لاهوتية لايتصل بعضها بالواقع؛ وكذلك عشنا نحن المسلمين نفكر فى أمور لاتتصل بالواقع، نزاع طويل عاشه المسلمون أيّام الخليفة العباسي

---

١) نهج البلاغه، ج٣، ص٨٤.

المأمون حول «خلق القرآن»، هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ كم قتل وكم سجن بسبب جدال لافائدة منه، البعض قال: القرآن مخلوق، والبعض قال: القرآن هو كلام إله وهو غير مخلوق، ما علاقة هذه الحالة بعلاء الإنسان؟ لنفترض أنّه مخلوق أو أنّه غير مخلوق، ما الفائدة التي نرجوها من هذا الجدل.

الدين هل هو ايحاء أفكار مجردة بعيدة عن الحياة، أم هو صياغة أيديولوجية حياتية للإنسان يسير عليها نحو التكامل؟ مانفهمه من الدين أنّه صياغة للحياة، وقد قلت لكم أنّ الآية القرآنية تقول: {❐◆⬩♐⬩◗⬩⑨⇳ ✍♦➔⍓♰⬀☪◆✍ ✗⍣❼ 🖹➔✍♏⬀ 🕮⬆✌☐◻🖮 ❻▪☙⬅◻⬩🕓}[1] (نـــــــداء الرســـــــل)، {🕮❐♍ ✃✍⇱⇳⌛⬅⑨⬅❐✃☎ ✃✍🖉⅄ ❐◆✃✍♉⇳✌♦♈⍣🖮⬅◻✃☎ ✃✍♐➲⅄🕓⇔⬈◻☠✿}[2] اقيمـــوا دين الله في الأرض وقفوا ضد الطاغوت وكل مظاهر الطاغوت، الصنمية والرجعية الحجرية، أنا أعتقد أنّ الوحي يعني إعطاء الإنسان ما يسير به نحو كماله.

قلت: إنّ الدين لطف إلهي، يوحي الله به للإنسان ليرسم له طريقه، إنّ الإنسان له نوازع تجري كالسيول، هذه المياه لو تركت كما هي لفاظت وحطمت، أو لقلّت وعطش الإنسان. يأتي الفكر فيقول: نضع سدّاً فتجتمع كل هذه المياه خلف هذا السّد، يقف على هذا السّد إنسان متحكم، يجمع المياه حينما لاتكون هناك حاجة إليها، ويعطيها حينما تكون هناك حاجة إليها. إنّ العقل هو الذي يقف على السد يستوحي معلومات من فوق، توضح له هكذا افعل وهكذا لاتفعل، تعطيه الخطة؛ الإنسان أعطي من قبل الله ارادة وأعطي عقلا ينمّي هذه الإرادة ولكن هذا العقل قاصر لايكتشف كل الحقيقة، يأتيه الوحي فيعطيه عقلا الهياً، ينزل إليه صورة كاملة للحياة تساعد هذا العقل في توجيه الإرادة، لتنظيم

---

١) النحل، ٣٦.

٢) النحل، ٣٦.

عمليـة تنفيـذ إرادة هـذه الغرائـز فـي السـلوك الإنسـاني. أنـا أعتقـد أنّ الـوحي الحقيقي، الذي هو نطق الهي، هـو الـوحي الـذي يرسـم للإنسـان مـايخطط فيـه حياته، وليس وحياً عقلياً فلسفياً مجرداً، وحينئذ إذا كان الـوحي هـو هكـذا، وإذا كان الدين يعني تنظيم الحياة، فأعتقد أنّ الـدين هـو الحصـيلة الطبيعيـة للـوحي وشكراً.

بيروت
ملتقى الأديان والمذاهب والثقافات[1]

جئتك يا بيروت، ويا كل لبنان

أحمل منجلا، منطاداً مبتور الجناح، بدراً تعلّقت به نجمة مسحورة

نعم جئتك أحمل علامة استفهام كبيرة لقد طلبوا مني أن أتحدّث عنك كملتقى: والملتقى قد يكون افقياً تلتقي فيه الحضارات المتعاصرة، وقد يكون عمودياً يلتقي فيه الحاضر والماضي والمستقبل وأنت على كلا المعنيين كذلك وحينئذ، فلست أدري من أين أنطلق؟ أأبدأ بداية أدبيةً والشعر حوار الإنسان أنت يا معشوقة الأدب والشعر، مسرحه ومنبعه.

لقد وقف عندك أمير هائم ليقول:

إذا شئت تصابرت	ولا أصبر إن شيت
ولا والله لايصبر	في البريّة الحوت
ألا يا حبّذا	حمت لقياه
شخص	بيروت

و نادى ابن خراسان (أحمد بن الحسين بن حيدرة الطرابلسي)

---

١) ألقي في الاحتفال الذي أقامته جمعية أدبية لبنانية في بيروت بمناسبة انتخابها عاصمة للثقافة العربية، بتاريخ ١٩٩٩/١١/٢٤.

وان جهلت جهّال قومي فضائلي فقد عرفت فضلي مَعَدٌ ويعرب
ولاتعتبوني إذ خرجت مغاضباً فمن بعض ما في ساحل الشام
وكيف التذاذي ماء دجلة معرقاً يُغضَب
و نادى شاعر المهجر: وأمواه لبنان ألذ وأعذب
وطن النجوم أنا هنا
أنا ذلك الولد الذي حدّق أتذكر من أنا
ولكم تشيطن كي يقول دنياه كانت هاهنا
الناس عنه
تشيطنا

كلا فالمراد أن أعرض صورة تاريخية فكريةً لك يا ملتقى حوار الحضارة والسلام والوحدة فلنتّجه إذاً صوب المراد.

و عندما أتوجّه إلى تاريخك العظيم أجدك في العصر المسيحي كرسياً اسقفياً، تعجّين بالقساوسة والكرادلة والرهبان وتنشرين الروح والحنان...

و جاءك الفتح الإسلامي بالخير وأعطاك الوجه المشرق فتحوّلتِ قاعدة كبرى للدعوة الإسلامية تتخذين طريقك في البحر سرباً، وفي البرّ لاحباً حيث المعمورة تعلنين كلمة الله، وترفدين الجائعين بالمعارف الإلهية السامية.

و انطلقت قوافل العلماء شرقاً وغرباً

فها هي قافلة تنبعث إلى فارس وغيرها تضمّ عشرات العلماء من مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وفيهم ألمع نجوم العلم.

كالشهيد الأوّل الشيخ محمد بن الشيخ جمال الدين مكي العاملي الجزّيني.

الرجل الذي الّف أروع الكتب الفقهية في سجنه. وعلّق عليه الشهيد الثاني العاملي أيضاً بكتاب هو اليوم محور الدراسات العلمية في الحوزات الشيعية وفيهم المرحوم الشيخ البهائي العقل المفكّر الكبير الذي لم يكتشف عمقه بعد.

أجل وفيهم الكثير الكثير.

ولقد قام الإمام محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى سنة ١٠٣٣ بإصدار

كتابه العظيم «أمل الآمل في علماء جبل عامل» ليحصي علماء عامل في القرن السادس الهجري وما بعده.

إلّا أنَّ المرحوم السيد محسن الأمين يؤكّد أنّه كان هناك علماء كبار قبل هذا القرن وقد ذكر المرحوم العاملي أنَّ أحد المؤمنين توفي فسار خلف جنازته سبعون مجتهداً وكان ذلك في عصر الشهيد الثاني.

و ذكر صاحب (روضات الجنات): «إنّ مدينة جزين خرج منها ما يقرب من خُمس علماء جبل عامل رغم أنَّ مساحتها لاتتجاوز عشر العشر من المنطقة»[1].

أمّا الحديث عن الإمام الاوزاعي(رحمه الله) الذي سطر له التاريخ دفاعه عن أهل الكتاب دفاع واع رشيد، وكذلك الإمام الوليد بن مزيد العذري البيروتي وغيرهما فهو واسع الأبعاد ولانستطيع أن نحيط به.

لقد كنت مسرحاً للعلماء وملهمةً للمفكرين من مختلف الديانات والمذاهب. ولقد مرّت القرون والمسيحيون والمسلمون سنةً وشيعةً يتعايشون بسلام،قد يختلفون إلّا أنَّ المثل العليا هي فوق الاختلاف.

حتى شهدنا أخيراً لقاء جمع المسلمين والمسيحيين في ١٤ حزيران ١٩٩٦ التحم فيه مجلس الكنائس العالمي، رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الدعوة الإسلامية، وجمعية الحوار بين الأديان في روما، وعلماء الشيعة الكبار ليعلنوا وقوفهم بوجه الجرائم التي ترتكبها اسرائيل بحق المقدسات الإسلامية المسيحية، وأنّهم سيكونون جميعاً صوت القدس الواحدة، وأنّ القدس مرتقاهم إلى السماء هم مولودون منها بالروح وشاخصون إليها بالحب.

هل اركز على ما سبق أم أُركّز على بعدك الاجتماعي لالمح الشعوب تتعاقب: الاكاديون، والكنعانيون والفينيقيون والاموريون والاراميون والحثيون

---

١) روضات الجنات، ج ٧، ص ٤.

والعبرانيون والكلدانيون والاشوريون والفرس والمصريون والانباط واليونان والايطوريون والرومان والموارنة والأرمن والسريان واللاتين والعرب المسلمون ومنهم الهمدانيون الذين حملوا معهم الولاء لأهل البيت(عليهم السلام)؟

وصدرك الرحب يضم كل الشعوب ويسحرها ويصهرها، اخوةً في الدين والوطن والهدف الأسمى يطبعهم التسامح بطابعه والأصل عندهم التعايش بسلام، بل والتآخي المتأصل في النفوس.

و يحدثنا كتاب «لبنان» الشهير عن العادات الاجتماعية، فيقول:

«و طالما سمعنا من آبائنا ومن تقدّمهم أنّ الأصحاب والجيران يحافظون بعضهم على بعض في أيام الوقائع التي تحدث بين طوائفهم المختلفة أو أحزابهم، ولايغدر أحدهم بالآخر بل يحمي عرضه ودمه، ويحافظ عليه محافظته على نفسه ممّا يدل على طيب الأعراق وكرم الأرومة ولاسيما عند الدروز المعروفين بآداب الصداقة وشهامة النفس، وإذا تآخى اثنان أو أكثر ولو من طوائف متباينة توارث أولادهم تلك المودة فيبقون على عهود أسلافهم مهما حدث بينهم من الضغائن الجديدة، وهي عادة غريبة فاشية في لبنان الجنوبي خاصة وكثيراً ما يقول الواحد منهم للآخر أخي وابن عمي مع تباين النسب»[١].

و حق ما قيل من أنّه (ليس هناك بلد كلبنان قط امتزجت فيه عناصر الأمم).

واضيف (ليس هناك بلد كلبنان كان فيه المعذَّبون إخوة محبوبين في عين الله).

أما عن الوحدة الإسلامية:

يا بيروت ويا لبنان: فلقد لمعت في سمائك نجوم الوحدة الإسلامية حتى لاتكاد تأفل وهل ينسى المسلمون الجهود المضنية التي بذلها الكبار لتحقيق التقارب بين المسلمين على مستوى العالم الإسلامي ويقف الإمامان الكبيران

---

١) كتاب (لبنان)، ص ٢٠٧.

السيد محسن الأمين العاملي والسيد عبدالحسين شرف الدين في الطليعة.

أما الأمين العاملي فقد دعا إلى تعميم المساواة وآخى بين الناس ورفض التحزّب الضيق المقيت، كما أنَّه خاض غمار حملة اصلاحية ضخمة لدى الشيعة أنفسهم ليصرفهم عن كثير من الخرافات التي علقت بشعائرهم الحسينية، جاهد في سبيل ذلك حتى اعتبره بعض السذّج امويّاً، هذا إلى جانب تعبئته للجماهير ضد الاحتلال الفرنسي.

وكان أجمل تعبير لديه في مسألة النزاع في الخلافة، وهي أهم مسألة بين السنة والشيعة هو قوله: «لم نزل نتخاصم على شرعية الخليفة حتى صار المندوب السامي الفرنسي هو خليفتنا». وقد عارض قانون الطوائف الفرنسي قال مخاطباً المفوضية الفرنسية: «فأنا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان أرجو فخامتكم أن تحيطوا علماً باستنكار الشيعيين عامة لهذا القرار وهذه التفرقة المصطنعة بين المسلمين»[١].

وأما الإمام شرف الدين فهو رجل الوحدة الإسلامية إذ ركَّز على (الحوار الموضوعي) وألَّف كتاب (الفصول المهمة في تأليف الأمة) مبرراً ذلك بأنّه ازهاق لنفس العصبية واعتناء باتحاد التشيع والتسنن، ثم جاء كتابه الرائع (المراجعات) مثالا للحوار الهادئ المخلص.

وها أنت بيروت بالأمس تعقدين مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية لتعلني السير على هذا الخط اللاحب.

كما عقدتِ بالأمس مؤتمراً للحوار بين القوميين والإسلاميين

و قبل ذلك مؤتمر الصرخة المسيحية الإسلامية ضد العدو الصهيوني.

إنَّها الروح السمحاء التي قد لانشهدها في أي مكان آخر.

لقد أعجبني تعبير قائمة (العوائل الكنسية) الذي يعبر عن تجانس اجتماعي ديني بين الكنائس وقد أعدَّ القائمة الاستاذ (الامين العام لمجلس كنائس الشرق

---

١) أعيان الشيعة، م ١٠، ص ٣٧٠.

الأوسط) فعائلة الكنائس الارثوذكسية تشمل:

ـ كنيسة الاسكندرية وسائر افريقيا للروم الارثوذكس

ـ كنيسة الروم الارثوذكس وسائر الشرق للروم الارثوذكس

ـ كنيسة الروم الارثوذكس في القدس

ـ كنيسة الروم الارثوذكس في قبرص

و عائلة الكنائس الارثوذكسية الشرقية التي تشمل:

ـ كنيسة الاسكندرية والكرازة المرقسية للأقباط الارثوذكس

ـ كنيسة انطاكية وسائر الشرق للسريان الارثوذكس

ـ الكنيسة الارمنية الرسولية ـ كاثوليكوسية الأرمن الارثوذكس لبيت كيليكيا

و عائلة الكنائس الكاثوليكية التي تشمل:

ـ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية

ـ كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك

ـ كنيسة الاقباط الكاثوليك

ـ كنيسة السريان الكاثوليك

ـ كنيسة بابل للكلدان

ـ كنيسة اللاتين في القدس

ـ كنيسة الأرمن الكاثوليك

و أيضاً عائلة الكنائس الانجيلية التي تشمل:

ـ السينودس الانجيلي الوطني في سورية ولبنان

ـ اتحاد الكنائس الانجيلية الأرمنية في الشرق الادنى

ـ الكنيسة الاسقفية في القدس والشرق الأوسط

ـ الكنيسة الانجيلية اللوثرية في الاردن

ـ سينودس النيل الانجيلي

ـ الكنيسة الاسقفية بالسودان

ـ الكنيسة الانجيلية بالسودان

ـ الكنيسة الانجيلية الوطنية في الكويت

ـ الكنيسة البر وتستانتية في الجزائر

ـ كنيسة مارجرچبس ـ تونس / قرطاجة

ـ الكنيسة الانجيلية الوطنية ـ البحرين

ـ الكنيسة الانجيلية المشيخية في ايران

إنَّ لبنان يشكّل محور هذه الكنائس الشرقية والغربية كلها، وقد جاء في مقدمة الدليل: «وفي الطريق من فلسطين إلى دمشق دعا المسيح شاوول فلبّى النداء وأغمد سيف الاضطهاد رافعاً راية التبشير والولاء حتى الاستشهاد وفي انطاكية دُعي المؤمنون مسيحيين لأوّل مرة». هذا في الجانب المسيحي وفي الجانب الإسلامي نجد:

الشيعة طائفة واحدة من المسلمين، والسنة طائفة إسلامية واحدة رغم تعدد مذاهبها أيضاً، والدروز والعلويين ثم نجد اليهود باتجاهاتهم ومذاهبهم.

كل هذه المذاهب والأديان الشرقية والغربية وجدت في لبنان وبيروت محلا آمناً تتعايش فيه ونظمت حياتها بشكل يرفع التناقض حتى في كيفية اللبس والأكل والشرب والتقاليد، والأعراف والأعراس، وبالتالي الدفن وأمثال ذلك.

إنّ هذا التنوع الكبير ليكشف عن صدر رحيب وقلب كبير لانجد له مثيلا في مكان آخر.

إنّ المسيحي ليؤلّف في العلوم الإسلامية فيبدع

وإنّ المسلم ليؤلّف في المفاهيم المسيحية فيبدع

وإنّ السني ليكتب في الإطار الشيعي فيبدع

وإنّ الشيعي ليكتب في الإطار السني فيبدع.

وهكذا هي الحياة: تعايش واحترام، وإثراء، هو عطاء للبشرية جمعاء.

يكتب جورج جرداق (الامام علي صوت العدالة الإنسانية).

وينظم بولس سلامة ملحمته عن (الغدير)، ويكتب سليمان كتاني (فاطمة وتر في غمد)، ويجمع المرحوم صبحي الصالح (نهج البلاغة) ويشرحه وينظّم فهارسه، ويؤلّف عبدالله العلايلي عن الحسين×.

وعندما يقف كمال الصليبي على تاريخ لبنان ومراحله ويطرحها بتسلسلها نجد التلاحم بين التاريخين الإسلامي والمسيحي كاروع ما يكون:

يتحدث عن عام ٦٨٠ م / ٦٠ ـ ٦١ هـ

ـ مقتل الحسين بن علي× في واقعة كربلاء في العراق

ـ ثورة عبدالله بن الزبير في الحجاز

ـ تكفير المجمع المسكوني السادس، في القسطنطنية لمذهب المشيئة الواحدة

ـ الانفصال في الكرسي الانطاكي بين الملكية والموارنة

ـ انتخاب يوحنا مارون بطريركاً على الكنيسة المارونية.

ولاننسى هنا قول البطريرك الماروني المارون الياس الحويك عندما بلغه نبأ وفاة السلطان العثماني عبدالحميد الثاني إذ قال بوجوم وحزن:

«لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان الفقيد، ولانعرف ماذا تخبئ لنا الايام بعد موته رحمة الله عليه»[1].

وقد نقل الاستاذ القرضاوي أنَّ الاستاذ فارس الخوري-وهو مسيحي- دعا إلى تحكيم الشريعة الإسلامية بعبارات هي أقوى من عبارات المسلمين.

و روح التسامح مسيحية إسلامية بلاريب.

يقول القرآن الكريم {❀➔⓿☞ ✄✍✍◉♑⬂➔⌂▦⬂❑◆ ❑◆📖▫☜←❺⇔ ✍⬂✍✍◉♑⬂➔⬉❹⇔✍⬂ ❑◆📖❑⬉⇕❷⌘⩔⇔ ⬉◆♊⬂ ✄✍✍💻⬂♑❑⏲♑⬂🖬⬂✓▫⬂}[2] ويقول عن الرسول: (اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون) [3] ويقول الانجيل: «عندما كان بعض القرويين لايستقبلون المسيح اكّد بعض التلامذة على استنزال النقمة عليهم فكان يرفض ذلك» وهذا التسامح ادّى إلى قيام تواصل ثقافي عبر التاريخ بين الفكر

---

١) أوراق لبنانية ـ آب / اغطس ١٩٥٦ ج ٨ ص ٤٠٣.

٢) الأعراف، ١٩٩.

٣) بحار الانوار، ج٩٥، ص ١٦٧.

الإسلامي والفكر المسيحي.

فإنَّ كتب التراث حافلة بذكر التواصل الثقافي مع المسيحية.

فهذا الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ينقل اربعة أنماط من الحوار بين كبير النصاري والائمة(عليهم السلام)، وهذه كتب الشيعة تنقل سيرة السيد المسيح× بشكل مفصل كما في (نهج البلاغة) وما روي عن الامام الصادق×في نصائحة لعبدالله بن جندب، وما ذكره ابن شعبة الحراني المتوفى سنة ٣٨١ هـ في كتابه «تحف العقول» حيث بلغ ١٦ صفحة (و يبدو أنَّه كان أكثر اطلاعاً على المؤلفات المسيحية لأنَّه حراني) ومن أروع ما جاء في وصف المسيح ما قاله الامام علي× في الخطبة رقم ١٥٩:

«و إن شئتُ وقلتُ في عيسى بن مريم، فلقد كان يتوسَّد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر، وظلّه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولامال يلفته ولاطمع يذله دابّته رجلاه خادمه يداه»[1].

و لاتعدم كتب أهل السنة النقل عن هذه السيرة المباركة، فهذا الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) يذكر بعض الكلمات القصار ورواية مفصلة عن السيد المسيح×.

وإن هناك تواصلا ثقافياً وسيعاً بين المتكلمين من الطرفين[2].

والمنطلق الأساس لدى المسلمين هو الدعوة القرآنية لأهل الكتاب كي يجتمعوا مع المسلمين على مساحة مشتركة يقول تعالى: {⬀✍➔🔔

☎✄⬀❑♦♑✍⬜➔♦✍ ⬃⬛🕔♦☝⬁▤⬂♑✍✄ •✍⬃♎❒⬧✵🕔♦③

1) نهج البلاغه، ج٢، ص٥٨.

2) يراجع مقال السيد الداماد حول الموضوع في كتاب «الإسلام والمسيحية الارثوذكسية»، نشر جمعية الصداقة الإيرانية ـ اليونانية، ص ٦٧.

🙰◆☾☐✡⬀❹⧫📪 ◎⬈✏✂◆❑⍓♒ ⌨◼⍓☺⍨🖬•🗎 🗐❼■🖫⍨☽
⅄✏🙰✂ ⬩⬥⍨☽ ⍓⑨🡸⌨⬀➔⧫☼ ⬩⬥❒🕮 ⬁📪📪⬈🗏◆☾⬀❹⧫📪◆❒
⬩⬥◆❒ 🙰ॐ★⬂⓿☒⅄ 🕗♑❍⍨📪 ☒🖰⍨❸⇳⌑➔💧 ⬩⬥◆❒
🙰⌑⌀⬀➔⧫📪 🙰◆☾→⌀⬀➔⧫📪 ☒⓿♑②✸☝⧫③
🕮❒❻⬁📪🙰⧫📪📪🙰ॐ🙰👌♓♑♊ ⑩🡸❒♌⬀ ✂🙰✏★}[1].

و هذه المساحات كثيرة واسعة فالإيمان بالله تعالى ربّاً لهذا الكون وخالقاً ومرسلا الانبياء لهدايته حيث كماله،والإيمان بالفطرة الإنسانية منبعاً ثرّاً لكل المقوّمات التي تهدي الإنسانية لذلك الكمال، والايمان بالشريعة الإلهية التي تنظم الحياة الاجتماعية، والقيم الإنسانية في المجال العائلي، والدفاع عن كينونة العائلة وقيمها،والإيمان بالمستقبل الإنساني الكريم للبشرية حيث المصلح المنقذ المهدي ومعه المسيح يبنيان الحياة المليئة بالعدل والقسط بعدما ملئت بالظلم والجور،والايمان بباقي حقوق الإنسان والدفاع عن المحرومين والمستضعفين، كلها مساحات مشتركة تتحاور حولها الأديان وتسعى للتعاون فيما بينها؛ يقول القرآن الكريم: (❒◆👌⧫🙰◉♐⬧🗏⬈📪⬁ ⬩⬥
✍➔☽⬧🕔☝♑🖬➔❑♌⧫ ❼⍨✕ ♒⍓⌛⍨⓿✍⬀ ★✏🙰✂
❒◆✂🙰◉♐⬂☺🡸❍⬄☞⧫⌀⇳➔⍓⊞✓✕⧫ 👌♑⬀☙
✂🙰◉♐❷♒⬖♊⍓🔔✌⬁ ❒◆✂🙰◉♐☼♓♑❍✿🙰✏⬈♑
❒◆✂🙰◉♐⬂❑⬀✏⬂🙰⧫🕔♌⬀)[2]، والكتاب المقدس يؤكّد «الرب يحكم للمظلومين، يحكم لصالحهم»؛ ثم الاتفاق على مقاومة العدو الصهيوني الغاصب، ورفض ادعاءاته الباطلة من أنّه «شعب الله المختار» يقول القرآن الكريم: {🔔➔✍⬁ ③⧫🕔✵🕯❒⑨☙&◼🙰 ✂🙰✏⅄🔔♑⬄▫☙
♎⍓🙰⑩🡸❒⊞✂☎ ☽⍨♌ ♾⍓⬉⧫☺⇳☞🡸💣⇳ 🕮❒☼✵🗏⬈☠⬁

---

١) آل عمران، ٦٤.

٢) النساء، ٧٥.

[illegible][1]، ويقول الانجيل: «الله قادر على أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم» فالمعيار هو طاعة إبراهيم وتبعيته {[illegible]}[2].

ولكن هل انتهت تساؤلاتي؟ يا بيروت

كلا فهناك علامات استفهام كثيرة في حياتك

ترى يا بيروت!

هل مرّبك المسيح ليقدسك؟ وما معنى الوصف المقدس لشخصيته الكريمة بأنّه كان فتىً كالارز وأنَّ طلعته كانت كلبنان؟

و ما هي أسرار الهجرة إلى أنحاء الأرض؟ وماذا تركته من أصداء؟ وهل غيّرت ثقافتها ام انصهرت في تلك الثقافات؟

وما هي أبعاد الهجرة العلمية إلى ايران وآسيا الوسطى والهند والباكستان؟

حيث يروي المرحوم الحر العاملي «ان الشيخ عبد النبي بن احمد العاملي النباطي كان فاضلا جليلا فقيهاً معاصراً قاضياً في حيدرآباد (الهند)»[3].

و ما هي قصة الصحابي الجليل ابي ذر(رضي الله عنه) ومشهدية المنسوبين إليه في (الصرفنة الساحلية) و(ميس الجبل) فهل حل هذه الديار وبنى أسس التشيع لعلي×؟

و ما هي قصة هجرة قبيلة (همدان) إلى هذه البلاد؟

و ما هي قصة المدارس العلمية الكبرى في جبل عامل؟

---

١) الجمعة، ٦.

٢) آل عمران، ٦٨.

٣) روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٧٣.

و ما هي قصة المقاومة-وهي أروع ما تكون- ضد العدو الغاصب؟

إنَّها وغيرها من مئات الأسئلة ما زالت مبهمة يضمّها صدرك الكبير ذو الأسرار فحدثينا ونحن الساعون للاستماع وكلنا إذن واعية.

ايه بيروت يا ذات الربيع الثر الدائم وأنت تلبسين حلة جديدة فأنت عاصمة الثقافة أمس واليوم وغداً تواصلين أمسك المفعم بغدك المشرق.

ايه فاتنة الدنيا... كم راق لسعدي الشيرازي أن يناجي طيفك بترانيم شعره وأن يحثَّ السير إليك ناصر خسرو (الرحالة العظيم) ليدوّن لنا بكل دقة في «سفرنامته» طولك وعرضك حتى بالأمتار، وبريشته الأحاسيس الجياشة والحب الولهان.

أجدني في ختام هذه الرحلة ما زلت غارقاً في النقطة التي تقع تحت علامة الاستفهام أو تحت بائك الساحرة التي تبارك خالقها أحسن الخالقين فاغرق العالم في جمالها الفتان.

* * *

الفصل الرابع:

العلاقة مع الغرب

تأمّلات في رؤية غربية[1]

تبلورت نظرة الغرب إلى الإسلام عبر مراحل زمنية طويلة، تعددت فيها رؤى المستشرقين والمفكرين والباحثين والسياسيين الغربيين، تبعاً للخلفيات والمداخل المنهجية والدينية والفكرية والسياسية لكل رؤية. وعلى الرغم من تعدد هذه الرؤى، إلّا أنَّها تتفق، غالباً، على جملة من المبادئ التي تشكّلت وتكاملت بالتدريج، حتى باتت تمثل وعي الغرب بالآخر، وهو جزء من وعي الغرب بذاته، وفي إطار هذا الوعي منح الغرب لنفسه موقع «الحقيقة» و«القوة» و«المركز» و«العقل» و«التقدُّم»، وأبقى للآخر موقع «التمثيل» و«الضعف» و«الاطراف» و«الجنون» و«التخلّف»، وبالتالي مارس الغرب هذا المنهج في الواقع بأشكال مختلفة، كالغزو العسكري والسيطرة الاقتصادية والهيمنة الثقافية والسياسية والحرب النفسية والاعلامية.

ومن الرؤى المهمة التي طرحت في الغرب، في عقد التسعينات، رؤية المفكر الانجليزي «بيدهام برايان» التي عرضها في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة «الايكونوميست»، خلال عام ١٩٩٤، ولكنها لم تحظ بالاهتمام الذي حظيت به رؤيتا هانتينغتون في «صدام الحضارات» وفوكوياما في «نهاية التاريخ»، على الرغم ممّا تحتويه من نظرات لافتة إلى علاقة الغرب بالإسلام؛ وهي رؤية تكشف، في حقيقتها، عن نوع من الإستراتيجية الغربية تجاه التعامل مع العالم الإسلامي وأوضاعه العامة، ولا سيما ما يرتبط

---

١) نشر في مجلة المنهاج اللبنانية، العدد ٢٢.

بمضامين الحضور الإسلامي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية.

مضمون رؤية برايان

يبدأ برايان عرض رؤيته بالقول: «ان الجو السائد في القرآن الكريم هو الجبرية، وان الإسلام ليس إلّا التسليم الجبري للإنسان أمام الخالق». ثم يعقد مقارنة بين نظرة الانجيل ومفهوم القرآن لما يسمّيه بالخطيئة الأولى. ويقول أيضاً: «ان الطبقة التي تحول دون التقارب بين الإسلام والغرب هي طبقة علماء الدين التي تتسلح بالاجتهاد الحرّ لتقرير المواقف العامة».

ويعقّب على ذلك بقوله: «انّنا لو نظرنا إلى القرآن فسوف لن نجد سوى ثمانين آية تشير إلى النظم العامة، وغالبية هذه النظم ليس لها تأثير يذكر في مسيرة الحضارة الان». ثم يدعو الذين يؤكّدون على التقارب بين الإسلام والغرب إلى رفع احتكار الفقهاء للاجتهاد، وتعميمه للجميع، ليكون لكل فرد قراءته الحرة للقرآن. ويضيف: «واجب كل مسلم النظر إلى المستقبل، ولا يمكن للأمة الإسلامية أن تتقدم إلَّا بازاحة علماء الدين وتعميم الاجتهاد على كل الافراد». كما «أن الإسلام إذا أراد دخول عالم الديمقراطية فإنَّه بحاجة إلى الاصلاح».

وهنا يعقد مقارنة بين وضع العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري ووضع أوربا في القرن الخامس عشر الميلادي، ويرى أن كلا الوضعين متشابهان في توافر الارضية المناسبة للاصلاحات، وفي نوعية المؤسسات الدينية لدى المسلمين السنّة حالياً ومؤسسات الكنيسة في القرن الخامس عشر الميلادي، وفي مستوى اليأس لدى المسلمين اليوم والأوربيين آنذاك، وفي التشوق لتحسن الأوضاع.

ويتحدّث برايان عن عامل آخر له أثره في تحقيق الاصلاحات، ويتمثّل في العامل الخارجي الذي يحرّك الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكّل فيه المسلمون العامل الخارجي المحرّك لتطوير أوربا حينها، فإنَّ الغرب اليوم هو عامل دفع العالم الإسلامي نحو التطوّر والتقدّم. ويطرح هنا اشكالية حول الزمن الطويل الذي استغرقه التحول في أوربا، إذ يقدَّر بمئة وخمسين عاماً،

بينما لا يستطيع العالم الإسلامي اليوم أن ينتظر مثل هذه المدة. ويجيب على هذه الاشكالية بأنَّ التحوّلات اليوم تطرأ وتؤثر بسرعة، فلا يحتاج الأمر إلى هذه المدة الطويلة، ولكن من أين يبدأ التحرك؟

يرى برايان أنَّ التحرك يبدأ من الإسلاميين المحررين الذي يؤمنون بالديمقراطية، ولا بدَّ من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، ولكنه يعترف بأنَّ القسم الأعظم من العالم الإسلامي اليوم على أعتاب الدخول في أزمات سياسية كبرى تخلق جواً من القلق وتداخل العلاقات، وعلى الغرب أن يتحمّل هذه التحوّلات، إذ يعتقد أنَّ الغرب إذا أراد أن يحرك التحوّل في العالم الإسلامي، فعليه أن يدخل في نظمه (أي في نظام الغرب) هو أيضاً مسحات أخلاقية واجتماعية، يعبَّر عنها بالميول نحو اليسار الجديد، كما يشير إلى أنَّ ابتعاد الغرب عن الاعتقاد بالآخرة هو سبب الكثير من مشكلاته، ولذلك يدعو الغرب للعودة، ولو قليلاً، للاعتقاد بالآخرة، ليكون أقرب إلى المسلمين.

وهنا يطرح برايان هذا السؤال: هل هناك بين الإسلام والغرب حرب محتومة؟ هذا السؤال أجاب عليه «هانتينغتون» بالايجاب في نظريته المعروفة بـ «صراع الحضارات». لكن برايان يرفض هذه النظرية حاذفاً من أطراف الصراع كل ما عدا الغرب والكونفوشيوسية والإسلام، معتبراً أن الاطراف المحذوفة لا تشكل حضارات أخرى.

أما الكونفوشيوسية فهي، كما يقول، غير مؤهلة لتقديم بديل حضاري للعالم، فيجب حذفها من الصراع، وفرض الصراع بين الغرب والإسلام، ولكنه يعتقد أنَّ الصراع بين الإسلام والغرب غير محتوم، رغم ما يعبّر عنه بالعنف الإسلامي، هنا وهناك، وكذلك تاريخ الصراع العنيف بين الإسلام والغرب، تارةً بالهجوم الإسلامي على الغرب حتى وصل إلى «بواتييه»، وأخرى بالهجوم الغربي على الإسلام حتى احتل الكثير من المناطق الإسلامية، فعلى الرغم من هذا التاريخ إلَّا أنَّ نوع الصراع غير مؤكد. ويفسر ذلك بأنّه رغم الاختلافات العقدية بين المسلمين وبين الغرب المسيحي، فإنَّ هناك أرضية

مشتركة يمكنهما أن يتحاورا عليها، ويرى أنّ الدين نفسه لا يسوّغ الصراع الماضي، ويضيف: انَّ هذين الطرفين يمكنهما أن يتعامل أحدهمامع الآخر، حتى الثوريون في ايران يمكنهم أن يتعاملوا مع الغرب بحكمة.

ثم يوجّه اهتمامه إلى شمال أفريقيا، معتقداً أنّه قد تقوم فيها نظم معادية للغرب، فتقف في وجه هذا التقارب. ويبدي حساسية خاصة من هذا الاحتمال.

وبعد هذا يوجّه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاث لكي يتأهل للتعامل مع الغرب والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة:

الأولى: الانسجام مع الاقتصاد الحديث.

الثانية: القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

الثالثة: العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم فيه.

وقبل أن يشرح هذه التوصيات الثلاث يركّز على ما كان يجري، آنذاك، في الجزائر من زاوية نظرته الغربية، ويؤكّد ضرورة التدخّل الغربي في الصراع في الجزائر، ويتخوّف كثيراً، من عواقب الانتصار الإسلامي هناك.

وحول قضية الصحوة الإسلامية، يطرح رأيين متعارضين: أحدهما متفائل، وخلاصته أنَّ قيام النظم الإسلامية قد يوجد هجرة جماعية للغرب وجواً من القلق، ولكن هذا الجو القلق سوف ينتهي بسلام، أما الرأي الثاني فمتشائم، ومفاده أنَّ قيام النظم الإسلامية يعني احتدام الصراع، وبالتالي تحقق نظرية «هانتنغتون».

بعد هذا، يرى أنَّ على الغرب أن يغيّر الكثير من فرضياته، وعلى المسلمين أن يعيدوا النظر في التعاليم التي رُويت عن الرسول محمد ’ قبل أربعة عشر قرناً، ليروا هل يمكن أن تؤثر هذه التعاليم في القرن الواحد والعشرين؟ ثم يعود إلى توصياته السابقة ليطرحها بالتفصيل.

فحيال المسألة الاقتصادية، يشكك برايان في وجود نظرية اقتصادية إسلامية، ثم ينتهي إلى أنّ الإسلام يعتمد النظم الفردية، وأنَّ الاقتصاديين المسلمين يعتقدون بلزوم تحديد دور الدولة في الحياة الاجتماعية، ويقول: إنّ

الفكرة السائدة هي أنَّ المسلم يجب أن يتوخّى العدالة، مثلاً، في أن يقوم الإنسان بتبديل مزرعة للحنطة إلى مصنع للكامبيوتر، ولكن كيف يمكن أن نعرف رأي الإسلام في هذا التغيير؟!

ويعود ليوصي النظام الرأسمالي بشيء من الانضباط الأخلاقي، الأمر الذي لم تستطع أن تحققه الماركسية بانقلابها على النظام الرأسمالي، ثم يشير إلى نظام الزكاة فيعدُّه نظاماً تبرعياً، ولذلك فهو لا يحل المشكلة، ويقول: إنَّ الزكاة في عصر الرسول كانت تركّز على المعادن والزراعة، وتوسَّعت بعد ذلك، ولكن هذا النظام من الضرائب لا يمكنه أن يواجه احتياجات اليوم، أما الربا، فيرى أنَّ تحريمه شيء مفيد، وإن كانت الآراء في العالم الإسلامي، كما يدَّعي، تختلف في مسألة الربا، فقد أحلها «الطنطاوي»-شيخ الازهر- في بعض الحالات ورفضها من عداه في جميع الحالات.

ويميل برايان إلى مثل هذا الأسلوب، ويوصي البنوك الغربية باعتماده نوعاً ما، ولكنه يُشكل على هذا بالقول: إنّنا إذا لم نكن نطبق نظام الربا فكيف يمكن السيطرة على التوازن في عرض المال.

هذه المسألة هي المسألة الأولى، التي يتلخّص رأيه فيها بعدم امتلاك الإسلام نظاماً اقتصادياً، وإنّما يملك بعض التعليمات العامة التي يمكن بشيء من التحوير وشيء من المرونة الغربية، الجمع فيها بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الحر.

أما في مسألة مساواة الرجل والمرأة؛ فهو بعد أن يقدّم شرحاً تفصيلياً لوضع المراة اليوم، يقول: إنَّ السلوك الإسلامي، اليوم، لا يمتلك جذراً قرآنياً، وإنّما خلقته التفسيرات الذكورية للقرآن، وقد يبدو أنَّ القرآن يقوم بنوع من التفرقة بين الرجل والمرأة، ولكن هناك طريقاً مفتوحاً لتفسيرات جديدة، ويدعو العالم الإسلامي إلى تجديد النظر في الاحكام القرآنية التي تقول بالتفرقة بين الرجل والمرأة.

وآخر بحث يطرحه هو المسألة الديمقراطية، ويراها المانع الأكبر لتقارب العالمين: الإسلامي والغربي؛ وذلك لأنَّ سبعة بلدان فقط من مجموع ثمانية

وثلاثين بلداً إسلامياً لها نظم ديمقراطية، وما عداها يحكم بالحديد والنار والديكتاتورية.

ويرى أنَّ العالم الإسلامي، إذا أراد أن يصل إلى الانموذج الغربي، عليه أن يعمّم الديمقراطية في أرجائه جميعها. أمَّا التمسك بنظام الشورى فهو لا يقوم بالدور الذي تقوم به الديمقراطية.

هذه هي خلاصة رؤية الباحث الغربي برايان حول منهج التقريب بين العالم الإسلامي والعالم الغربي؛ وهي توضّح، تماماً، التخطيط الغربي الواسع لتحقيق نظم العولمة المطروحة اليوم، ليس على الصعيد الاقتصادي وحسب، وإنَّما على الصعيدين الثقافي والسياسي أيضاً.

ملاحظات على رؤية برايان

نجمل مداخلتنا على رؤية برايان في جملة من الملاحظات هي:

الأولى: أنَّ هذا التصوّر الذي يذكره الباحث يعتمد النظام الغربي، اليوم، أصلا يحتذى به بين الأمم، ويطلب من الأمم الأخرى أن ترتفع بنفسها ونظمها، كما يدّعي، حتى تصل إلى هذا المستوى الذي يراه أصلاً.

والحقيقة أنَّ برايان يتغاضى عن المساوئ الكثيرة التي يحملها النظام الغربي، وذلك على الرغم من اشارته إلى بعضها؛ إذ أنَّ النظم الغربية تفتقر، عادة، إلى المعاني الإنسانية والاتجاه الأخلاقي، بل وتفتقر، أيضاً، إلى الحالة الاجتماعية المتعاضدة. والأغرب من كل شيء أنَّه يدَّعي أنَّ الماركسية جاءت لتقيم نظاماً اجتماعياً أخلاقياً، ولكنها أخفقت في ذلك. والحقيقة أنّ الماركسية كانت تعاني من الداء الذي ابتليت به الرأسمالية والنظام الغربي اليوم، ألا وهو المادية في التصوّر وفي النظرة؛ إذ تصوَّرت أنَّ النظام الرأسمالي، بتشريعه الملكية، أوجد هذه التناقضات والآلام والآثار الاستعمارية جميعها، ونسيت أنَّ داء النظام الرأسمالي ليس بقبوله الملكية، وإنَّما يكمن في الاتجاه المادي الذي يحمله.

ولمّا كانت الماركسية تحمل الاتجاه المـادي نفسـه، فقد ابتليت بـالأعراض نفسها، كما ابتليت بالحالة الاستعمارية والتوجُّه السلطوي؛ حيث كانـت الطبقـة، هنا، تقوم مقام الفرد في النظام الرأسمالي، فتظلم بـاقي الطبقـات وتسـتأثر بهـا. وبشكل عام يمكن الاشارة إلى ألوان من مساوئ النظـام الرأسـمالي، أو النظـام الغربي، كالتدنّي الأخلاقـي والتفكّك الأُسـري وشـعور الفـرد بالوحـدة، وتفشّـي حـالات الانتحـار. والأسـوأ مـن كـل شـيء، اسـتمرار مجـالات الهيمنـة علـى الآخرين، وهـو الـداء الـذي تعبّـر عنـه «العولمـة» اليـوم، والتـي تعنـي هيمنـة الوضع الاقتصادي الغربي على الوضع الاقتصادي العالمي، والوضـع الثقـافي الغربي على الوضع الثقافي العالمي، والوضع السياسـي الغربـي، أيضـاً، علـى الوضع العالمي. ومن هنا فإنَّه حـري بنـا أن نسـمّي العولمـة بــ «الغربنـة» أو «الأمركة».

والغريـب أنَّ الباحـث برايـان ينصـح الأمـة الإسـلامية بالتبعيـة (السياسـية والاقتصـادية والثقافيـة) للغـرب حتـى يمكـن تحقيـق التقـارب المطلـوب. هـذه هي النقطة الأهم في رؤية برايان. وغريب، أيضاً، أنَّ يرى أن العالم الإسلامي الذي يعيش في القرن الخامس عشر الهجري بحاجة إلى نهضة شاملة، كما كان العالم الغربي في القـرن الخـامس عشـر الميلادي علـى أبـواب نهضـة شـاملة، ويـرى أنَّ العامـل الخـارجي الـذي حـرّك الغـرب نحـو النهضـة هـو العـالم الإسلامي، وهنـا يـرى أنَّ العـالم الخـارجي الـذي يحـرّك العـالم الإسـلامي هـو الغـرب. فـالغرب إذا عامـل الاصـلاح، وهـدف الاصـلاح هـو الكينونـة وفقـاً للصورة الغربية.

الثانية: أنَّ برايان يوجّه نقده إلى نقطة القوة والحيوية في عالمنـا الإسـلامي المتمثلة بعلماء الدين الذين يصفهم رسول الله’ بـأنَّهم ورثـة الانبياء×باعتبـارهم فقهاء الشريعة وباعتبارهم يمنحون الحيـاة الإنسـانية صـورتها الإسـلامية، بهـم تحفظ الصفة الإسلامية للأمة.

كما يوجّه نقده للمنهج التخصُّصي للفقهاء وهو الاجتهاد ويدعو لسلبهم هذا السلاح الحيوي ـ وهو كما نعلم ـ سر من أسرار المرونة الإسلامية والخلود الإسلامي. لان المجتهد هو الذي يعمل على استكشاف الحكم الشرعي وهو الذي يعمل على تطبيق القواعد واستكشاف حكم الوقائع من الاصول التي لديه، فاذا فقدت الأمة علماءها واجتهادهم المطلوب الذي يحقّق كل الشروط المطلوبة عادت أمة تائهة لاترتبط بأصولها، ولاتعرف منابعها، وهذا ما يريده الباحث برايان، فهو يدعو إلى أن تنفصل الأمة عن ماضيها، وأحياناً يكشف عن ارادته هذه ـ حينما يوصي الأمة بأن تعيد النظر من جديد في كيفية تطبيق تعاليم نزلت قبل اربعة عشر قرناً على واقع متطور متحضر هو الواقع اليوم، أو عندما يقول: إنَّ هناك فقط ثمانين آية تشير إلى الأحكام العملية لتنظيم الحياة، وهي لاتصلح للتطبيق في واقعنا القائم. كل هذه التعبيرات تكشف عن الغرض الأصلى من هذا التنظير، إنَّه محاولة سلب الأمة صفتها الإسلامية، وإبعادها عن دورها وعن واقعها وعن سر إسلاميتها وبقائها واقتدارها. وفي الوقع أنَّ مثل هذا التهديد ينبّهنا إلى مكمن الخطر ويشدّنا إلى عملية تحصين هذا المكمن، وينبّه العلماء إلى دورهم الكبير في الحفاظ على شخصية هذه الأمة، واتصالها بواقعها.

الثالثة: يحاول برايان أن يغير الحقائق، أو يفرض فهمه المغلوط للقرآن الكريم ليبني على أساس منه تصوّرات نظرية، فمثلا نجده يؤكد بأنَّ الجو الغالب فى القرآن هو الجبرية، والإنسان المسلم يشعر بأنَّه، مجبور في حياته وفي مسيرته، مما لايؤهله للتطوير، ولايؤهله للنهضة والاصلاح[1]، وهذا أمر مغلوط تماماً، فالقرآن الكريم يؤكد للإنسان أنَّه يستطيع أن يغيّر نفسه، وأنَّ

---

١) وهذه فكرة كررها الغربيون كثيراً؛يقول الشهيد آيت الله مطهري: (اننا عندما نلاحظ الكتابات الأخرى للغربيين نجدهم جميعاً يرون الاسلام مسلكاً جبرياً) وينقل نصوصاً عن(ديورانت)و(غوستاف لوبون) بهذا الشأن. (الانسان والقدر ص٣٩ من الترجمة العربية)

التغييـــر الإلهـــي يتبــع تغييـــره الـــذاتي {❍◑♑︎·✄ ✍ ⅄ ••

❍⧄☹✸✐▤ ✍♑◑•❏⬀✈✌ ✌♦✍ ③↖⬄♦❷⌘☞❸⬅

③↖⬄♦❷⌘☞❸⬅❒✄☎ ✌♦✍ ✍♑🕯❒☼▦➔❍⬁&✐☠⬀'}.

{❶•🕓◉✂✍⬀⌸⧄ ·♍♑🕯✍ ✄✍⅄ ◉✂•☠⬀ ③♦⌸➔

✌↖⬄♦❷⌘☞❸☪✄ ☼❒✍➔⬃☺⧄❒🕓 📖❒☼⬃➔⧄☺⧄♑⧄✍

⅄♦✍✍❼▤ 🔔•❏⬀✈✌ ❍⧄☹✸✐▤ ③↖⬄♦❷⌘☞❸⬅❒✄☎ ✌♦✍

✍♑🕯❒☼▦➔❍⬁&✐☠⬀}[٢]، فالاتجاه القرآني ـ خلافاً لما يتصور ـ يقرر الإرادة الإنسانية وتقوية الارادة الإنسانية، ولكن في إطار اللطف الإلهي.

و نراه أيضاً يفسّر الإسلام بالتسليم للقدرة الإلهية دون ان يشعر بوجود ارادة حرة، وهذا تفسير مغلوط ايضاً؛ لأن الإسلام يعني التسليم الطوعي للإنسان، للأوامر الالهية باعتبارها الطريق إلى التكامل، وحيال مقارنته بين قراءات الانجيل قراءة القرآن للمعصية الاولى، أو ما يسميّه المعصية التي ترتبط بالحياة الإنسانية، فالحقيقة ان ما نعلمه من القرآن هو أن كل الآيات القرآنية ترتبط ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بالحياة وسلوك الإنسان، حتى آيات الآخرة وآيات التوحيد وآيات العدل الإلهي، فانها كلها تصب في صياغة الشخصية الإنسانية الموحِّدة والعادلة والمتوازنة في سلوكها ومايذهب اليه برايان مغاير للحقائق تماماً وهو الأمر نفسه مع تصوره بأن تعاليم القرآن هي تعاليم انسانية، جاءت لتصلح وضعاً قديماً، في حين أن القرآن الكريم جاء من خالق الإنسان، ليصلح الإنسان، ويعلمه طريق الكمال الوحيد، وينسجم مع فطرته التي لا تتغير مهما تغيرت الاحوال والظروف.

ومن هذا القبيل ما نشاهده من عرض خاطئ ومبسط للاقتصاد الإسلامي، فكأنّ الاقتصاد الإسلامي يتلخص في اتجاهين أخلاقيين، أحدهما: الزكاة

---

١) الرعد، ١١.

٢) الانفال، ٥٣.

التبرعية، والثاني: تحريم الربا، في حين أن الاقتصاد الإسلامي له نظريته الكاملة في توزيع ما قبل الانتاج الإنساني، وفي الانتاج نفسه وتطويره، وفي عملية توزيع ما بعد الانتاج الإنساني، كما أن له تصوراته الكاملة عن أهم عناصر الاقتصاد، ولا ينحصر بما تصوره برايان. كما أن المذهب الاقتصادي الإسلامي يطرح مختلف المشاكل الإنسانية، ويعطي حلوله المتكاملة، فيستوعب الحياة كلها. فأي سلوك اقتصادي في المجتمع لا بدّ و أن ينطبق عليه أحد الاحكام الخمسة، وهذا يعني أنَّ النظرية الاقتصادية الإسلامية- مذهبياً- عامة وشاملة لجميع نواحي الحياة.

أمّا القوانين الاقتصادية والنتائج العلمية التي تكشف ما هو الواقع في الخارج فإنّها أمور ليست من وظيفة الدين، إنَّما على الدين أن يعطي قواعده المذهبية وخطوطه العامة. ومن هنا تصوّر برايان أنَّ المسلمين يمكنهم أن يضعوا نظريتهم الاقتصادية جانباً ليلتحقوا مباشرة بالنظام الغربي العالمي لقاء أن يقوم الغرب ببعض التعديلات الأخلاقية على نظمه. وهذا التصوّر، في الواقع، تصور غريب جداً، ينطلق من فكرة العولمة الاقتصادية التي أشرنا إليها.

الرابعة: أنَّ برايان يقدّم أحيانا اعترافات مفيدة، فيقول مثلاً: ان كثيراً من النظم القائمة في العالم الإسلامي صنعها الاستعمار الغربي، وهو يتحمل وزرها، وعليه إذا أراد أن يقرّب العالم الإسلامي إليه، أن يتحمّل تغيير هذه النظم الدكتاتورية إلى نظم ديمقراطية. وفي مكان آخر يرى الباحث أنَّ ابتعاد الغرب عن الاعتقاد بالآخرة هو سبب الكثير من مشاكله، ولذلك فهو يدعوه للعودة الى هذه العقيدة؛ لكي يكون أقرب للمسلمين كما يقول: إنَّ على الغرب أن يغيّر الكثير من فرضياته ونظرياته، لأنّها لم تعد تمتلك صفة علمية. ويوصي النظام الرأسمالي بمقدار من الانضباط الاخلاقي والاتجاه الاجتماعي واعتماد سياسة اليسار الجديد، أي الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية. وبالنسبة إلى الربا فإنه يرى فيه أضراراً كبيرة، ويرى أنَّ تحريم الإسلام للربا هو اتجاه

صحيح يجب أن تحتذيه البنوك الغربية، ويجب أن يأخذه الاقتصاد الغربي بعين الاعتبار.

وهكذا نجد برايان، بين الحين والآخر، يحاول الاعتراف بالحقائق الدامغة من قبيل اذعانه بأنَّ النظام الإسلامي الإيراني هو نظام ديمقراطي كامل.

الخامسة: هناك تركيز كبير، في هذه الرؤية، على أوضاع الجزائر وتخوّف عظيم من التحول الإسلامي فيها، فهو يرى أنَّ أي تحول في هذه المنطقة يعني انقلاب العالم الإسلامي كله باتجاه النظام الإسلامي، ويرى أنَّ الغرب يجب أن يبذل جهده للوقوف أمام هذا التحول الذي يقع لا محالة.

والحقيقة أنَّ الجزائر حالة من الحالات الإسلامية العامة، وأنَّ الصحوة الإسلامية تسري في عروق العالم الإسلامي أجمع، وتضعه على أبواب تحول كبير لاكتشاف ذاته الحقيقية والعودة إليها، واسترجاع هويته وخصائصه الأصيلة.

السادسة: يرى برايان أنَّ المساواة بين المرأة والرجل، في المجالات جميعها، أمر طبيعي انساني، يجب أن تسعى الحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي للوصول اليه.

والحقيقة أنَّ هذا التصوّر مغلوط من أصله، إذ أنَّ الرجل والمرأة يقومان بدورين متكاملين، وكلٌّ منهما يحمل مسؤوليات جساماً، وله حقوق تماثل هذه المسؤوليات. يقول تعالى: {❒◆▭❍●🡐⌶❍ ✋⚇⌖⬀✍⇖ ✁✍✎⅄⍝⚇❽ ⇖◆🖬■❸⬀✍✍⌶❍ ✍✎✎⚇✈▭☼☐➔⬀❹↑❒✎⇖}[1].

إنَّ التصور الإسلامي لحقوق المرأة والرجل قائم على أساس من هذا التكامل، وعلى أساس من مقتضيات الطبيعة التي تشكل الرجل والمرأة. وحينئذ فإنَّ منطق التساوي الكمّي منطق يرفضه حتى الواقع القائم اليوم في العالم

١) البقرة، ٢٢٨.

الغربي. فلا بدَّ من النظر إلى واقع المسؤوليات ومجموع الحقوق، وحينئذ سوف نجد أنَّ الإسلام وضع كل شيء في محله، وأقام نظاماً اجتماعياً سليماً متوازناً. أمّا المفهوم الغربي لحقوق المرأة وحقوق الرجل، والذي يدعو إلى المساواة الكاملة، فهو منطق لا يلاحظ إلى الاختلافات الفيزيولوجية، ولا ينظرالاختلافات الوظيفية في الحياة الاجتماعية، ولا ينظر إلى الأهداف التكاملية الإنسانية. ومن هنا، فإنّنا نرى أنَّ ما أوصى به برايان العالم الإسلامي بإقرار المساواة بين المرأة والرجل، هو توصية في غير محلها، وتحاول أن تقلب الأمور الواقعية والحقائق الطبيعية رأساً على عقب.

السابعة: يرى برايان أنَّ الشورى لا تفي بالمطلوب، وأنَّ الصحيح هو الحل الديمقراطي بمنطقه الغربي. وهذا الأمر، قائم على المنطق الغربي الذي يجعل الدين شأناً فردياً لا علاقة له بالحياة. أمّا المنطق الإسلامي فإنّه يعطي الدين المرجعية الكاملة في الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، ولا يمكن أن ينسجم هذا المنطق مع الفهم الغربي للديمقراطية القائل: إنَّ الشعب هو الحاكم في مصيره وفي تشريعاته وفي كل شيء يرتبط بحياته الاجتماعية.

إنَّ التصوّر الإسلامي يقوم على أساس الهداية الالهية للامة لتحقيق الخلافة الإنسانية عن الله تعالى، وبالتالي، يفسح مجالات معيّنة ليقوم الشعب، عبر نظام الشورى، باختيار الأفضل لتطبيق الحكم الإسلامي، أو لحل المشكلات الاجتماعية الموكَّلة إليه. فالحدود العامة (العقوبات) حدود إلهية، والتطبيقات تترك، أحياناً، للامة؛ لتنتخب الفرد الحاكم، ولتنتخب النظام الأفضل لتطبيق الحكم الإسلامي.

فإنَّ الشورى، إذن، هي الأمثل، وهي الأكثر انسجاماً مع التصوّر الإسلامي للحياة السياسية الاجتماعية، وأنَّ المنطق الغربى منطق لا يقوم على أساس أخلاقي أو ديني أو واقعي متين.

وعلى الرغم من أنَّ برايان يعارض نظرية «هنتغتون» في الصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية، ويعتقد أنَّ التصورين يمكنهما أن يجتمعا

ويتآلفا، فهو يرى أنَّ طريق الحل يتمثّل في أن ينسجم العالم الإسلامي مع الوضع الغربي، وهذا الحل غير الواقعي سيفرز علاقة غير متوازنة، وبالتالي فهي علاقة مرفوضة.

* * *

تساؤلات حول العلاقات
بين العالم الإسلامي والغرب[1]

وردت من الأخ صلاح عبد الرزاق في هولندا مجموعة أسئلة في الفقه السياسي تدور حول موضوعات مهمة وحساسة، حيث إنَّ الأخ السائل في صدد إعداد رسالة ماجستير تحت عنوان: «العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب وتأثيرها على القانون الدولي الإسلامي»، لذا وقع اختياره على الكتاب الأوّل من سلسلة كتاب التوحيد: «الدولة الإسلامية... دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية»، ليكون أحد مصادره في مجال الفقه السياسي، فأثار الكتاب لديه مجموعة تساؤلات ذكرها في رسالته وملخصها:

إنني طالب مسلم في جامعة ليدن بهولندا، أقوم حالياً بتحضير رسالة الماجستير في الدراسات الإسلامية، تحت عنوان «العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب وتأثيرها على القانون الدولي الإسلامي». ويعلم سماحتكم أنّه لابدَّ من ادراج وجهة نظر الفقه الإسلامي التي تتضمن أحكام الشريعة الإسلامية في القضايا المطروحة والمتعلقة بالبحث. وأنّكم خير من يمثّل رأي الشريعة الإسلامية في هذا الزمن المعاصر، ولديكم أبحاث عميقة وآراء قيّمة فيما يتعلق بالدولة الإسلامية.

وإنني أرجو من سماحتكم إبداء رأيكم في القضايا التي أطرحها، كي يمكن

---

١) نشر في مجلة التوحيد الصادرة في قم، ايران، العدد ٨٥، الصفحة ١٥٩.

إدراجه ضمن البحث كمصدر شرعي وأكاديمي.

ولا يخفى عليكم أنَّ الإسلام في الغرب يتعرَّض لشتّى الاتهامات والأباطيل في شتّى المجالات، الإعلامية والسياسية وحتى الاكاديمية التي يفترض بها أن تتمتّع بالموضوعية والمنهجية ألعلمية، بعيداً عن الدوافع والتأثيرات والأحقاد. ولا ريب أنَّ الرَّد العلمي الموثَّق بآراء العلماء والفقهاء، خير رد على تلك الاتهامات، وربما يساهم في عرض المفاهيم الإسلامية والأحكام الشرعية الأصيلة.

والأسئلة المطروحة هي:

١. ذكرتم في كتابكم (الدولة الإسلامية)، أنَّ أحد العناصر الاساسية التي تقوم عليها السياسة الخارجية الإسلامية هو «المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم»[١].

فما هو تعريفكم للمصلحة، وما هي حدودها؟ ومن الذي يقوم بتحديدها؟ وهل يمكن من خلال السعي للمصلحة تجاوز حكم إسلامي أو قاعدة إسلامية؟

ألا تعتقدون أنَّ ذلك يفتح الباب واسعاً أمام خرق القانون الإسلامي، تحت ذريعة المصلحة الإسلامية؟ وماذا يبقى من الالتزام بالشريعة الإسلامية إذا كانت المصلحة مسوّغاً لتجاوزها؟

وإذا كانت المصلحة هي الأساس في التعامل، فما هو الفرق ـ على المستوى القانوني والسياسي ـ بين الإسلام والنظم الوضعية المعمول بها في العالم؟

٢. (نفي السبيل على المؤمنين) أهو هدف تطمح إليه الدولة الإسلامية أم واقع متحقّق في السياسة الخارجية الإيرانية، ومواقفها الدولية ومعاهداتها واتفاقياتها؟ مثلاً هل تستطيع ايران التحكّم بأسعار نفطها أم تلتزم بما تفرضه السوق الدولية ومنظمة الأوبك؟

٣. ذكرتم القواعد الثانوية والقواعد الأوّلية، وأن الأولى تستطيع أن تحكم

---

١) انظر كتاب: الدولة الإسلامية... دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية، الشيخ محمد علي التسخيري، سلسلة كتاب التوحيد (١)، ط ١٩٩٤، ايران، ص ٨٠.

على الثانية.[١] هل تتفضلون بتعريف كل واحدة منها، ودورها في التشريع الإسلامي وتطبيقها في العلاقات الخارجية للجمهورية الإسلامية؟

٤. ايران من الدول الموقّعة على اتفاقية جنيف ١٩٦١ الخاصة بالبعثات الدبلوماسية، والتي تضمن الحصانة للدبلوماسيين وعدم تعرضهم للتحقيق والمحاكم والعقوبات في البلد المضيف. فهل يأتي الالتزام بهذه الاتفاقية ومنح الحصانة للدبلوماسيين المسلمين وغير المسلمين من باب المصلحة الإسلامية، أم الوفاء بالعهد بعد التوقيع عليها أم لغرض تمتّع الدبلوماسيين الإيرانيين بنفس الامتيازات؟

٥. هل يجوز للدولة الإسلامية توقيع معاهدة عدم اعتداء مع دولة غير مسلمة؟ وهل يعني ذلك توقّف الجهاد الابتدائي مستقبلاً، عند من لا يرى وجوب حضور الامام المعصوم؟

٦. يقول سماحتكم: «لا نوافق على قيام الدول المتعددة في دار الإسلام»[٢]، فما الأسس الشرعية التي تعتمدونها في ذلك؟ إنَّ السوابق التاريخية تشير عكس ذلك، فالدولة الصفوية التي كانت تحت إشراف فقهاء الشيعة الكبار، كانت دولة قائمة بحدودها ولها علاقات واتفاقيات مع دول إسلامية أخرى كالدولة العثمانية. ولم يطرح موضوع التوحيد، بل كانت بينهما حروب عديدة. والجمهورية الإسلامية الإيرانية تسري قوانينها داخل الحدود الجغرافية المعترف بها دولياً. كما أنّها تتعامل مع مواطنيها على أساس أنّهم يحملون جنسيتها التي تمنحهم الحقوق والامتيازات، والتي لا يتمتّع بها المسلمون غير الإيرانيين. كما أنَّ دخول الأجانب وحتى المسلمين يتم وفق اجراءات القانون الدولي في الحصول على ترخيصة الدخول (الفيزا) وحمل جواز السفر والاقامة وغيرها. ألا تعتقدون أنَّ ايران لا تختلف عن غيرها من دول العالم

---

١) م. ن.

٢) ن.م.

في ذلك؟ ألا ترون أنَّ الاعتراف بدول إسلامية متعدّدة أكثر واقعية وعدالة وانسجاماً مع الأوضاع الدولية التي تعترف لكل شعب بدولته المستقلة؟

٧. في العصر الحديث، أصبح لكل دولة مؤسسة عسكرية متخصّصة، فإذا كان الجيش قادراً على مواجهة العدوان والانتصار على العدو، فهل هناك حاجة لإعلان الجهاد، الذي يبقى مجرد سلاح يلوّح به لإرهاب العدو، أم يجب استخدامه لتعبئة الشعب كمصدر قوة اضافية؟ وهل أعلن الامام الخميني(رضي الله عنه)الجهاد أثناء الحرب مع العراق؟

٨. ما رأي سماحتكم بانضمام الدول الإسلامية إلى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، والتوقيع على احترام النظام الداخلي لها، وهل يمثّل ذلك الزاماً شرعياً لقبول قراراتها؟

٩. انّ بعض الاتفاقيات الدولية ذات طبيعة تنفيذية داخل البلدان الإسلامية فمثلاً تنفيذ قوانين العمل كتحريم عمل الأطفال دون سن معينة، أو التدخّل في قضايا الأحوال الشخصية، والتجارة والجمارك وغيرها، فهل يجب تطبيقها؟ وما هو المسوّغ الشرعي؟

١٠. العديد من الدول الإسلامية لجأت إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، لفض المنازعات والخلافات سواء فيما بينها أو مع الدول غير الإسلامية، مثلاً تحاكمت ايران وأمريكا لديها.

فهل يجوز التحاكم شرعاً إلى هذه المحكمة، الذي ورد في الآية الكريمة

&❏⇦&🔔⅄✎👓✂ ❼■💾&◗ ♦❷⬧✍ ⬀☠⬧✆❐📖}

☎✂❑⬉✡♦👌✂♦⬈ ⬀☠←♑✵☼❐📖 ♦♌❑←☺⬉⬉⬃❽♦③

✎👓♦👌♦❐ ⍓⌨⬂⓿⬧✆&◗ ♦✌⌘❽☼⬆📖 ✎👓⍓☺&📪

♌❐📖 ♦♌❐←⑨③⌘❷⬉③ ⍓⌨&💾⬀⌛⬧🔔 ♊&👌 ♦✌⌘❽☼⬆📖

❼■💾&◗ ☎✂☑❑←☺☒📪👓⍓⮌♦☞♦③

♌❐📖 ☎✂⊞❐↓❺⮰👎⬆📖 ⇳⑨⬧🔔♦❐ &☠❑⬈⬄🕔⅄⮎✆👓✂

←⑨③⌘❷⬉③♦❐ 🕗&❍&📪 ☎✂❐⬉❷→⊞⬁▤♦③

{[illegible]}[١].

وهل تعتبرون المحكمة الدولية أفضل وسيلة لحل النزاعات، بدل اللجوء الى القوة وشنّ الحروب، انطلاقاً من أنّ رسالة الإسلام تدعو للحق والعدل والسلام أم أنَّ اللجوء إليها يأتي من باب المصلحة الإسلامية واسترداد الحق الذي قد لا يتحقق إلَّا بواسطة هذه المحكمة.

١١. هل يعتبر توقيع الدولة الإسلامية على لائحة حقوق الإنسان ملزماً لها بتنفيذ موادها داخل الدولة، حتى لو كانت تعارض القوانين أو أحكام الشريعة الإسلامية، مثل الحرية الجنسية أو حرية المعتقد التي قد تؤدي الى الرّدة عن الإسلام، أم أنَّ الأفضل أن توقّع على ما ينسجم مع الشريعة وتتحفَّظ على المواد المخالفة؟ وهل كان هناك آراء خاصة بقرارات مؤتمر السكان في القاهرة ١٩٩٤ ومؤتمر المرأة في بكين ١٩٩٥؟

١٢. حدث أثناء غزو العراق الكويت خلاف، حول شرعية الاستعانة عسكرياً بدولة غير إسلامية، ما رأي سماحتكم؟

١٣. انَّ الدول الإسلامية حالياً تعتمد مفهوم المواطنة وامتلاك جنسية الدولة أساساً في منح الحقوق المدنية في العمل والاقامة والوظائف بشكل يتساوى فيه مواطنو تلك الدول سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ففي ايران مثلاً لا يوجد نظام الجزية. أيبقى هناك مكان لمفاهيم وأحكام (أهل الذمة) و(الجزية) أم يجري تطبيق القوانين المدنية التي تساوي بين المواطنين؟

١٤. هل يجوز قتل غير المسلمين أو إلحاق الأذى بسبب خلاف مع الدولة التي ينتمون اليها، في بلدهم أو في البلد المسلم أو في بلد ثالث أو في طائرة أو سفينة وغيرها؟

١٥. هل يجوز اكتساب جنسية البلدان الكافرة والغربية؟ علماً بأنَّ القوانين

---

١) النساء، ٦٠.

الغربية ستطبق على المتجنّس، ومنها قوانين الأحوال الشخصية، وهي قوانين وضعية وغير إسلامية؟

وقد ينخرط المتجنّس في جيش البلد الغربي وقد يدخل حروباً ضد بلد إسلامي، فما هو الحال؟ علماً بأنَّ اكتساب الجنسية يفتح أمامه مجالات واسعة في التحرّك والعمل حتى لخدمة الإسلام.

كما أنَّ بعض المسلمين ليست لديهم أية جنسية، وجاءوا إلى البلدان الأوربية كلاجئين، هرباً من الأنظمة الظالمة في بلدانهم.

١٦. هل تعتبر الدول الغربية دارحرب على وفق التقسيم الشرعي؟ وما رأيكم بذلك التقسيم الذي يقسم العالم إلى دار إسلام ودارحرب ودارصلح ودارعهد؟

١٧. هل يجوز الانتماء للاحزاب السياسية الغربية، من أجل الوصول الى البرلمان والدفاع عن حقوق المسلمين في ذلك البلد الغربي؟

إجابات

الأخ العزيز الأستاذ صلاح عبد الرزاق المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فأساله تعالى لكم التوفيق والتسديد في عملكم العلمي وإجابة على رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٦ محرم ١٤١٧ الموافق ١٩٩٦/٦/٣ م أذكر النقاط التالية:

الإجابة على السؤال الأوّل: أنَّ المصلحة العامة واضحة في مفهومها العام كما هي واضحة في مفهومها الشرعي، فهي في المفهوم العام: «كل ما يعود على الأمة من خير يقوّي وجودها ويساهم في أداء دورها الحضاري كخير أمة أخرجت للناس».

وهي في مفهومها الشرعي «كل ما يحقق مقاصد الشريعة في الفرد والمجتمع». ويذكر الفقهاء منها: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل)

وواضح أنَّ هذه الأمور تملك إطاراً أوسع إذا أريد منها المعنى الاجتماعي، فحفظ النفس ـ مثلاً هنا ـ يعني: «حماية الأمة ككل حتى ولو تطلّب الأمر التضحية ببعض الأفراد».

والمهم هنا أن نعرف أنَّنا لو ركَّزنا على المصلحة الفردية قلنا: إنَّ الفقيه تارة يدرك تماماً أنَّ المصلحة تكمن في هذا العمل بلا منازع وبشكل قطعي، فهنا له أن يحكم بمطلوبية العمل ـ على اختلاف درجة المطلوبية ـ أمَّا إذا ظنَّ بالمصلحة أو احتمل وجود مزاحم لها أو احتمل فقدانها لبعض الشروط التي تمنع من تشريعها فإنَّ هذه المصلحة ليست حجَّة عند الشيعة، وإن كانت بعض المذاهب السنية تقول بحجيتها. أمَّا إذا عبرنا الأمر إلى المصلحة الاجتماعية فهي بلا ريب موكولة إلى الحاكم العادل المشاور لأهل الخبرة، ولا يحتاج هذا الحاكم إلى أن يقطع بشكل تام بها، بل يكفي الظن العرفي، باعتبار أنَّ عنصر الادارة لا يقوم على القطعيات، وإنما يقوم على أساس ما يدرك من المصالح العامة في إطار منطقة الفراغ التي تركها الشارع لولي الأمر كما سنوضح.

أمّا ما طرحتموه من إمكان تجاوز حكم شرعي بها، فالجواب: أنَّ هذا يعتمد على بحوث مدى الولاية التي يملكها الحاكم الشرعي فأنتم تعلمون أنَّ الأفراد في إطار الأحكام الأوّلية لهم الحق كاملاً في الاستفادة من المباحات كما أنَّ عليهم أداء التكاليف، ولكن لمّا كان حفظ النظام ورعاية المصالح المتغيّرة للامة، والشروط الحادثة يحتاج إلى قيادة واعية للتجربة الإسلامية ولأساليب تطبيق الإسلام، وتنفيذ أوامره وحدوده، والدفاع عن كيانه، فقد جاءت مسألة الحكومة، ولا ريب في أنَّ الحكومة بلا ولاية أمر غير متصوَّر؛ لأنَّ الأمر يتطلَّب أن يقوم الحاكم بتحديد بعض الحريات الفردية لمصالح المجتمع، والمنع من بعض المباحات أو الأمر بها، لتحقيق الوئام الاجتماعي المطلوب، ولمّا كان أكثر علماء المسلمين يشترطون الفقه في الحاكم، فقد جاء مصطلح (ولاية الحاكم الفقيه) ليقوم بهذا الدور.

أما حدود هذه الولاية: فهي كما بيناه في كتابنا (الدولة الإسلامية) تشمل

مساحة المباحات بالمعنى الأعم الشامل للمستحبات والمكروهات، فله إذا ادرك المصلحة أن يحدّ منها، وعلى الأمة الطاعة بمقتضى:

{🕮❑◆❑⬭ⓞ➔⇖❑✁☎ ✁⁄✎⅄ 🕮❑◆❑⬭ⓞ➔⇖❑✁☎

✁⁄⑩❷■⊲←❑✌♦ ❑◆🕮↑❑🕯🖫⌀❼ ✁⁄❀☞☟⬀❺⌀

✋⬭☪≣➚⚐⬄}[١]؛ أمَّا بالنسبة للأحكام الالزامية فلها بحث واسع، إلّا أنّنا نشير إلى أنَّ بعض الأحكام مشروط وجوبها بالقدرة كالحج، فإذا فرض الحاكم الشرعي الجهاد مثلاً على الفرد المستطيع (في حالته العادية) فإنَّه يفقد قدرته الشرعية على الحج ويقدم الجهاد حينئذ، وكذلك فيما لو وجد الحاكم تزاحماً بين أمرين، من قبيل ما لو ترتّب على الحج إذلال للشعب مثلاً فله بمقدرته الولائية أن يقدِّم ألاهم على المهم، وكذلك لو رأى الحاكم أنَّ تنفيذ حكم من الأحكام أو نظام معين تترتّب عليه آثار سيئة قطعية في بعض الظروف فله الايقاف المؤقت حتى ينتهي ذلك الظرف، من قبيل ما رآه الحاكم الشرعي أول أيام الثورة من أنَّ منع الربا من البنوك من أول الأمر سيصيب البلاد بشلل كبير فقبل مؤقتاً به ثم عمل على تغييره.

فالجواب إذن على تساؤلكم عن الفرق بين النظام الوضعي والنظام الإسلامي: أنّ المصالح في النظام الإسلامي إنَّما يعيّنها الإسلام، وفي النظام الوضعي يعينها الشعب أو الحاكمون، ثم أنَّ الأصل هو تطبيق النظام الإسلامي قبل كل شيء، فاذا حدث ظرف طارئ أوجد تزاحماً كبيراً بين ما جعله الشارع نفسه (من المصالح وما قرره من أحكام) أمكن للحاكم في ظروف استثنائية وبشكل مؤقت تقديم ألاهم على المهم وهذا فارق عظيم.

جواب السؤال الثاني: «نفي السبيل على المؤمنين» قاعدة أصيلة حاكمة، وهي مقدَّمة على كل حكم إسلامي أولي (اي حكم الموضوعات بغض النظر

---

١) النساء، ٥٩.

عن الأمور الطارئة) مثلها مثل قاعدة (لا ضرر) و(لا حرج)، ويسعى الحاكم الشرعي من خلالها لتحقيق الاستقلال الإسلامي بل والعلوّ الإسلامي على الآخرين في مختلف المجالات العلمية والعسكرية والحضارية وغيرها. ولكنّ هذا لا يعني التفريط بالمصالح الإسلامية العليا والغرق في الخيال، وهل يمكننا اليوم أن نسوق نفطنا بحرية وبالقيمة التي نشاؤها؟ إنَّ كل ذلك في حدود المقدورات بلا ريب.

جواب السؤال الثالث: القواعد الأوّلية، هي الأحكام الأوّلية التي تأتي عامة. ويمكن تعريفها بأنَّها الأحكام المجعولة للأشياء أوّلا وبالذات، كاباحة شرب الماء، وإباحة المشي، وحرمة الخمر، ووجوب الصلاة.

الأحكام الثانوية هي الأحكام التي تجعل للأشياء بلحاظ ما يطرأ عليها من ظروف وشروط وعناوين أخرى تقتضي تغيير حكمها الأولي، فشرب الماء المباح إذا توقّفت الحياة عليه يصبح واجباً، وإذا كان يترتّب عليه ضرر يصبح حراماً، والقواعد الثانوية كالتقية والضرر والحرج ونفي السبيل تعبّر عن المرونة الإسلامية.

وهناك تطبيقات كثيرة في مختلف المجالات، نذكر منها: مسألة القبول بالقرار ٥٨٩ ووقف اطلاق النار، فمع أنَّ الحكم الأولي على النظام العراقي أنَّه باغ يجب أن يقاتل ويعاقب على إجرامه الكبير، ولكن الأضرار التي كانت تترتّب على عدم القبول كبيرة، ممّا دعت إلى تقديم هذا الحكم الثانوي على الحكم الأولي.

جواب السؤال الرابع: الوفاء بالعقود والوعود من الواجبات الإسلامية. وبطبيعة الحال، فالالتزام بالاتفاقيات ضروري في نفسه وبذاته إلى الحد الذي تتطلبه الاتفاقية، اللهم إذا أخلَّ الطرف المقابل بشروط العقد (من قبيل تجسس البعثات الدبلوماسية)، وربما وجد النظام الإسلامي أنَّ هذا الوفاء يعود عليه بأعظم الأضرار، كما لو قادت سفارة ما حركة انقلابية لنقض النظام بالفعل، هنا يأتي قانون التزاحم الذي أشرنا اليه.

جواب السؤال الخامس: لا مانع من توقيع معاهدة عدم اعتداء مع دولة غير مسلمة، بل انَّ القبول بميثاق الأمم المتحدة يعني ذلك عموماً. أمّا مسألة الجهاد الابتدائي ـ عند من لا يرى وجوب حضور الامام المعصوم ـ فهي تتوقف فعلاً على غلبة المصلحة العامة وعدم ترتّب الأضرار الكبرى بلا ريب.

جواب السؤال السادس: تعدّد الدول الإسلامية؛ أجبت على هذا السؤال بوضوح في الكتاب واعتبرت هذه الحالة (حالة تعدد الدول الإسلامية) حالة استثنائية في تصوّرنا الإسلامي.

ويكفي للتدليل على وحدة الدول الإسلامية ملاحظة (وحدة القائد الامام، ووحدة المصلحة العليا ووحدة الأمة الإسلامية)، ولا مجال للتفصيل، وما نجده من واقع قائم هي أمور تفرضها الظروف والشروط الحالية بصفة استثنائية ـ كما أعتقد.

أمّا حكاية الدولة الصفوية والدولة العثمانية، فأنا لا أراها دولاً إسلامية بالمعنى الدقيق للدولة الإسلامية.

جواب السؤال السابع: إعلان الجهاد العسكري في المنطق الحديث هو نفس أمر الجيش بالقتال، فاذا اريد الدعم الشعبي توسَّع هذا الأمر، وليس شيئاً وراء ذلك. نعم لو اريد تحريك المسلمين في منطقة ما أو في كل المناطق واستثارة الحسّ العقائدي فيهم، فالأمر يكون شبيهاً بهذا الاعلان في العصور الأولى، والامام الخميني(رحمهم الله) بأمره الجيش بالقتال يكون قد أعلن الجهاد الدفاعي في تلك الحدود.

جواب السؤال الثامن: نعم يشكّل الالتزام ـ شرعا ـ بالقبول بجميع مقرراتها، مع ملاحظة ما أشرنا إليه من قبل.

جواب السؤال التاسع: يجب تطبيقها عند الانضمام إلى المعاهدة، إلاّ إذا كان الانضمام اليها مع تحفظات مسبقة ممكناً، فيمكن معه التحرر من البنود التي تم التحفظ عليها.

جواب السؤال الحادي عشر: أشرت إلى أنَّ الانضمام إلى أيَّة اتفاقية يعني

الالتزام بها، إلّا إذا كان هناك تحفظ، ولا ريب أنّنا تحفظنا على كل ما يخالف الإسلام في هذه الاعلانات. وينبغي أن نشير إلى أنَّ هذه الإعلانات التي أشرتم إليها ليست إعلانات ملزمة، وكذلك إعلانات القاهرة، وبكين؛ وقد قمنا بتوضيح الأمر، (وارفق لكم تقريراً عن نشاطنا مثلاً في بكين).

جواب السؤال الثاني عشر: القضية هنا شائكة، فلا أتحدَّث عن هذا المصداق. أمّا الحكم بشكل كلي من قبيل ما لو دخلت دولة إسلامية في صراع مع دولة كافرة واستعانت الدولة الإسلامية بدولة كافرة أخرى، فلا مانع منه، إلَّا إذا ترتبت أضرار أخرى على هذه الاستعانة، فالقضية تحتاج إلى دراسة الظروف الموضوعية.

جواب السؤال الثالث عشر: أجبت ـ من قبل ـ على مثل هذا السؤال. وقلت: إنَّ هذا الشكل من التطبيق تابع للظروف الحالية.

جواب السؤال الرابع عشر: الجواب الأوّلي هو النفي. فالمؤمنون بعيدون عن الغدر، وقد أدانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ بوضوح العمليات الإرهابية، أي إذا كان (أولئك) لهم يد في إذلال الشعب أو احتلال أرضه، كما هو في فلسطين ولبنان. فمقاتلة الجيش الاسرائيلي ومن يناصره، كما يسمى بـ (جيش لبنان الحر) الذي يقوده انطوان لحد والذي يشكل حزاماً أمنياً لاسرائيل ـ مثلاً ـ أمر يقتضيه الدين والعرف والقانون المحلّي والدولي.

جواب السؤال الخامس عشر: التجنّس بجنسية البلاد الكافرة في نفسه لا مانع منه، إلّا إذا ترتّب عليه عمل محرم، فيجب ملاحظة المستلزمات في ذلك، والحقيقة أنَّ هذه المستلزمات موجودة، فإذا أمكنه التخلّص منها فلا مانع، وإلّا فلا، إلّا أن تكون ضرورة.

اما الانخراط في الجيش المترتب على التجنس لمصلحة إسلامية فقد توضّح الجواب عليه في القسم الأوّل منه.

جواب السؤال السادس عشر: لا أرى أنّها من ديار الحرب، إلَّا إذا دخلت حرباً مع العالم الإسلامي؛ بل هي من ديار العهد؛ والتقسيم الذي أشرتم إليه صحيح، إلّا أنَّ التطبيقات مختلفة اليوم.

جواب السؤال السابع عشر: الجواب هنا نفس الجواب على السؤال الخامس عشر.

في الختام سأقوم بإرسال بعض ما طلبتموه مع البطاقة الشخصية لكي يمكن المراسلة من جديد، أسال الله تعالى لكم التوفيق والتسديد.

* * *

رسالة إلى المشاركين في ندوة لندن[1]

الأخوات والإخوة المشاركون في المؤتمر الثاني للحوار بين الإسلام والغرب والمنعقد تحت عنوان (الصراع أو التعاون).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كم كنت أودُّ لو أكون بينكم لنتابع حوارنا الذي بدأناه في المؤتمر الأوّل لولا أنّ السفارة هنا بطهران رفضت منحنا تأشيرة الدخول في آخر لحظة.

ولذا وجدت من اللازم عليَّ أن أبعث لكم ـ على عجل ـ بهذه الرسالة التي كتبتها في الصباح الباكر من هذا اليوم الثلاثاء لأوكّد لكم بكل إخلاص أنّي أشارككم في هذا المسعى الجميل لتحقيق هدف إنساني كبير.

أيّها المشاركون الأعزاء!

خلافاً لما طرحه السيد صاموئيل هانتينغتون رئيس قسم الدراسات الاستراتيجية في جامعة هاروارد الأمريكية من أفكار حول إرجاع الصراع اليوم الى الأساس الثقافي واعتبار (صراع الحضارات) هو المرحلة المتطوّرة من أنواع الصراع التاريخي، وكذلك خلافاً لما يدّعيه من أنَّ الاختلاف بين الحضارات الموجودة اختلاف جوهري مستمر متصاعد، تغذّيه الصحوة الدينية، فهو لا يقبل التغيير، وهكذا خلافاً لما يذكره من الصراع بين الجبهتين

---

١) رسالة إلى المؤتمر الثاني للحوار بين الإسلام والغرب (الصراع ام التعاون)، ١٤١٧/٢/١٥ هـ. ق، ١٣٧٥/٤/١٢ هـ. ش، ١٩٩٦/٧/٢ ميلادي، بريطانيا ـ لندن.

الغربية والإسلامية، ويدعو إليه من ضرورة التحالف الغربي مع الحضارة اليابانية، ومحاصرة الجبهة الإسلامية، والاستفادة من خلافاتها، ودعم العناصر الموالية للغرب فيها

نعم خلافاً لكل هذا أودُّ أن أعلن لكم جميعاً انَّ الجواب الحقيقي للسؤال الذي يطرحه هذا المؤتمر هو (التعاون) ولا غير

إنَّ هذا الجواب الايجابي تفرضه أمور هي باختصار:

أوّلا: كون الحضارة منتوجاً انسانياً تكاملياً... يستهدف إعلاء الإنسان وإسعاده، وحينئذ فالصيغ الحضارية الإنسانية تتكامل بدلاً من أن تنعزل فضلاً عن أن تتصارع، فإذا رأينا حضارة ما تزول فإنّما هي تزول لظلمها ـ كما يقول القرآن الكريم ـ أو انعزالها عن المسيرة وانطوائها على نفسها.

وثانياً: فإنَّ عوامل التواصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية كثيرة واهمّها:

أ. تشابه الأصول التاريخية والدينية

ب. التجارب التي تمَّ فيها التعاون التاريخي

ح. التجاور الجغرافي

د. وحدة الشعارات (كشعار الحرية، والعدالة، وحقوق الإنسان)

هـ. وحدة المصير المشترك

ورغم أنَّ هناك بعض العوامل التي تفرّق بينهما من قبيل:

أوّلا: وجود اختلاف في الاتجاه الغربي نحو الحياة الحسيّة والاتجاه الإسلامي نحو الحياة المعنوية

وثانياً: الاتجاه الواقعي الشرقي والاتجاه النسبي الغربي

وثالثاً: في عملية الفصل بين الدين والحياة في الغرب ووحدتهما لدى الشرق

ورابعاً: في القول الغربي بالحرية المطلقة والتعديل الشرقي بينها وبين العدالة

وخامساً: في الاتجاه الفردي الغربي والجماعي الشرقي

وسادساً: في اختلاف المصالح

وسابعاً: في وجود بقايا نفسية من الصراع التاريخي كما في مسألة الحروب الصليبية، والاندلس، والاستعمار

واخيراً: بوجود بعض النظريات الاستعلائية

رغم كل هذا فإنَّ عوامل التواصل أكبر وأقوى، وأن المنطق الإنساني في الحوار هو الأصل.

يقــول القــرآن الكــريم {③♦🕐✵🕯❒⑨☙&❑✍ ✂✍⑨☾□✍□↓

☽♑☼✵✍ ⌘□🔒■☽⬂✡□🕐▤➚✍ ✌♓♑♊ ❶•✍☒❷⑨

❒◆🕮⬆☼ॐ•✍🗐 ❒◆♉□➔□🔒▫✡□🕐▤➚☠⬀ ⅄➚➔⬉❑✍ॐ✍

❒◆🔔•⌨♦✍✎★✍✍• ⑨♑✌♦➔□✍❻◆▫➔❑☑✂☎ 🗐 ☽♑♌□

🕮❑🖹⇩❷♦✌♦▤➚✍⬀ ⬉♑✡⑨□ ✂✍✎★ 🕮❑✍⬂☽•⑨▤➚☠⬀}[1].

أمّا واجبنا في مثل هذه المؤتمرات فيتلخّص في ضرورة:

١. العمل على تصحيح نظرة كلٍّ منا إلى الآخر

٢. العمل على تحقيق التعاون الدولي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً

٣. العمل على تحقيق التفاهم الديني ـ والفلسفي

٤. العمل على تجاوز الرواسب النفسية التاريخية

٥. التوجُّه نحو المصالح الإنسانية العليا

٦. تجاوز النظرات الاستعلائية وعمليات فرض الهيمنة السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية

٧. تقوية الأواصر الثقافية

٨. تقوية إجراءات التعادل بالنسبة للحرية والفردية والمساواة

---

١) الحجرات، ١٣.

٩. السعي لإبعاد الاتجاهات القشرية لدى الطرفين

١٠. العمل المشترك لتحقيق القضايا العادلة في مثل كشمير، فلسطين، البوسنة

١١. عدم استخدام القوة لفرض المنطق الذاتي (الاسلوب الأمريكي اليوم)

١٢. امتلاك سعة الصدر الاجتهادية والاجتماعية

الظروف المساعدة اليوم

والظروف اليوم تعيننا على هذا الحوار ومن أهمها مثلاً ما يلي:

١. سقوط الشيوعية

٢. الموقف الأوروبي من الحوار في قبال الموقف الأمريكي المتعنت

٣. قوة الأمم المتحدة

٤. ندوات الحوار المشكّلة هنا وهناك

٥. فشل أطروحات الفرض والتحميل في أفغانستان وفلسطين، والصومال

٦. خفّة الصراع في البوسنة، والعراق، وافريقيا.

وهنا نقترح الخطوات العملية التالية:

أوّلا: علينا أن ننقل هذه الندوات إلى مؤتمرات عالمية واسعة

ثانياً: علينا أن نعمل على عقد لقاءات قمة بين قادة الأديان

ثالثاً: علينا السعي لتقوية المنظمات الثقافية والاقتصادية الدولية

رابعاً: علينا أن نطوّر لغة الحوار الفلسفي على مختلف المستويات

(ومن هنا نقيم دعوة الامام الراحل لغورباتشوف للحوار الفلسفي)

خامساً: علينا أن نفتح مجالات أخرى للحوار كالحوار اللغوي والحوار الأدبي، والحوار الموسيقي، والحوار الفني وغيره

وختاماً: أرجو لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق وللسيدة نيكلسون النجاح في إدارة أعمال هذا المؤتمر الكريم

أودُّ هنا في ختام رسالتي هذه أن أشكر اليونسكو وبالخصوص سيادة الأستاذ فردريكومايور وأمينها العام على ما يبذله من جهد في خدمة قضية الثقافة والحوار العلمي الموضوعي مع الحضارة الإسلامية، وكذلك سعيه الحثيث في التعريف بدور هذه الحضارة في التراث العلمي للإنسانية جمعاء ويتجلّى بعض هذا السعي في إقراره لمشروع بيت الحكمة.

كما أودُّ أن أنوّه بأنَّ أعلى مجلس ثقافي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأعني به (المجلس الاعلى للثورة الثقافية) قد وافق على مساهمة ايران في إنجاح هذا المشروع وأوكل تنفيذ الأمر إلى منظمتنا رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ونرجو الله تعالى أن يوفّقنا لأداء هذه المسؤولية الثقافية المهمة.

* * *

بين نظرية القراءات
والاجتهاد الإسلامي[1]

يشيع اليوم في الأقطار الإسلامية مصطلح «القراءات» كتعبير حديث عن وجهات النظر المختلفة المفسرة للنصوص الدينية وغيرها، ونظراً لما رافق هذه النظرية من إبهام وما أوجدته من اضطراب فكري فإنَّ من المناسب دراسة حقيقة هذه النظرية ومدى انسجامها مع الثقافة الإسلامية الأصلية.

ولاريب أنَّ هذا المصطلح غربي المنشأ وغريب على الثقافة الإسلامية وقائم على أساس من نظريات الهرمنوطيقيا الغربية الحديثة فهل هناك من جديد فيه؟ وهل لدينا ما يقابله من مصطلحات تفي بالحاجة فلا نضطر لاستيراد مصطلح جديد محاط بإبهامات خطيرة الأثر على نمط تفكيرنا وثقافة أجيالنا؟ فالاجتهاد مصطلح أصيل إسلامي، والفهم العرفي مصطلح أصيل إسلامي أيضاً، وهما يقومان مقام المصطلح الوافد مع فارق كبير هو أنَّهما مصطلحان واضحان محددا المعالم والسمات والضوابط بشكل نكاد أن نتّفق عليه، وما نختلف عليه منه أيضاً محدد واضح. ومع هذه الحقيقة وبملاحظة أنَّ الاجتهاد الإسلامي اليوم يقع غرضاً لسهام كل أعداء الإسلام؛ لأنّه ضمانة ديمومة العطاء الإسلامي وسرّ المرونة الإسلامية التي تؤهّل الإسلام لاستيعاب

---

١) ألقي في المؤتمر الرابع عشر للوحدة الإسلامية في طهران، ١٧ ربيع الأوّل ١٤٢٣.

متغيرات الزمان والمكان والبقاء خالداً يحلُّ مشكلات الأمة ويضع لها الحلول اللازمة، بل ولأنَّ المفروض في الاجتهاد أن يربّي العناصر التي ترشد الأمة وتحل مشاكلها واختلافاتها وتقود مسيرتها نحو الغد الحضاري الأمثل، فهل-يا ترى- ترويج مصطلح القراءات يعدُّ إهداراً لهذا المخزون الإسلامي العظيم؟

ولمّا كانت هذه المشكلة ممّا يهم العالم الإسلامي من جهة ولأنَّ المذاهب الإسلامية جميعها لها موقف واحد تقريباً منها فإنَّ مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية ضمن خططه الرامية للمّ شمل المسلمين ورفع العاديات عنهم وتوضيح المبهمات فقد قرر أن يكون موضوع مؤتمره الرابع عشر دراسة نظرية القراءات هذه والتركيز على البدائل السليمة.

ومن الطبيعي أن نركّز قليلاً على الهرمنوطيقيا القديمة والحديثة لنعرف الأمور التي اشرطت بهذا المصطلح.

الهرمنوطيقيا

هذا المصطلح مأخوذ من فعل يوناني يعني التفسير وقد استعمله أرسطو في بعض كتبه بهذا المعنى.

ويرى بعض المحققين أنَّ هذا المصطلح يرتبط بمراحل ثلاث من العمل التفسيري:

١. نفس النص ٢. المفسِّر ٣. انتقال رسالة النص للمخاطبين.

ويعتبر شلايرماخر (١٧٦٨ ـ ١٨٣٤ م) مؤسس الهرمنوطيقيا الحديثة ويبدأ رأيه بهذا التساؤل: كيف يتمُّ فهم الأقوال؟

فالسامع يفهم معنى ما بحدسه. وهذا الحدس عمل هرمونوطيقي والهرمونوطيقيا هي فنّ الاستماع وفهم العبارة والممارسة المكررة للنشاط الذهني للقائل أو المؤلف لهذا النص.

فالمؤلف يصوغ جملة ما والسامع يخوض في أعماق تركيبتها (بواسطة اللغة).

والتفسير عبارة عن نشاط نحوي ذي علاقة باللغة، ونشاط نفسي مرتبط بالنمط الفكري للقائل.

فشلاير ماخر متأثر بأقوال المفكرين الرومانسيين الذين كانوا يعتقدون بأنَّ الحالات الخاصة للفكر هي إنعكاس لروح ثقافية أوسع؛ فالتفسير الصحيح يحتاج لفهم النسيج الثقافي التاريخي للمؤلف وذهنيته الخاصة، وهذا المعنى يستلزم نوعاً من الحدس بحيث يستطيع المفسر أن يتمثّل وعي المؤلف لمدركاته هو. وقد يستطيع المفسر أن يصل إلى فهم أفضل ممّا توصل إليه المؤلف.

إنه يقول ان التساؤل عن معنى النص يطرح بأسلوبين:

أحدهما: ماذا يقصد المؤلف؟ وهكذا يكتشف من النص، الأفكار وحتى أنّه يكتشف من ملاحظة روح العصر آنذاك.

والثاني: ماذا يعني بالنسبة للمخاطب؟ فاذا كان المخاطب معاصراً فإنّه يبدأ بتحليل النص لفظاً؛ لأنّه يشارك القائل في روح واحدة. أمّا إذا لم يكن معاصراً فإنَّ عليه أن يعيد تركيب فكر المؤلف ورغم اختلاف ثقافتيهما، فإن هناك شبها معنوياً بينهما، فإذا استطاع المخاطب أن يكتسب معرفة كافية عن القائل فإنّه يمكنه أن يمارس من جديد تجربته الفكرية.

اما ديلتاي (١٨٨٣ ـ ١٩١١م) فقد سعى إلى جعل نتائج العلوم الإنسانية شبيهة بنتائج العلوم الطبيعية عبر اعطائها أسلوبا رصيناً. اعتبره أصلا أسلوباً معرفياً للعلوم الإنسانية، ولكنه بسبب النمو السريع للعلوم الإنسانية وابتكار أساليب خاصة لكل علم، لم يوفَّق لطرح الهرمنوطيقيا وفق تصوّره من جديد في قبال التيارات الفكرية الأخرى وهي من قبيل:

١ ـ النظريات الجديدة حول السلوك الإنساني التي طرحت في علم النفس وعلم الاجتماع والتي فسّرته إمّا بالعلل الغريزية أو العوامل الطبيعية.

٢ ـ التطوّر في العلوم المعرفية، وفلسفة اللغة التي قررت أن حقيقة ثقافة ما هي نشاط التركيبة اللغوية لها والتي تفرض نفسها على التجربة الثقافية.

٣. استدلالات فلاسفة آخرين مثل ويتغنشتاين وهايدغر التي تؤكد على أنَّ التجربة الإنسانية لها ماهية تفسيرية ولذلك تعتبر الأديان مجموعة معينة من التفاسير. وعلى أي حال، فإنَّ ديلتاي لم يقبل رأي شلاير ماخر في أنَّ النص محصول لقصد المؤلف واعتبره رأيا معاديا للتاريخ حيث إنَّه ينكر التأثيرات الخارجية.

ورأى أنَّ أسلوب العلوم الإنسانية هو أسلوب فهمي في حين أنَّ أسلوب العلوم الطبيعية هو أسلوب وصفي، وأنَّ اكتشاف الحقائق الطبيعية هو من قبيل تطبيق القوانين الكلية.

والمؤرخ هو مفسِّر يسعى من خلال اكتشاف النوايا والأهداف والطباع الى معرفة العناصر المؤثرة في الحوادث التاريخية. ولمّا كنّا أناساً أيضاً فإنّنا نستطيع اكتشاف هذه العناصر، فالفهم عبارة عن اكتشاف الأنا في الأنت من خلال المشتركات الإنسانية.

إنَّه يتحدث عن نمطين من الفهم:

الأوّل: فهم الظهورات البسيطة: الكلام والخوف، وهذا ما نفهمه بلا حاجة الى استنتاجات معينة؛ لأنَّ هناك أمراً مشتركاً هو «الروح العينية».

الثاني: فهم التركيبات المعقدة كالحياة والعمل الفني، وهو فهم متعال. فإذا لم نستطع أن نفهم عمل شخص ما كان علينا أن ندرس ثقافته وحياته. فالفهم المتعالي هو وعي الأفراد، والهدف الأصلي للهرمنوطيقيا هو تكوين وعي أكمل عن المؤلف. ولعلّه لم يتوفر هو عليه.

إنَّ الإنسان يعي نفسه في التاريخ لا في تأمّله الباطني وأنَّ حياته قطعة من الحياة في المجموع.

وهكذا نجد ديلتاي يقلل من ضرورة معرفة قصد المؤلف ويسعى ليطرح منطقاً تفسيرياً باعتباره نشاطاً في العلوم الإنسانية، ويربط إمكانية هذا الفهم بالتركيبة الكلية للطبيعة الإنسانية. وبعد ديلتاي نصل إلى مرحلة جديدة عبر

طرح آراء هايدغر.

ويرى هايدغر أنَّ التفسير يسلتزم فرضاً مسبقاً. فالمفروضات مفاهيم تلقي بنفسها على التجربة وهي حالة هرمنوطيقية وأنَّ «الدزاين» أو التفسير الإنساني للوجود البشري والوجود كله له دخله في تفسير النص.

إنَّ «الدزاين» يمكن أن يفسّر نفسه حيواناً ناطقاً أو آلةً. ومعنى ذلك أنَّه قد يفسر نفسه تفسيراً سيئاً وعليه يجب أن نحرّر أنفسنا من تبعات التفسير السيّئ.

ويرى أنَّ المصطلحات ليس لها معان ثابتة منفصلة عن استعمالاتها. بل أن العلاقات المتبادلة ترتبط بهذه المصطلحات فالفأس ليس وسيلة للدق فحسب، بل هو يكتسب معناه من محل العمل والمسمار والمشتري.

إنَّ أرسطو لم يكن يفهم من مصطلح المواصلات ما نفهمه اليوم. ولذا ولكي نفهم النص يجب أن نعيد تركيبة عالم المؤلف من جديد. والحقيقة أنَّ هايدغر لم يستطع أن يوضح لنا إمكان تفسير النص أو عدمه.

وهو ينتقل في كتابه «الوجود والزمان» بالهرمنوطيقيا من عملية معرفة الاسلوب إلى عملية معرفة الوجود. إنَّه يؤكّد أنَّ الفلاسفة ركّزوا على الوجودات الخاصة بدلاً من العمل على وعي معنى الوجود عموماً.

إنَّه يبدأ بتحليل الـ «دزاين» أي التفسير الإنساني للوجود لينتقل الى تحليل الوجود.

وأخيراً يطالعنا غادامر الذي يعتقد أنَّ التفسير مسبوق بالفهم. وأنَّ المفروضات المسبقة شروط لتحقق الفهم، وأنَّ التفسير مستلزم لعملية تركيب بين أفق النص وأفق المفسر. وهو بالتالي في كتابه «الحقيقة والأسلوب» يؤكّد أنّنا لن نستطيع التأكُّد من أنَّ تفسيرنا هو الصحيح.

الى هنا والهدف من الهرمنوطيقيا هو الوصول إلى قصد المؤلف وإن كانت النتائج مخيبة للآمال أحياناً كما رأينا حيرة غادامر في إمكان فهم النص. ولكن الهرمنوطيقيا المعاصرة اعتبرت هذا أسلوباً تقليدياً متخلفاً.

فمدرسة الاتجاه التركيبي الأدبي ترفض أن تأخذ المؤلف بعين الاعتبار في تفسيرها للنص، إنّه وجود ميت وما علينا إلّا أن نفهم النص من خلال تركيبته الادبية والقرائن التي تحفّه، فهي ترفض الأسلوب التقليدي والهرمنوطيقيا الفلسفية معاً.

ومدرسة «رفض الأسس» أيضاً تبعد المؤلف وتبعد التركيبة اللفظية أيضاً وتعتبر قراءة النص نشاطاً حرّا وتعاملاً مطلقاً من أي قيد مع النص: وأنَّ قراءة النص ليست عملاً دقيقا لكي نغرق في القرائن والبنيات التركيبية للنص، وعليه فمن المكن أن نمتلك قراءات متنوعة عبر تحطيم أسس النص وبنيته[١].

وهكذا نجد مسيرة الهرمنوطيقيا تبدأ بشكل طبيعي ولكنّها تتعثر وتنحرف حتى تصل إلى مرحلة حذف المتكلم والمؤلف والبنية التركيبية للفظ والقرائن والشواهد وطرح فكرة القراءات المتنوعة دونما مطالبة بدليل يؤيد هذه القراءة أو تلك. وقد يعني هذا الوصول إلى مراحل يرفضها القائل نفسه وحينئذ تتعطّل لغة الكلام ويغلق هذا الجسر الحضاري «اللغة» فلا يسلم للإنسان مراد ولايثبت له تعهد ولايملك إلزام أي أحد بشيء فماذا بعد هذا إلاّ الفوضى!

العوامل التي ساعدت على انطراح هذا البحث في الغرب

هذا البحث انطلق بلا ريب في الأوساط الدينية ثم خرج إلى الساحة الإنسانية العامة وأريد له أن يفسر الوجود كله.

وبالنسبة للأوساط الدينية في الغرب نلاحظ أنَّ المسيحية كانت تحمل رسالة لليهود ملخصها أنَّ الله تجلّى للبشرية وعلى البشرية أن تخلّد هذه الرسالة.

ولكن برزت مشاكل لدى محاولة الاستماع لرسالة العهدين الجديد والقديم.

هذه المشاكل يمكن أن نلخّصها في ما يلي:

---

١) أغلب ماورد من آراء ونصوص استقيناه هنا من مجلة قبسات الفارسية في عددها المخصص للهرمنوطيقيا الدينية، وهو العدد الثالث للسنة الخامسة.

أوّلا: كون النص في العهدين معقداً احياناً بحيث لايدرك معناه.

ثانياً: وجود عنصر الأسطورة التي لايمكن تصديقها؛ لانّها غير معقولة بل توجد حالات متناقضة ـ مثلاً في وصف الأنبياء.

ثالثاً: عنصر السند، فإن النصَّ الديني لايمكن الاعتماد عليه ما لم يمتلك الاستناد الكامل للمشرِّع حتى يمكن أن يشكل أمراً تصورياً أو تشريعاً قاطعين، وحينئذ يتم الالتزام التصوّري والتشريعي. ويجمع المسيحيون على عدم كون نصوصهم منتسبة إلى الله تعالى وإن تصوروا أن الأناجيل كتبت بإلهام من الله.

هذه الإشكالات خلقت حيرة كبرى لدى المفكرين فهذا «بل ريكور» يرى أنَّ خارطة الموقع الهرمنوطيقي للمسيحية يمكن رسمها بشكل تاريخي منظم في ثلاث مراحل:

فالمسألة الهرمنوطيقية في المرحلة الأولى تنطلق من سؤال شغل أذهان المسيحيين الأوائل وربما كان في مطلع البحوث في عصر النهضة الاصلاحية. وملخصه: ماهي العلاقة بين العهدين القديم والجديد؟ فمن وجهة النظر التاريخية لم يكن هناك نصان مقدسان بل هو نص واحد، إذ العهد العتيق نص حدث في زمان المسيحية ممّا جعله نصّاً قديما متعلقاً باليهود؛ أمّا العهد الجديد فلا يستطيع أن يكون بديلاً للعهد العتيق بل ان العلاقة بينهما مبهمة وتحتاج إلى تفسير.

أمّا في المرحلة الثانية فتكمن في حديث «بولس» والتعقيد الذي يموج فيه. إذ يؤكّد على المسيحيين أن يفسروا حياتهم بما فيها من جزر ومد ومرونة في إطار مصائب المسيح وظهوره من جديد. وهنا يبدو التساؤل: ما هي العلاقة بين الموت والحياة؟ وبين موت المسيح ومعنى الوجود؟ فنحن نفسر حياتنا ووجودنا على أساس فهمنا عن مصائب المسيح وعلى أساس من تفسيرنا لوجودنا نعود لنفسر مصائب المسيح.

أمّا في المرحلة الثالثة حيث يتعرض العهد الجديد لانتقادات العلوم الدنيوية فإنّه تبدأ مراحل تطهيره من الأساطير.

أمّا المفكر بولتمان فيقول في مقال مشهور له تحت عنوان (العهد الجديد ومسألة معرفة الأسطورة):

«تلوح في العهد الجديد مقولات لايرفضها العلماء والمفكرون فحسب، بل يعتبر الإيمان بها أمراً غير معقول»[١].

هذه المشكلات خلقت حاجات هرمنوطيقية وألجأت المفسرين بالنهاية الى حلول وهمية رأينا مبلغها. في حين لانجد أيّاً من هذه العناصر في ثقافتنا الإسلامية ونصوصنا المقدسة.

ما هي العلاقة بين الهرمنوطيقيا وبعض العلوم الإسلامية؟

يبقى هنا أن نتساءل عن علاقة التفسير الهرمنوطيقي بالتفسير الإسلامي للقرآن الكريم وشروح السنة الشريفة، وهل هما على مسار واحد؟

الحقيقة أنَّ التفسير المسيحي كما رأينا نشأ لحل المشاكل العويصة التي طرحت أمام النصوص الدينية في العهدين، وكأنَّه جاء ليوجّه ويبرّر هذه النصوص. وقد رأينا هذا التبرير لايصمد أمام الحقائق الدامغة الأمر الذي دفع الهرمنوطيقيا للوصول إلى مرحلة عبثية، هي مرحلة القبول بالقرارات الاعتباطية.

أمَّا التفسير الإسلامي فقد جاء للتوضيح والتعمّق في النص القرآني ومازال باستمرار يتعمق ويكتشف آفاقاً من المعرفة.

وبتعبير آخر فإنّ المفسرين لم يواجهوا المشاكل التي واجهها المفسرون المسيحيون. فالقرآن الكريم يعتمد عنصر البيان بحيث ينهل منه كل وارد وفق مستواه، لقد كان كتاباً عربياً مبيناً. وحتى عندما يكون المعنى سامياً يتطلّب تشبيهاً موهماً ؛ فإنَّ مثل هذه المتشابهات أُرجعت إلى آيات محكمات توضح المقصود دون أي لبس.

---

١) نفس المصدر.

أمّا عنصر الأسطورة المنافية للعقل فلا نجده مطلقاً في كتاب الله. نعم قد نجد الحديث عن خوارق العادة كتكلم طفل أو طول عمر إنسان أو إحياء ميت، وهذا يفسر بوضوح قدرة الله تعالى الخارقة والتي لاتتنافى مع المسلّمات العقلية بل يؤكّدها العقل المؤمن بالقدرة الالهية المطلقة المؤمنة. بل نجد القرآن ينفي الأساطير التي كانت شائعة كمسألة نفي البحيرة والسائبة والأساطير التي نسجت حول الأصنام ويعتبرها من الأمور التي ما أنزل بها من سلطان.

ويأتي وصف الأنبياء كأروع ما يكون إذ يعتبرهم يمثّلون أسوة الإنسانية ويعطيهم صفة الشهادة على مسيرة الخلافة الإنسانية.

وأمّا الحقائق العلمية فلم يواجه المفسرون أي تناف بينها وبين النصوص القرآنية بل رحنا نكتشف يوما بعد يوم الانسجام بين العلم والقرآن.

بقي لنا أن نشير إلى أمور:

الأوّل: ماذا يعني التأويل في النصوص القرآنية؟

الثاني: ما علاقة الهرمنوطيقيا بأصول الفقه؟.

الثالث: ماهي علاقة مصطلح القراءات بمصطلح الاجتهاد؟

أمّا بالنسبة للتأويل، فنحن نرى أنَّ فارقاً جوهرياً يميزه عن الهرمنوطيقيا ويتلخّص في أنَّ الهرمنوطيقيا إنّما نشأت لتسدّ نقصاً ولتبرّر غموضاً ولتحلَّ تناقضاً في النصوص الدينية المسيحية بينما كان التأويل مصطلحاً دينياً بنفسه جاءت به النصوص لتعبّر عن حقائق مهمة؛ فالتأويل في القرآن كما يبدو لمن تتبّع استعمالاته يعني أحد المعاني التالية:

١. تفسير لنوع من الغموض الذي قد يطرأ على ألفاظ يسوقها النص لبيان معان سامية لايستطيع اللفظ أن يعبّر عنها بدقة فتبقى جوانب غامضة فيه تجعله من «المتشابه» فيأتي النص «المحكم» ليرفع هذا النقص عبر تأويل وإرجاع المتشابه للمحكم

يقول تعالى: {♎➔❑◆ ✂ ✍ ✓❽🕮❒☼❽♦✌♦
⇱◆♦❍■⓿⇘⌨⌂ ✂ ✍ ♦🕓 ◆♦🕓❍ ✌ ⇦ ⇗◆ ✂③♦🕓 ◆ ⇘

[illegible] }[1].

٢. تعبير للرؤيا كما قيل في مجال التعبير لرؤيا عزيز مصر {[illegible]}[2].

٣. بيان لنتيجة العمل المعين.

يقـــــــــــول تعـــــــــــالى: {[illegible]}[3].

٤. وهناك معنىً رابع ذكره بعض المفسرين وخير من شرحه العلامة الطباطبائي[4].

وكل هذه المعاني لا علاقة لها بمسألة التبرير والتوجيه ورفع التناقضات مع العقل والعلم والتي أوجدت الهرمنوطيقيا.

---

١) آل عمران، ٧.

٢) يوسف، ٤٥.

٣) الإسراء، ٣٥.

٤) الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٤٤-٤٨.

أمَّا بالنسبة لعلم أصول الفقه، فإنَّ هذا العلم جاء ليدرس العناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم الشرعي مركزاً على صغريات الظهور؛ أي ما يظهر للسامع أو القارئ من الكلام المعطى دون اي تجاوز لهذا الظهور الى غيره؛ فلم يأت لحل رموز وتعقيدات في النص، وإنّما جاء لتشخيص ظهورات الألفاظ وتطبيق قواعد الحجية عليها للوصول لمراد المولى سبحانه والعمل وفق أوامره.

وبالتالي نصل إلى الفروق الملحوظة بين عملية الاجتهاد ونظرية القراءات.

فإنَّ الاجتهاد عرف بانَّه ملكة تحصيل الحجج على الأحكام الشرعية أو الوظائف العملية شرعية أو عقلية[١].

إنَّه بحث للوصول إلى حقيقة الحكم الشرعي الذي أراده الله تعالى وتحقيق مرضاته بطاعته.

وللاجتهاد مقدماته وضوابطه المحددة. وأخطر إنحراف ابتليت به مسيرة الاجتهاد، هو ما شابه القول بنظرية القراءات وإن كان أسلم منها، وأعني به القول بنظرية الاستحسان كأصل من اصول الفقه.

فإن بعض معاني الاستحسان المذكورة أمر مقبول من قبيل القول بأنه (العمل بأقوى الدليلين)[٢]، فإنه يعني العمل بالدليل الحجة ورفض الدليل الذي لايملك الحجية؛ وهذا أمر صحيح وإن كان لايجعل الاستحسان أصلا من أصول الفقه ولكن فسّر الاستحسان أحياناً بأنَّه «دليل ينقدح في نفس المجتهد لايقدر على التعبير عنه»[٣]. أو أنَّه «ما يستحسنه المجتهد بعقله» وهذه أمور رفضها المسلمون، بل اعتبرها بعض الأئمة بدعة؛ لأنَّها تفتح الباب للآراء غير المستدلة وغير المنضبطة.

---

١) مصباح الأصول، ص ٤٣٤.

٢) مصادر التشريع، ص ٥٨.

٣) ن.م.

ولكنها على أي حال أفضل من القول بنظرية «القراءات» التي انتهى اليها البحث في الهرمنوطيقيا الحديثة، ذلك أنَّ القائلين بنظرية الاستحسان بالمعنى المذكور يحصرون الأمر باستحسان المجتهدين دون غيرهم ثم يعتبرونه ينقدح بدليل في النفس يلاحظه المجتهد بين الأدلة ولكنه لايقدر على التعبير عنه. على أنَّ الاستحسان لديهم لايتم حينما يوجد دليل شرعي قطعي أو ظاهر في الموضوع. وعليه فهناك بعض الضوابط التي تميزه عن القراءة في حين نجد أنَّ نظرية القراءات تنفلت عن كل ضابطة فهي تسمح للكل بامتلاك قراءاتهم ولاتطالبهم بأي دليل؛ بل حتى لو خالفت القراءة قطعاً مراد المتكلم. كما أنَّها لاتمانع في تصحيح كل القراءات حتى لو كانت متناقضة. وبالتالي، فإنَّ هذه النظرية تعبّر عن منتهى الفوضى بل وتغلق باب الاستفادة من النصوص الدينية.

دراسة ونقد

رأينا أنَّ فكرة القراءات أمر لاينسجم مع منطقنا الديني وعلومنا الإسلامية ونحن نرى أنَّ آثاره السلبية كثيرة نقتصر منها على ألاهم عبر مايلي:

١. أنَّ فتح هذا الباب يعني القبول بأي تفسير للنصوص الدينية دون المطالبة بالدليل، ودونما محاولة لترجيح رأي على رأي، وبالتالي القبول بالاستحسانات الظنية التي لا أصل لها، وهو أمر ترفضه التعاليم الإسلامية والثقافة الدينية بل وترفضه كل شريعة تحترم نفسها؛ فلا تترك نصوصها الأصيلة في مهب الأهواء.

٢. أنَّ هذا يعني فتح الباب على مصراعيه لكل الفرق المنحرفة، بل الفرق المعادية للإسلام، بل الرافضة لأسسه اعتماداً على حريتها في التفسير. فلها أن تفسر الحياة الأخرى مثلا بالحياة اللاطبقية التي تسعى لها قوانين الديالكتيك، بل يفتح باب قراءة صنمية للنصوص الدينية.

٣. أنَّها تؤدّي إلى نسبية المعرفة وعدم إمكان الوصول للحقيقة الثابتة الأمر

الذي يرفضه الوجدان ويشيع الفوضى الفكرية في الفكر الإنساني، وبالتالي نفقد إمكانية الوصول إلى فهم ديني للحياة.

٤. أنَّ عدم الاهتمام بمراد المؤلف أو المتكلم، يعني فصل المخاطبين عن المتكلم والشارع لهذا الدين، وبالتالي انقطاع الصلة بينه وبينهم. وهذا الأمر يغلق باب التحاور الحضاري والديني إلى الأبد ويؤدّي إلى ضياع المعايير كلها، وبالتالي يترك ذلك أثره على الأخلاق وعلم الحقوق بل وعلى المعرفة الإنسانية ككل.

٥. فتح الباب لمسألة التمرّد والعصيان ورفض الأوامر الالهية. ذلك لأنَّ معيار تنجيز هذه الأوامر وتعذيرها ـ كما يصطلح ـ هو القطع بالمراد، والقطع هنا منتف، فالطاعة أصلا لامعنى لها، وبالتالي ينتفي الهدف والغرض من الدين عموماً.

٦. ضياع الكثير من معايير الحسن والقبح مهما كانت مبانينا في هذه المعايير، فإنَّ الكثير من مواردها معلول لمضمون النصوص الشرعية.

٧. حذف دور الاجتهاد والمجتهدين في فهم الشريعة الإسلامية وهو هدف سعت إليه الدوائر الاستعمارية المعادية[1].

٨. وأخيراً وليس آخراً فإنَّه يفتح باب العلمانية في عالمنا الإسلامي كما فتحه من قبل في الغرب. ولعلَّ هذا هو المقصود الأصلي لأولئك الذين يروّجون لمثل هذه الآراء.

ولا أدلَّ على ذلك من كتاب (الاسس الفلسفية للعلمانية) لعادل ظاهر، فهذا الكتاب يطرح كل الشبهات التي تطرحها الهرمنوطيقيا حول النص الديني من حيث الدلالة ومن حيث السند ومن حيث أسبقية العقل على الدين وكذلك من حيث تأثير المفروضات الذهنية على الوحي لينتهي بالتالي الى ضرورة المنهج العلماني في التعامل[2].

---

١) راجع مقالنا في مجلة المنهاج اللبنانية، العدد ٢٢، ص ٢٤٨ والمنقول في هذا الكتاب ص ١٩٩.

٢) راجع كتابنا حول الدستور الإسلامي، رأي متطرف للعلمانية.

نقاط تجب ملاحظتها:

١. أنَّ أصحاب هذه النظرية رغم ارتدائهم لبوس البحث العلمي لم يقدَّموا دليلاً مقنعاً عليها.

٢. أنَّ هذه النظرية تستوجب اللغوية في كل أنماط التفاهم الإنساني.

٣. لاننكر أنَّ للمسبقات الذهنية أثرها في لغة المتكلم، إلَّا أن الأمر يختلف بالنسبة للنص الديني وناقل النص المعصوم؛ فهناك ضوابط كثيرة لتشخيص هذا التأثير.

٤. علم أصول الفقه لدى المسلمين قدّم أجوبة شافية على شبهات العلمانيين لتأكيد حصول الحجية المطلوبة من النصوص الإسلامية معتمداً في كثير من الموارد على المعطيات العرفية التي لها حجيتها القطعية.

٥. والحقيقة أنَّ مرادنا المرحلي هو معرفة مراد المتكلم قطعاً، لكي نقوم بتحقيقه للحصول على مرتبة الطاعة لتحقيق الرضا الإلهي والقيام بحق المولوية الثابت بالعقل قطعاً لنيل السعادة في الدارين.

نتيجة البحث

نرى أنَّ نقل مصطلح القراءات إلى ثقافتنا أمر خطير يجب أن نحذّر منه؛ لأنّه يحمل معه اشراطات خطيرة ولوازم سلبية يرفضها فكرنا الفلسفي والديني عموما فضلاً عن أنَّنا نملك مصطلحاً محدداً واضح المعالم هو «الاجتهاد» و «وجهات النظر» فلا حاجة إلى أي مصطلح غريب خطير.

* * *

الأحداث الإرهابية

تداعياتها والموقف الإنساني المطلوب[1]

إنّ التحدّي الذي نواجهه هو تحدٍّ للانسانية، والقضايا المطروحة على بساط الحوار هي قضايا انسانية تهمُّ كل فرد يعيش على كرتنا الأرضية، فسكان الأرض على مختلف أديانهم ومذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية هم جميعاً شركاء في المصير والغاية النهائية، الأمر الذي يفرض عليهم أن يكونوا بمستوى المسؤولية هذه ولا يفرّطوا فيها أو يتجاهلوها؛ وإلاّ فالكارثة ـ أياً كان لونها وشكلها ومضمونها ـ ستطال الجميع دون استثناء. وهذه المسؤولية سنة الهية ثابتة لا تتغير ولا تتحوّل، ويشهد التاريخ على الأمم والأقوام الذين فرّطوا في هذه المسؤولية وخالفوا تعاليم الله، كيف أصبح مصيرهم والى أية نهاية انتهوا. ولكي لا نذهب بعيداً متوغلين في عمق التاريخ، فإنّنا نشير إلى ما شهده القرن العشرون من حروب وأعمال عنف وارهاب ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر، نتيجة للتفريط في تحمّل عقلاء البشرية لمسؤوليتهم.

ومن هنا أتمنى أن يقف عقلاء البشرية على مسؤوليتهم حيال ما يجري الآن من أحداث مأساوية تشهدها بعض بلدان منطقتنا الإسلامية، جراء المغامرات وأعمال العنف التي يقوم بها بعض المتنكرين لإنسانيتهم وتعاليم أديانهم؛ بدافع

---

١) حصيلة ما ألقي في لقاءات عديدة في القاهرة وقطر وليبيا.

الجهل والتعسّف أو بدافع الغطرسة والاستكبار.

قد لا آتي بجديد هنا حين أؤكّد أنَّ جميع الأديان الالهية، وفي المقدمة الإسلام، ترفض الإرهاب والعدوان والعنف، وتستنكرها ولا تجيزها شرائعها. وهذه الشرائع السماوية تلتقي مع الفطرة الإنسانية التي فطرها الله تعالى على حب العدل والسلام والخير. وبالتالي فالعنف والإرهاب اللامشروع مدان دينياً وانسانياً، أينما كان ومن أي شخص أو جهة أو دولة صدر. فالإرهاب والعنف الذي يقوم به الأفراد مدان ومرفوض، والإرهاب الذي تقوم به المنظمات والجماعات مرفوض أيضاً، وكذلك الإرهاب الذي تقوم به الكيانات والأنظمة والدول. فكل أنواع العنف والإرهاب تغرف من إناء واحد وتشترك في أهداف ترويع الناس وقتل الأبرياء وتدمير الأهداف المدنية، بغض النظر عن الديانة أو الاتجاه الفكري والسياسي الذي ينتمي إليه الإرهابي، نصرانياً كان أم مسلماً أم يهودياً، سنياً كان أم شيعياً.

حول تعريف الإرهاب من وجهة نظر إسلامية وإنسانية

ظهرت بحوث كثيرة في السنوات العشرين عن الإرهاب حتى وصل بها البعض إلى ٦٠٠ بحث، وصدرت مجلات متخصصة، بل وانشئت معاهد علمية، واقترحت استراتيجيات حول محاربة الإرهاب، وصرفت أموال هائلة، ودربت جيوش على كيفية مكافحة الإرهاب ربما فاق عددها عدد الإرهابيين بل وربما ارتكبت الإرهاب باسم مكافحته، وعقدت الكثير من المؤتمرات لمعالجة هذا السرطان[١]، والغريب مع هذا كله هو بقاء مفهوم الإرهاب غامضاً، وبقيت التساؤلات حوله بلا جواب، وكأنّه أمر مقصود يبرّر لمدّعي مكافحة

---

١) الإرهاب الدولي، د. محمد عزيز شكري، ص ١١.

الإرهاب ممارسة أشدّ أنواع إرهابهم وغطرستهم وإبادتهم للأمم والشعوب وسلب حقوقها ومصائرها ومصادرها وكرامتها.

وقد سجل الباحث (شميد) ١٠٩ تعريفات له ثم عرفه هو بما يلي:

(الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية أو الرمزية كهدف عنف فعّال، وتشترك هذه الضحايا الفعالة في خصائصها مع جماعة أو طبقة في خصائصها، مما يشكل أساساً لانتقائها من أجل التضحية بها. ومن خلال الاستخدام السابق للعنف أو التهديد الجدي بالعنف فإنَّ أعضاء تلك الجماعة أو الطبقة الآخرين يوضعون في حالة من الخوف المزمن (الرهبة). هذه الجماعة أو الطبقة التي تمَّ تقويض احساس اعضائها بالأمن عن قصد هدف الرهبة. وتعتبر التضحية بمن اتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوي من قبل معظم المراقبين من جمهور المشاهدين على أساس من قسوة، أو زمن (وقت السلم، مثلاً) أو مكان (في غير ميادين القتال) عملية التضحية أو عدم التقيد بقواعد القتال المقبولة في الحرب التقليدية. وانتهاك حرمة هذا يخلق جمهوراً يقظاً خارج نطاق هدف الرهبة ...).[١]

وهكذا يمضي في تعريفه الطويل بما لا محصل له.

في حين يعرفه جنكينز بأنَّه (ما يفعله الأشخاص السيئون)!!

وهو تعريف غريب، فمن ذا الذي يحدد السيّئ والصالح والخيّر والشرير؟! أليسوا هم الأقوياء المستكبرون المتحكّمون في مصائر البشرية وعلى رأسهم اليوم أميركا؟

ويعرفه الاستاذ شريف بسيوني بأنَّه (استراتيجية عنف محرم دولياً تحفّزها بواعث عقائدية، وتتوّخى أحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة أو للقيام بدعاية لمطلب أو لمظلمة بغض

---

١) الإرهاب السياسي، ص ١ ـ ٢.

النظر عمّا إذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم ونيابة عنها أم نيابة عن دولة من الدول).[١]

ورغم كون الاستاذ بسيوني متخصصاً قانونياً، ورغم القبول بهذا التعريف في اجتماعات الخبراء الاقليميين في فيينا عام ١٩٨٨، فإنَّ تعريفه فيه ثغرات أهمّها تركيزه على الإرهاب الفردي، وكون تعريفه غير جامع.

وقد تابع الاستاذ شكري تطبيقات هذا المصطلح في القوانين الوطنية كالقانون الفرنسي والسوري وكذلك على مستوى القانون الدولي فوجده تعريفاً غير مكتمل.[٢]

ولقد أيّد القرار رقم ٥/٢٠ ـ س (ق) لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس فكرة عقد مؤتمر دولي بإشراف الأمم المتحدة لمناقشة موضوع الإرهاب الدولي والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل قضاياها الوطنية الثابتة وتحرير أراضيها. وتمّ عقد الاجتماع في جنيف، وقد وفقنا الله تعالى لحضوره، وكان علينا في هذا الاجتماع أن نأخذ الاعتبارات التالية:

أوّلا: الرجوع قبل كل شيء إلى المصادر الإسلامية لاستحضار الأهداف التغييرية الكبرى، ومعرفة المبادئ التي يراها مقوّمة لانسانية الأهداف والأعمال، وجعلها بالتالي الأساس الذي نحكم به على القضايا.

ثانياً: العمل على استقراء الفطرة الإنسانية الأصيلة غير المشوبة بمقتضيات المصالح الضيقة، وذلك لتشخيص أصول انسانية يمكن طرحها على الصعيد الدولي، كمعيار انساني عام، ولتكون نتائج دراساتنا شاملة لشتّى مجالات الصعيد الدولي وصالحة لتشكيل إطار عملي عام.

ثالثاً: أن نستخلص من تلك المبادئ الإسلامية والإنسانية تعريفاً عاماً جامعاً مانعاً، أي جامعاً لكل المفردات الحقيقية للارهاب ومانعاً من دخول المصاديق

---

١) حول الإرهاب الدولي، ص ١٦.

٢) الإرهاب الدولي، الباب الأوّل.

المدعاة للارهاب، والتي لا تسمح المبادئ السامية باعطائها هذه الصفة.

رابعاً: وبعد ذلك كان علينا أن نعمد إلى استعراض كل المصاديق المطروحة على الساحة الوطنية والعالمية على أساس أنَّها نماذج إرهابية نعمد إليها فنفحصها على ضوء النتائج ثم نعطيها حكمها المناسب بشكل دقيق لكي لا يقع التباس أو غموض، وينال كل عمل صفته الحقيقية.

وعلى ضوء هذه المقدمة نلخص حديثنا في نقاط:

النقطة الأولى

من نافلة القول أن نذكر أنَّ كل معسكر دولي، أو كل دولة، أو حتى كل مجموعة، لها أعداء ومعارضون، يسعى كلٌ منها للقضاء على الآخر، وعندما يلتحم الصراع فإنَّ كل طرف يحاول تحطيم سمعة الطرف الآخر، باطلاقه عليها صفات منفّرة بطبعها من قبيل (الفوضوية)، و(الاجرام)، (والخروج عن القانون)، (اللا إنسانية)، (الإرهاب) وأمثال ذلك.

بل قد نجد أنَّ أحد الطرفين يطلق مثل هذه الادّعاءات لكي ينفّذ خطة تتضمن سلب حقوق أطراف أخرى بحجة التضامن مع العدو والتآمر ضد المصالح الوطنية.

ولكي تتمَّ عملية التمرير هذه فإنَّ كل طرف يستفيد من نفوذه الدولي لإدخال قوى أخرى إلى جانبه إمّا بشكل عملي وإمَّا بشكل تأييد على صعيد المحافل الدولية، وحينئذ تتخذ القضية صفة عامة تكون الغلبة فيها غالباً لمدى الضغط والنفوذ والقدرة على التأثير بدلاً من تحكيم المنطق السليم.

ومن هنا يتمُّ التأثير على العواطف، وتستغل الأحاسيس لتنفيذ هذه الخطط المصلحية تحت شعار: (رفض الإرهاب) مثلاً. ذلك أن الإرهاب أمر مدان انسانياً (إذا غضضنا النظر عن دوافعه وأهدافه)، ولا يمكن أن يرضى إنسان سليم النفس بتهديد ما يرتبط بالإنسان من كرامة وحرية ومال وعرض وأمان وعمل وغير ذلك، وهذا الشعور فطري أصيل لا غبار عليه.

النقطة الثانية

إنّنا إذا تتبّعنا المدلول اللفظي لكلمة (الإرهاب) من جهة واستعرضنا المساقط المطروحة لها على الحياة الإنسانية، لاحظنا أنَّ الإرهاب يمكن أن يتمّ على أصعدة مختلفة. فهناك الإرهاب المهدّد للأمن والعرض والمال وأمثالها، وهناك الإرهاب الثقافي الممزّق للشخصية الإنسانية، والسائق نحو هاوية الضياع واللاهدفية، وهناك الإرهاب الاعلامي الذي يفقد الإنسان حريته في التنفس الحر في فضاء غير ملوث. وهكذا يمكننا أن نسمّي الكثير من أنواع الإرهاب كالإرهاب الاقتصادي، والإرهاب العلمي، والإرهاب الدبلوماسي والإرهاب العسكري وغير ذلك.

إلَّا أنَّ هناك تقسيماً فعلياً على أساس القائمين به، وهو تقسيم يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، ونعني به تقسيمه إلى الإرهاب الرسمي والإرهاب غير الرسمي. ويشمل الإرهاب الرسمي ـ وهو أخطر القسمين ـ كل عمل مؤيد من قبل جهة أو دولة معترف بها دولياً سواء كان القائم بهذا العمل هو جيش هذه الدولة، أو عناصر فردية، وربما كانت عملية مسخّرة لصالح الجهة المذكورة. ويقف في قباله الإرهاب غير الرسمي.

النقطة الثالثة

يمكننا أن نركّز في أي عمل أو سلوك على عنصرين مؤثرين:

الأوّل: دوافع العامل.

الثاني: تقبل الإنسانية للعمل نفسه.

وهما أمران غير متلازمين، فقد تكون الدوافع الشخصية للعامل انسانية في نظره، إلّا أنّها لا تعتبر كذلك على الصعيد العام. وقد يكون العكس، فلا يستهدف العامل غرضاً انسانياً، أو ربما استهدف غرضاً لا انسانياً في تصوّره، إلَّا أنه يعتبر من وجهة النظر العامة عملاً انسانياً.

ومن هنا تختلف زوايا النظر إلى العمل لكي يتم الحكم عليه بالقبح أو بالحسن (وللعلماء الاصوليين المسلمين بحوث قيمة في مسائل التقبيح والتحسين العقلية لا مجال للتعرض اليها هنا) وما يجب ذكره هنا هو أنّه لا يكفي أي من العنصرين لوحده في منح العمل صفة القبول أو الرفض أو الحكم عليه ايجاباً أو سلباً، وإنّما يجب ضمان الايجابية في العنصرين ليتم المطلوب.

وعليه، فنحن في حاجة لضمان الموضوعية في بحثنا هذا إلى أن نتعرف على المعيار الذي يشخص تقبّل العمل وانسانيته، وذلك من وجهتي النظر: الإسلامية والبشرية العامة.

أما من وجهة النظر الإسلامية، فعلينا أن نرجع لكل الأسس والمفاهيم والأحكام التي ترتبط بأي نوع من الارتباط بقضايا الإرهاب ـ حسب معناه اللغوي ـ وذلك بهدف إعطاء تعريف عام للارهاب المدان، أي الإرهاب المرفوض إسلامياً باعتباره مخالفاً لمسيرة الكمال الإنساني التي رسمها الله ـ تعالى ـ للبشرية من خلال نظرية الفطرة، وخطط لها عبر الوحي.

وعند الرجوع إلى التعاليم الإسلامية نجد الإسلام غنياً جداً في هذا المجال، ونلاحظ أنَّ الفقهاء الإسلاميين تعرّضوا لمختلف الحالات التي ترتبط بالموضوع.

ـ فهناك أحكام البغي، أي خروج الفئة المسلحة على الحكومة الشرعية العادلة، وعملها على إرعاب المجتمع، وتحقيق أهداف سياسية تمزيقية لوحدة الأمة.

ـ وهناك أحكام الحرب وأخلاقها.[١]

ـ وهناك أحكام الحرابة التي عرفت بأنّها (تجريد السلاح برّاً أو بحراً، ليلاً أو نهاراً، لإخافة الناس في مصر أو غيره من ذكر أو أنثى، قوي أو ضعيف

---

١) راجع مقالنا حول الموضوع تحت عنوان (أحكام الحرب والاسرى... بين الرحمة والمصلحة) في الدورة السابعة من دورات مجمع الفقه الإسلامي.

وهـــي مســـتقاة مـــن قولـــه تعـــالى: (☎✃➚♦🕐♦❽⍓♉ ♏⍓☺❄☼♈♫ ☎✃➚♦🕐♦❽⍓♉ ⅄✎♏✃ ♦♌❑🡐♐♂❻♏◘♦➚⑥ ♦✖⇦♎♔⅄✎♏✃ ❼♈✖ ♦♌⬀❑⍓➔⬄○♦③◆❒ 🕐⬉🕮⬩✎❑🡐♒◆❻◆❒ ☎✃☑❑➔🖬✸☝⬩♫⬉③ ♌❒🕮 ✃🕖⑩♏✿○⬩▫ ⭍⮟⬀❻☞🏵♏✃ ⍓➚⅄➲⬩♫➔✍ ⬃❒❒🕮 ☎✃☑❑🡐⌛❄🖬✿🕐⬉③ ⬃❒❒🕮 ⇳♊♎♓✌ ☠🡐♑➔🖬⬉♉⬀❻❒🕮◆❒ ⬄🏱♈♑③♎⑨⬃③❒🕮 ♐⮫♎✌ ☎✃⬀❑☒▩✡⬉③ ⬃❒❒🕮 ✌✃🕐■🖬⮹⌘ ❼♈✖ ♂❽⬃❽⮹⌘ ⬄🏱🡐♑⬩♍ ♐①♎♍🕔⬩❶ 🗐 ⭍⮟⬀❻☞🏵♏✃ ❼♈✖ ⬄🏱🡐♑⬩♍◆❒ ☎ ♏◆⓿⬃☼❻⑨♍♏✃ ⬋🏱⑩♎⭢♦⬉ ⬉☹✃☒⓿♦⬉ ♂❑♦❷⮹⌘☞⍓♏✃)[١].

والآيـة ـ كمـا يلاحـظ ـ ذكـرت الموضـوع والهـدف، وهـو حـرب المجتمـع والإفساد في الأرض، كما ذكرت العقاب الأليم الذي يجازون به، ممّا يدل على اهتمام الإسلام بالموضوع.

ـ وهناك أيضاً أحكام السرقة والقتل.

ـ كما أننا نواجه في النصوص الإسلامية مصطلحات تتصل بهذا اللفظ من قبيل (الفتك) و(الغيلة) و(الائتمار).

ـ كما أنَّ هناك نصوصاً لاحترام العهد والميثـاق إلـى أقصـى حـد الاحتـرام، فتجب رعايته مادام الآخر ملتزماً ببنوده.

هذا، بالإضافة إلى مقتضيات النظام الأخلاقي الإسلامي وهي أمور لا يفهم القانون الوضعي لها معنى، إلّا أنّها ذات أصالة في هذا النظام، فإنَّ الكذب يقبح فيصل إلى مستوى الكبائر، وكذلك النميمة، وهكذا نجد الإسلام يعمل بجد على حمايـة كـل أنمـاط الحريـة الإنسـانية الصـحيحة، والـدفاع عـن كرامـة الفـرد

---

١) المائدة، ٣٣.

والمجتمع، وتماسكه، ووحداته العائلية ويعتبر أي اعتداء على ذلك جريمة كبرى يعاقب عليها بأشد العقوبات، التي تصل إلى حد الاعدام والصلب وأمثال ذلك.

ويطرح الإسلام مبدأ (المسؤولية الشخصية) ويعتبر أي اعتداء على الأبرياء جريمة كبرى، ويركّز على حماية الضعفاء والمساكين والمستضعفين، وربما أوجـــب الجهـــاد لحمـــايتهم {❒◆✌♦✍♏●♒▤➚✍🖃⇗ ●●

★✏✍✂ ⇪✍⓿⌛⌧♌ ❼⌛× ♦♌❑➔🗟♋✋🕐●🕒➔✍

♏⇗♋✌ ❒◆✂✍♒◎♒⬂☺⇦○⇔☜♦♋⇳➔⌧▦✓×♦

✂✍♒◎❷⌘⌧♊⌧⍝✌⇙ ❒◆✂✍♒✡♓♋○✿✍✏➚♋...}[1].

ويطلب إلى المسلم أن يكون إلى جانب المظلوم دائماً حتى ينتصف له.

فهذا الامام علي× يوصي ولديه قائلاً: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»[2] وهو القائل: (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه) [3].

ولعل ذكر القرآن الكريم لنعمة الأمن (وآمنهم من خوف) خير دليل على الأهمية التي يوليها له. ولا يسع المجال للتعرّض لكل هذه الأمور وإنّما نريد أن نقرر هنا أن المعيار الأوّل في تشخيص توفر الإنسانية في نية العامل والقبول العامل لها هو (الدين) بمجموع مفاهيمه وأحكامه وروحه العامة والملاخظة في كل الموارد المذمومة وجود عنصر (العدوان)على حقوق الآخرين.

وعندما نحاول الالتفات إلى الاطار الثاني وهو الاطار البشري العام، فإنّنا نستطيع أن نقبل الأصول التي أجمعت على اعتبارها البشرية، ممثّلة بأجهزتها

---

١) النساء، ٧٥.

٢) نهج البلاغة، ج٣، ص٧٦.

٣) نهج البلاغة، ج١، ص٨٩.

الرسمية، ومنظماتها الشعبية، وحسّها، ووجدانها العام، لنجعلها مقاييس أخرى لتشخيص موضوع توفّر الصفة الإنسانية أو ضدها في نية العامل والقبول العام الآنف ذكره (وإن كنا نعتقد أنَّ المعيارين يلتقيان في الغالب).

وكمثال نضربه لما سبق: لنلاحظ اجماع البشرية اليوم على منح الصفة اللا إنسانية للأمور التالية:

ـ الفحشاء وتمزيق العلائق العائلية.

ـ المخدرات وتمزيق الشخصية العقلانية.

ـ الاستعمار وتمزيق كرامة الشعوب ونهب خيراتها.

ـ العنصرية وتمزيق الاخوة الإنسانية.

ـ الاعتداء على كل الحقوق المعترف بها ونقض المواثيق.

ـ قصف المناطق الآهلة بالسكان، واستعمال الأسلحة الكيمياوية والنووية والبيولوجية، والاعتداء على الطيران المدني، وعلى السكك الحديدية الأهلية، وعلى السفن التجارية والسياحية، وأمثال ذلك من الأساليب المدانة بشرياً في الحروب.

إنَّ هذه النماذج أمور لا يختلف اثنان في عدائها للانسانية، ولذا فهي وأمثالها تشكّل معايير مقبولة في مجال تعريفنا هذا، كما أنّ أي عمل على محوها ومقاومتها يعدُّ عملاً إنسانياً ينبغي أن يدعم، إن لم يصاحبه خرق لقيم إنسانية اخرى.

النقطة الرابعة:التعريف المختار للإرهاب

بعد كل ما تقدم نستطيع أن نصل إلى تعريف جامع للأعمال الإرهابية المدانة، ونتّفق عليه، ونصوغ مواقفنا على أساسه.

وقبل أن نعرض ما نقترحه من تعريف، نذكّر بأنَّ علينا أن نلاحظ فيه

العناصر التالية:

١. الترهيب وخرق الأمن بشتّى أنواعه.

٢. النية والدافع الفعلي اللاإنسانيين.

٣. عدم قبول البشرية لهدف العمل ونوعه.

٤. انسجام الوسيلة والهدف.

ولهذا يمكن أن يكون تعريفنا على النحو التالي:

الإرهاب: هو كل عمل يتنافى من حيث الوسيلة والهدف مع القيم الدينية والإنسانية، ويتضمّن تهديداً للأمن بأي نوع من أنواعه، وعدواناً علي الحقوق.

وللتوضيح نذكر النقاط التالية:

١. أنّنا نستعمل المصطلح البشري بدلاً من الدولي لكي نحقق الاجماع الرسمي وغيره للتأكُّد من الحكم الإنساني العام.

٢. لاحظنا عنصري الوسيلة والهدف.

٣. أشرنا إلى أنواع الإرهاب بعبارة: (للأمن بأي نوع من أنواعه).

٤. ذكرنا المعيارين الديني والبشري معاً لكي ننسجم مع إيماننا أوّلا، ونعمّم المقياس ثانياً.

٥. وكما يلاحظ، فإنَّ كون العملية عنيفة لايعدُّ شرطاً في صدق صفة الإرهاب.

٦.لاحظنا عنصر (العدوان) وهو جوهر القبح فيه.

وعلى ضوء هذا التعريف يمكننا أن نتحقق من الصفات الإرهابية التي تطلق على هذا العمل أو ذاك، ونتأكَّد من أنَّ هذه الصفة لا تنطبق على:

أ. أعمال المقاومة الوطنية التي تمارس ضد المحتلين والمستعمرين والغاصبين لاغير.

ب. مقاومة الشعوب للفئات المفروضة عليها بقوة الحديد والنار.

ج. رفض الدكتاتوريات وأنماط الاستبداد وضرب مؤسساتها.

د. مقاومة التمييز العنصري وضرب معاقله.

هـ. الردّ بالمثل على أي اعتداء إذا لم يكن هناك مناص من ذلك.

وكذلك لا تنطبق على كل تحرك ديمقراطي لا يصاحبه ارهاب حتى ولو لم يكن يحمل هدفاً انسانياً. كما أنَّه لا ينطبق على الأعمال المخربة الفردية التي لاتمتلك تأثيراً اجتماعياً:

وهذه الأعمال ـ وأمثالها وإن كانت مدانة من جهة أخرى إلّا أنَّها بالتأكيد ليست أعمالاً ارهابية.

هذا في حين ينطبق التعريف على:

أ. أعمال القرصنة الجوية والبحرية والبرية.

ب. كل العمليات الاستعمارية بما فيها الحروب والحملات العسكرية.

ج. كل الاعمال الدكتاتورية ضد الشعوب، وكل أنماط الحماية للدكتاتوريات فضلاً عن فرضها على الأمم.

د. كل الأساليب العسكرية المخالفة للأعراف الإنسانية: كاستعمال الاسلحة الكيمياوية والنووية والبيولوجية، وضرب المناطق الآهلة، ونسف البيوت، وترحيل المدنيين، وأمثال ذلك.

هـ . كل تلويث للبيئة الجغرافية والثقافية والاعلامية، وربّما كان الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب.

و. كل تحرّك يؤدّي إلى ضعضعة الاقتصاد الدولي أو الوطني، والإضرار بحال الفقراء والمحرومين، وتعميق الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، وتكبيل الشعوب بأغلال الديون الباهضة.

ز. كل تحرك تآمري يعمل على سحق إرادة الشعوب في التحرّر والاستقلال، وفرض الأحلاف الشائنة عليها.

وهكذا يمكننا أن نتابع ضرب الأمثلة على مصاديق التعريف المذكور.

النقطة الخامسة

بالرغم من أنّ الكثير من الاجتماعات والمحاولات قد عقدت لمكافحة

الإرهاب إلَّا أنَّها اخفقت في الغالب لأمور:

منها: أنّها لم تقم على أساس انساني، دولي، بل استهدفت تحقيق المصالح الضيّقة قبل كل شيء.

ومنها: أنّها لم تعالج الظروف التي تخلق الإرهاب، ولم تبحث عن علله الحقيقية. ومن الطريف أنّ الولايات المتحدة الاميركية وهي أم الإرهاب الدولي والتي أوجدت كل ظروف قهر الشعوب واحتلالها وتقوية الأنظمة الدكتاتورية واحتلال الأراضي والاعتداء على المناطق الآهلة وما إلى ذلك هذه الدولة تعمل على عقد ندوات لمكافحة الإرهاب وتقصد به كل عمل يخالف مصالحها الاستكبارية.

قتل امرء في غابة جريمة لا تغتفر   وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

الذي نراه حالياً هو أنَّ الدول الكبرى تحاول بالقوة والإكراه أو بالدعاية والإعلام فرض تعريفها وفهمها للارهاب على الدول والشعوب الأخرى، وهو تعريف وفهم مفصّل على مقاس الدول الكبرى ومصالحها الخاصة، ثم هي تعطي لنفسها الحق في تطبيق فهمها عملياً في كل بقعة من بقاع العالم، وكأنَّ الأرض ملك لها، وكل بلدان العالم تشكّل عمقاً أمنياً لها، ولا ندري من الذي أعطاها هذين الحقين: فرض تعريفها على الآخرين، وتطبيق فهمها على الجميع. بل أنّها راحت تلعب دور المدّعي والقاضي والمنفّذ متجاهلة حتى الأمم المتحدة والمحاكم الدولية!!

وللأسف فإنَّ هذه الحالة يعيشها نظام الولايات المتحدة الاميركية بكل تفاصيلها، فأي عمل لا يلتقي مع تحقيق مصالحها الخاصة، سواء كان سياسياً ام عسكرياً ام اقتصادياً ام ثقافياً، فإنَّها تعتبره عملاً ارهابياً، بل أنَّها تعتبر كل من لا يؤمن بهذه المقولة إرهابياً، ولا أدري أية معادلة هذه وعلى أية قاعدة دينية أو انسانية أو قانونية تستند؟! حتى قال حكّامها بأنَّ الذي لا يكون معنا فهو مع الإرهاب والإرهابيين!! وهذا دليل صارخ على طبيعة رؤية أميركا لنفسها

وللآخر، فهي تنظر للآخر من خلالها. وعلى هذا الأساس نحن نرفض هذه التعريفات الخاصة والفهم الذاتي وندعو لفهم انساني موضوعي للارهاب وتعريف حقيقي لظاهرته.

احداث ١١ سبتمبر والهجمة ضد الأمة الإسلامية

لا يتردّد عاقل أو متدين في أنَّ أحداث ١١ سبتمبر هي عمل إرهابي مدان وأنَّه عاد على البشرية بالفساد الكبير، وأنَّه دفع بقوة عظمى نحو خطة جهنّمية تسلطية تستهين بكل القيم وتتجاوز كل الأعراف الإنسانية والمعاهدات الدولية لتفرض هيمنتها على الشعوب بل وتفلسف هذا الاعتداء وتعتبره أخلاقياً[١].

وهكذا شهدنا الإستراتيجية الاميركية التي تمّ وضعها في التسعينات بعد تعاظم أمر الإسلام الشمولي من جهة وانهيار الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى والتي وضعت مسألة محاربة ما أسمته بـ (الإسلام المسلح) أو (الإسلام السياسي) أحد أهدافها الكبرى بالاضافة لهدف التفرد في قيادة النظام العالمي الجديد نعم شهدنا التأكيد على هذه الاستراتيجية والإسراع في وتيرتها وخصوصاً ضد الأمة الإسلامية.

وكان التأكيد على خطة واسعة الأبعاد نشير فيما يلي إلى بعض جوانبها:

أوّلا: التشكيك في قيم الحضارة الإسلامية ومفاهيمها وهناك الكثير من الأمثلة التي طالعنا الغرب بها، كتفضيل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية من قبل مسؤول ايطالي، وتفضيل العقيدة المسيحية في الصفات الالهية على العقيدة الإسلامية. والحملة ضد مفاهيم الجهاد وتصورات الإسلام لحقوق المرأة وغيرها.

ثانياً: تعميق الحقد الغربي والعداء للاسلام وكل ما هو إسلامي ومهاجمة

---

١) راجع نص الوثيقة التي أصدرها ٦٠ من المنظرين الاميركيين وقد قام بعض المفكرين الإسلاميين من شتى الدول بالرد عليها.

المساجد والمراكز الإسلامية والتضييق ضد الأقليات المسلمة وتوجيه أصابع الاتهام حتى للدول التي كانت تعتبرها صديقة لها، وبالتالي العمل على منع الهجرة حتى القانونية رغم حاجة اوربا للهجرة.

ثالثاً: مهاجمة بعض الشعوب الإسلامية بشراسة بتهمة ايوائها للارهابيين وهذا ما حدث لأفغانستان الجريحة ومازالت بعض الشعوب الإسلامية مهدّدة.

رابعاً: الحكم على بعض الدول الإسلامية بأنها محور الشرّ وما زال الخطر يتهدّدها كل آن، كما أنَّ بعض الجهات شبه الرسمية هدّدت باستخدام القنابل الذرية ضد بعض الدول.

خامساً: تم التخطيط لحملة اعلامية وبوليسية ضخمة لضرب المؤسسات المالية الإسلامية والمؤسسات الخيرية الدعوية وتمَّ الضغط على الدول لتغلق هذه المؤسسات.

سادساً: كما تمَّ التخطيط لضرب المؤسسات التعليمية الإسلامية وإفقادها استقلالها كما تدخّل الغرب بوقاحة لدى الدول الإسلامية لتقوم بتغيير مناهجها التعليمية وفق ما يرتئيه الغرب من تصور.

سابعاً: هناك خطوات نلحظها لتهميش دور المؤسسات الإسلامية الدولية.

ثامناً: تصعيد الحملة التي بدأها الغرب بنفسه أو من خلال عملائه قبل الأحداث في مجال نشر المفاسد الأخلاقية والخلاعة والتحلّل والاستهانة بالمقدسات وإضعاف اللغة العربية وترويج العامية ومحاربة الحرف العربي (كما في آسيا الوسطى) وإشاعة العلمانية وتعميق الخلافات بين الدول الإسلامية وتداخلها ومحاربة عنصر (الاجتهاد) والتشكيك في صلاحية الإسلام لهذا العصر وضرورة الاتجاه نحو تطبيق قيم الحضارة الغربية وغير ذلك كثير.

تاسعاً: أهم الجوانب محاولة إغلاق الملفات المزعجة وفي طليعتها قضية فلسطين فقد اعطت اميركا الضوء الأخضر لشارون ليقوم بتصفيتها واستفاد

هذا من ظروف الرعب وجعل عمليته ضد الفلسطينيين جزءاً من المرحلة الثانية للحرب ضد الإرهاب وقام بما يندى له جبين الإنسانية وساعدته اميركا بكل وقاحة وصراحة ونسى الغرب كل تاريخه في تمجيد المقاومة وكل شعاراته في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والشرعية الدولية، وحتى جرائم العدو الصهيوني في مخيم جنين لم تستطع الأمم المتحدة رغم صدور قرار بذلك أن تحقّق فيها وهي في الأصل واضحة للعيان وموثقة ومشهود لها من قبل شخصيات دولية.

الموقف الصحيح على المستوى الدولي

وكخطوة استراتيجية من أجل ردع الإرهاب بكل أشكاله ومضامينه ومصادره، نرى ضرورة قيام منظمة الأمم المتحدة بالتصدّي لهذا المشروع وتبنّيه، شريطة إحداث آليات جديدة تحول دون قيام الدول الكبرى بحرف المشروع باتجاه مصالحها الخاصة، وممارسة الضغوطات على المنظمة لتسير طوع أهدافها الاستكبارية. ومن هنا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة أن تكون مرجعاً عالمياً للحملة الشاملة ضد الإرهاب وفرض السلام العادل في الأرض. ونرى انَّ مقدمات هذه الحملة تتمثّل في:

١. المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول العضوة في منظمة الأمم المتحدة، ومنع هيمنة دولة أو أكثر على قراراتها، ولا سيما ما يرتبط بالآلية غير العادلة التي يضع مجلس الأمن الدولي قراراته من خلالها. فهذه الآلية تسبّبت مثلاً في استمرار الإرهاب في أكثر من بقعة من بقاع العالم، ولا سيما في فلسطين، إذ استخدمت الولايات المتحدة الاميركية حق الفيتو عشرات المرات لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يكبح جماح الإرهاب الصهيوني.

٢. رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والشعوب المجاورة لفلسطين، والتي تتعرّض للانتهاكات والإرهاب من قبل الكيان الصهيوني.

٣. إحداث آلية دولية تمنع استمرار دعم الدول الكبرى للأنظمة والكيانات الدكتاتورية والعنصرية، وكذلك المنظمات والجماعات الإرهابية.

٤. محاربة الفقر والجهل والتعصّب الأعمى والمرض وكل مظاهر التخلف وكذلك أمراض المدنية الحديثة، ووسائل الاعلام والفن التي تشجّع على العنف، والعنصرية وتضعف المعنويات والقيم الأخلاقية على مستوى العالم أجمع؛ لأنّها تمثّل الأرضية الطبيعية التي تترعرع فيها النزعات الإرهابية.

ويتمّ العمل بدلاً من ذلك على:

أ. تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان.

ب. تشجيع الديمقراطية المنسجمة مع القيم.

ج. المساعدة على تنفيذ برامج التنمية في العالم.

د. تقوية المنظمات الدولية وحذف عناصر الهيمنة فيها.

هـ. الارتفاع بالمستوى المعنوي والقيم الأخلاقية وتعميق دور الدين في ذلك واحترام الأدوار العائلية في عملية البناء الاجتماعي.

و. توجيه الحالة المعلوماتية لخدمة البشرية.

ز. انسنة الفن واستخدامه لصالح الأهداف العليا وغير ذلك.

٥. الحيلولة ـ بكل الوسائل ـ دون استغلال الدول الغربية الكبرى للأحداث وتحويلها إلى صراع حضارات وحرب بين الأديان وتصفية حسابات مع بعض الأنظمة، على حساب الشعوب.

٦. تخفيف معاناة شعب افغانستان، ودعمه بالغذاء والكساء والملجأ والدواء وغيرها من وسائل العيش الابتدائية والعمل على تحقيق الانسحاب التام للقوات الاميركية وغيرها.

٧. استمرار الحوار بين عقلاء البشرية من أتباع الأديان والحضارات والمذاهب، وتكثيفه وتعميقه، بهدف خلق رأي عام عالمي يمارس دوره في نشر العدالة والسلام والمحبة بين جميع شعوب العالم.

ولا شك أنَّ السلام الذي ننشده وتنشده البشرية هو السلام العادل الذي تتكافأ فيه الفرص، ويعطي كل ذي حق حقه، وينصف فيه المظلوم، ويعاقب المعتدي، إذ أنّ السلام العادل هو الكفيل فقط باقتلاع جذور العنف والإرهاب، أمّا السلام المفروض وغير العادل فهو التسطيح للمشكلة والإبقاء عليها ناراً تحت الرماد؛ لأنَّ المجرم يتساوى فيها مع الضحية، وتضيع جرّاءه الحقوق، وتكون سياسة الأمر الواقع هي الحكم. وبالتالي ستعود أعمال العنف كما كانت وربّما بكثافة أكبر. وهذا ما يجعل السلام غير العادل سبباً في استمرار المشاكل وبؤر التوتر، وهو ما نشهده في أكثر من بقعة من بقاع العالم.

الحل على مستوى الأمة

إنَّ الحل على مستوى الامّة يكاد يكون من الواضحات ويتركّز على ما يلي:

أوّلا: رفع مستوى الوعي لدى جماهير امتنا في مختلف المجالات (فهم الإسلام وأهدافه، فهم الواقع القائم، فهم الموقف).

ثانياً: العمل على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الشؤون الحياتية.

ثالثاً: تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

رابعاً: العمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الأمة عملياً ولا نريد لهذا العمل أن يكون خيالياً، كما لا نريده أن يكون استسلامياً بل يجب أن يتّبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الأهداف المرسومة.

خامساً: العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وايجاد ما يلزم ايجاده، ومنحها حرية أكبر في التحرّك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

سادساً: وضع خطة شاملة للاستفادة الأفضل من الامكانات السياسية والاقتصادية والاعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة.

سابعاً: العمل على حل أو التغافل أو تأجيل بعض النزاعات الجانبية أو الثانوية خدمة للهدف ألاهم واستجابة لقضية التزاحم في الأولويات.

ثامناً: الشدُّ من أزر الأقليات المسلمة ـ وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم ـ بالتأكيد على وجودها أوّلا ووحدتها ثانياً وهويتها ثالثاً، وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الأمة الأم.

تاسعاً: التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الاغاثة والدعوة، وعدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية المذهبية والسياسية.

عاشراً: الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدّي دورها المطلوب على وجه أتم.

حادي عشر: الاستفادة الأفضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الأخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة.

ثاني عشر: الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية وأهمها قضية فلسطين.

وفي هذا المجال نقترح:

١ـ تضافر كل الجهود الإسلامية لافشال خطط العدو الصهيوني لتركيع الشعب الفلسطيني وإنهاء الانتفاضة الباسلة بدعم صموده وانتفاضته الباسلة ومقاومته الشجاعة.

٢ـ القيام بحملة لدعم المنكوبين وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسد جانب منه.

٣ـ ضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية إسلامية وتعبئة كل الطاقات الإسلامية لذلك.

٤ـ ضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الامكانات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية.

٥ـ عدم السماح لأميركا للاستفراد بالقضية وأمثالها، وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية.

٦ـ لزوم التفكير الجدّي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني

الغاصب ومن يدعمه بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فوراً.

٧. لزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال خصوصاً في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية.

٨. لزوم العمل دولياً على وضع تعريف شامل للإرهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة.

٩. ضرورة اعطاء الغطاء الشرعي للمقاومة الفلسطينية عموماً وللعمليات الاستشهادية خصوصاً.

١٠. لزوم الاستفادة الفعّالة من إمكانات المنظمات غير الحكومية على غرار ما جرى في مؤتمر (دوربان) في جنوب افريقيا.

* * *

العولمة وموقف الأمة[1]

الوضع الطبيعي

إذا أردنـا أن نعـرض الواقـع الطبيعـي للعـالم فإنّـه ينبغـي أن نعرضـه علـى مستويين. تارة على المستوى النظري، من وجهة نظر الإسلام، وأخـرى علـى المستوى الواقعي الحالي القائم.

أمّا على المستوى النظري فإنَّ الإسلام يرى كون الوضع الطبيعـي للبشـرية إنّما يتم إذا قام نظام عالمي شامل له قانون واحد، وله إمام واحد، يمتلك قوانين منسجمة مع الفطرة الإنسانية، باعتبار أنّ الفطرة الحد المشترك بين الأفـراد. والدين ينسجم تمام الانسجام مع هذه الفطرة، وهي سنة الله فـي خلقـه كمـا فـي الآيـــة الشـــريفة (◻🙰➲⇳❷♦☠ ✁☙✎★ ✁☙☙◉ᘓ⮝☹☞⊘◻⬧➲⬧❷♦
✁☙◉ᘓ☪◻☙◻“ ⬂♦🖬■❸⬀&◻☙ 🗐 ⬧⬧ ✍⬧⌨⬀⑨🙰③✍•
◉ᘓ🙰➲⮹🖬◻🖃⮳ ✁☙✎★ 🗐 ❶⬧🕓◉ᘓ🙰①☚ ✁☙✎☙♏🙰⇦◻⮛
✁☙◉ᘓ⬂◗⬧⑩⯐⊘⚐❶)[2]، وهـذه الفطـرة تقتضـي اللجـوء إلـى الله تعـالى، واستمداد الشريعة في أصولها مـن الله تعـالى؛ لأنَّـه أعلـم بمـا يصـلح الإنسـان، ويحقّق العدالة في هذا الإصلاح، لأنّه تعالى الخالق العليم الرحيم فلا حيـف ولا ظلم ولا جهل، والرسالة التي تأتي من الله تعالى تعتمد منطق العدل والاحسان.

---

١) قدِّم إلى المؤتمر الرابع عشر لمجمع الفقه الإسلامي في قطر ١٤٢٣.

٢) الروم، ٣٠.

والعدل يقتضي عدم التمييز إلّا بالصفات التي يكتسبها الفرد، وهذه الصفات هي التقـــــوى ([illegible])[١]، والجهـــــــاد ([illegible])[٢]، والعلم ([illegible])[٣]، كما أنّ هذه الرسالة تقتضي اتباع منطق الشورى في الحكم، هذا هو التصوّر الاجمالي للوضع الطبيعي للبشرية ـ على المستوى النظري: مجتمع واحد وإمام واحد وقانون واحد يستمدّ أصوله من هداية الله تعالى، ويسير وفق التشريع الإلهي.

أمّا على المستوى الواقعي الحالي فإنّنا إذا لاحظنا الوضع الحاضر فإنّه يبدو أنّ الوضع الطبيعي للعلاقات الدولية والنظام الحاكم في الأرض يقتضي أن تكون هناك أمم متحدة، وقانون دولي واحد ومنظمات دولية واحدة تنظّم هذه العلاقات، ويقوم هذا النظام على أسس منها:

١ـ احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

٢ـ احترام الثقافات المتنوعة.

٣ـ اتباع سياسة عامة لمحو الفقر ودعم العدالة الاجتماعية.

٤ـ دعم الديمقراطية في إطار احترام القيم التي يؤمن بها المجتمع.

٥ـ اتخاذ منطق الحوار للوصول إلى المشتركات والتعاون في هذه المشتركات وذلك على المستويات كافة، سواء كان حواراً بين الحضارات أو

---

١) الحجرات، ١٣.

٢) النساء، ٩٥.

٣) الزمر، ٩.

بين الأديان أو بين المدارس والمذاهب المختلفة.

٦. الارتفاع بالمستوى العلمي الإنساني، والتعاون بين الدول في هذا المجال.

٧. دعم قضية السلام العالمي العادل.

٨. نفي الاحتلال والظلم والإرهاب بأنواعه.

٩ فتح المجال للمعلوماتية البنّاءة النافعة للبشرية.

١٠. عدم السماح للأفكار الهدّامة التي تسيطر على البشرية بالظهور، من قبيل النازية والفاشية والعنصرية والصهيونية وباقي الأفكار الشيطانية بإجماع البشرية.

عناصر مهمة في العلاقات مع الآخرين في رأى الإسلام

وهنا نودّ أن نجمل الأمر، فنذكر بعض العناصر التي تلعب دورها الكبير في تحديد نوعية العلاقات الدولية للسياسة الخارجية الإسلامية، إلاّ أنّنا قبل ذكر هذه العناصر، نشير إلى الأساسين الرئيسين، اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإسلامية، وهما:

١. المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم.

٢. الروابط والرحمة الإنسانية، والصلات الخلقية.

والواقع أنَّ كل التشريع الإسلامي يستقي من هذين المعنيين، بل يمكننا القول ـ عند التعمّق ـ أنَّهما يعبّران عن موقف واحد، فلم يكن الإسلام ليقصد إلاّ أن يضع الإنسان على طريق تكامله، ويفجّر طاقاته، وينفي عن حياته كل المعوقات التي تقف في وجه مسيرته، المستمدة من هدي الرسولين، الداخلي والخارجي، أي الفطرة والتشريع.

والواقع الذي لاشك فيه أنّ الواقعية والروح المناقبية تعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتّى جوانبه، وما سنراه فيما يلي من أسس إنّما ينبثق عن هاتين الصفتين الرئيسيتين.

أمّا العناصر التي وددنا التركيز عليها في نظرتنا السريعة هذه، فهي كما

يلي:

أوّلا: العمل على إبقاء الأمة نموذجاً أعلى للمجتمعات البشرية:

فالأمة الإسلامية التي يصفها القرآن: هي الأمة الوسط، والوسطية هنا بلا ريب يراد بها النموذج الأسمى، وما يمكن استفادته من تعبير واسطة العقد، حيث الجوهرة الثمينة التي تتبعها الجواهر الأخرى فيه. وهي الأمة الشاهدة، وهي خير أمة أخرجت للناس، وعلى هذا فالسياسة الخارجية الإسلامية تسير بشكل منسجم مع مجموع السياسات الداخلية باتجاه تحقيق هذا الأمر بشتّى الوسائل والسبل، أي سواء على الأصعدة السياسية، أو الاعلامية، أو الاجتماعية، أو العسكرية، أو غيرها.

إنَّ هذا العنصر يدفع الأمة إلى التعالي والتكامل في كل حقل، والاستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، واستغلال كل تسابق في سبيل تحقيقه.

إنَّه يعني الانفتاح على كل مجالات الحياة، وحمل رسالة إنسانية حضارية كبرى، نقول هذا ونحن نعترف بأنّ أمتنا ـ نتيجة عوامل كثيرة ـ قد اقصيت عن هذا الدور الطليعي الذي أهّلت له، ولكن هذا لا يعني أن لا تظل تلحّ على الوصول إليه، أو تنساه عندما تحاول أو تؤصل أيّة علاقة دولية.

ثانياً: المبدئية في التعامل:

وهي سمة عامة في كل خط سياسي سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ذلك:

إنَّ الدولة الإسلامية دولة عقائدية، تؤمن بمبادئ تصورية تقوم على أساس منها خطوط عملية تستوعب حياة الإنسان الفرد والمجتمع.

ولهذا فهي تقترب من الآخرين بمقدار قربهم من المبدأ، وتبتعد عنهم بنفس المقياس، وهي لا تتعامل معهم إلّا من خلال الامتدادات التي يسمح بها المبدأ... فعلى ضوء المبدأ يتحدّد نوع العلاقات الدولية، وكونها ودّية، أو حسنة، أو

سيئة في الأصل.

أما العلاقات الاخوية فلا تقوم إلَّا بين المؤمنين، وذلك لأنّها علاقات سامية، قد تعني وحدة الأفراد في مختلف الشؤون وليس هناك إمكان أن يصلها أناس يختلفون على قضية الإيمان.

ثالثاً: نفي السبيل على المؤمنين:

وتعتبر هذه القاعدة من أروع قواعد السياسة الخارجية، وربما كانت في بعض جوانبها تطبيقاً للقاعدة الأولى، كما تعبِّر عن علو الإسلام على غيره من الأنظمة، وكرامة المسلمين التي يجب أن لا تُمسَّ مطلقاً.

وبموجب هذه القاعدة فإنَّ أي تصرف أو معاهدة أو عقد يؤدّي إلى تفوق الكافرين على المسلمين يعدُّ ملغياً من أساسه ـ وكما يعبّر الفقهاء ـ فإنَّ هذه القاعدة شأنها شأن قاعدة (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) وقاعدة (نفي العسر والحرج) تعدُّ من القواعد الثانوية التي تستطيع أن تحكم على الأحكام الأولية بمجموعها، اللهم إلّا تلك التي تتضمن بنفسها تحمّل الضرر في سبيل تحقيق غاية أسمى كالجهاد.

وتستند هذه القاعدة إلى أدلة.

منهـــا: الآيـــة الشـــريفة: {❐◆⬧♓︎ ⑥ ♑⬧⬂➔⌺⍓• ✃🙰✐✦
♏︎⬧❒⬧⧫⬥⬧❒♏︎⬧⬧⧫⬥ ⬧⬧⧫⬥⬧⬥⬧⬥
❒◆⬧♓︎⬧⬧⬧⬧⬧◆⬧}[1].

ومنها الأحاديث التي تطبّقها في بعض الموارد، كالحديث الوارد بما نصه: «الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، والكفار بمنزلة الموتى، لايحجبون ولا يورثون»[2].

---

١) النساء، ١٤١.

٢) من لايحضره الفقيه، ج٤، ص٣٣٤.

كما تستند إلى اجماع الفقهاء، وربما أمكن أن يقال: إنَّ روح التوجّهات الإسلامية، وملاحظة المناسبات بين الحكم والموضوع، تقرّر هذه الحقيقة بوضـــــــــوح، {❒◆✐ ✂✍✉♏⬂➔♋❽❒❒⬈

❒◆♏♋♋❷♦ᘐ←❑✍♐🕮♋🕘 ❒◆♏♋♋🖬▫☺←♦⬃✌♋☪♋✓▫♈

❒◆♏♋♦🕓▤♖♊ⓞ ✂✍✉♏♋☺←✡❒🕓▦♋☽✍✓▫♈ ♦♦

③◆➔⇳🖬■☺←❑♌◆}.[1]

وينبغي أن ننبّه هنا إلى أنّ هذا التوجّه لا يعبّر عن نوع من التكبّر ـ كما يقول البعض ـ وإنَّما هو تقرير حقيقة علوّ النظام الإسلامي على غيره، باعتباره النظام الأكمل، وبالتالي أفضلية تابعيه، فهو يعمل على أساس من معيار إنساني. نعم، يمكن أن يناقش أو يتساءل أحد عن أصل المعيار، ويتحول البحث حينئذ إلى الأدلة. أمّا أن يطلق القول على عواهنه، ويعتبر ذلك بشكل عام عملاً عنصرياً، فهو من أشد الظلم.

إنّها قاعدة تعاملية مهمة، لها تطبيقاتها في مختلف المجالات، ومنها: المجالات السياسية.

وليس هنا بأروع من تطبيقها اليوم، في تعاملنا مع القوى العظمى، التي تعمل على ابتلاع العالم ونهب ثرواته، وعبر بعض الأساليب الخدّاعة.

وما حادثة تحريم شراء وبيع التبغ الداخلي والخارجي لبريطانيا، من خلال تاجر انكليزي يدعى (رجي) إلّا تطبيقاً لهذه القاعدة في ايران، حيث سلّط الشاه الظالم الكافرين، على جانب اقتصادي إسلامي، وحيث أصدر الميرزا الشيرازي فتواه المعروفة القائلة:

(إن استعمال التبغ ومشتقاته حرام اليوم، وأنه يعدّ بمثابة اعلان الحرب ضد الامام المهدي ـ عج ـ).

والتطبيق السياسي الثاني المعاصر: هو الموقف الحازم الذي وقفه الامام الخميني من معاهدة الكابيتولاسيون او الحصانة، وتعني: اشتراط أن لا تطبق

---

١) المنافقون، ٨.

على السكان الاجانب في ايران إلّا قوانين دولهم، حيث يقوم قنصل الدولة المذكورة بتطبيقها.

وما كانت تعني إلّا نوعاً من الحصانة القضائية للأجانب، وتسليطهم على رقاب المسلمين، وقد قام نظام الشاه المقبور بعقد هذه المعاهدة في عام ١٩٦٣م، فنهض العلماء الكبار ـ وفي طليعتهم الإمام القائد ـ ضد هذا العمل المنافي للإسلام والعدالة، ممّا أدّى به إلى إبعاده من قبل الحكم الطاغي الى تركيا. والواقع أنَّ بذرة الثورة الإسلامية الكبرى غرست في ذلك اليوم. والرائع أنَّ الإمام استهل بيانه الجريء وفتواه بالآية القرآنية الشريفة:

♦×⇦⌘❷⚓▦◷•▤▫◘⚓♏ ✦✏✍✂ •✍⌧➔⬂♑•⑥ ♊•♏◆❒{

⇖♦✍■❼ ✂✍➝▫☼⬅•⬃✌⚓☪⚓✓×♦ ♋⌧⌛⚓⓿☒◷}.[1]

ولو أنَّ الأمة الإسلامية، أو هؤلاء القائمين عليها، راعوا هذه القاعدة في تعاملهم، لما أصيبت الأمة بالحالة التي هي عليها الآن قطعاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ العناصر الثلاثة الماضية تشكل أساساً لروح الاستقلال، والترفّع على أي نفوذ أجنبي مذل.

رابعاً: التوعية قبل أية خطوة أخرى:

الإسلام دين التوعية والتربية ... وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرّر لزوم القيام بتوعية أي إنسان يراد له أن ينضمَّ الى معسكره، وأي مجتمع يراد للإسلام أن ينفذ إلى عمقه ... إنَّه يعرض جوهرته الثمينة، لأنّه يعلم أن قيمتها ستتكشف بكل وضوح للجميع ... ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، ويدعو إلى البحث والبرهنة، {🔔➔✍ ♎⌧✍✍➔❑✂☎

---

١) النساء، ١٤١.

وهو يرفض أية عملية إكراه عقائدي {⬧✋ ◆☪🕔◻♎⬀❷🡸📭⬄⧗☠⬀}[١] كما يريد من الأمة {⭭◑⧐⬃❷⬧✂■◻ ×⧐❼ ✂✍✏✍♏⧐⇦×⭭}[٢] أن تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها وبصيرتها ... وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء.

يقـــول القـــرآن الكـــريم: {✂✍⑩⬃⬋⬈ ◑⧐🖫■❼🗐 ☞◻⧗⧐⓿✍⭭

❻⬧📭■⧐⌨◻ 📭⧐✍✍💻⬂⬧⧐▤⬁☺◻□⧐

□⬧✂✍👁♑⬂☺◻❑⬀⬉⧐→⬩□⧐ ✂✍💻⬂⬧□○✿☪⬧□⧐ ☎

□⬧♉🕘⑨⧐👁♑⬂♑⬅⚐ 📭⧐✍✍👁♑⅄☹⭷⍉ ♎⧐❻"

🕮❑⬉⇳🖬■⚐⓫ 🗐 ⧐◑♌◻ ❻⬧📭✸⌨◻ ♎🡺❑⬧ 🕮❑❍⇳○✿♊⬅

□⬧♎🡺❑⬧ ☎ ◴⧐🕮⧐✂⓿⧐⧗◻♒ ♊⬧⬉ ◻✍✿⬁ ♊◻☺⧐📭

🕮❑⬉⇳🖬■⚐⓫ 📭⧐✍✍👁♑⬂☺⬅♑⇳✌⬧⑨⧐⇦×⬧}.[٣]

{⯐⬧✂✍✍⬃⑩⬋⬈ ☎ □⬧☜⇔❨◑⬧⬃☠⬀ 📭⧐✂🔔⬩🕔👁♑⧐①☙ ⬝⬩✍✍

🗎⬩☺◻✍✏ 🕮⬆✌⧐❷⬀☠✿ ☎ □⬧⬩⬩ ✍⬩☹✹⌨⧐⬈⇳

🕮❑❍⇳○✿♊⬅ {□⬧✌⬧♊⇳ .{⬀☠🡺♎⬧⬈✏✂⬧❑⬃♎❑🕮}[٤]

🔔⬩❑⬀⬩☪ ✌♓⧐☺⬤♊ ⑩◻⬂⬧🔔✏ ◑⧐🖫■❼ ✂✍✏★

□⬧⬉☺⧐✍⬩• 🕓✿🕔🖬⧐⬩☯✍ □⬧🔔⬩✍✌⬧ ◑⧐☼✵♉⍉⍉

⌘♊⧐✌ .{⬧×✓⧐☺⧐🖬⇔○⬅☺⬂👁✍✂}[٥] {🔔🡺✍⬀

♎◻🕔⓿✍■⍉🕓 ♒◻⧗⧐⑩✍⍉❼☑ 🕮◻⑩⬃⬉⬉❑☑✂☎ ◑⧐🖫■❼

★✏✍✂ 🗐 ⬉⬧✍■❼🗐 📭⬧🕘⬁❷❸◻⦿ 🕮◻☼⬧✍⚐

◻⬧✌♊⬁ ✂✍✍◻⧗⬧🡺◻♉⍉⍉ ☎ ◻⬧⬅⧗⬀⬩◻🕔♊⌘

★✏✍✂ ◻⬧✌⬧✍✏ 🕮◻☼⬧✍⚐ ✌⧐♊⌘

---

١) البقرة،١١١.

٢) البقرة،ص٢٥٦..

٣) النحل، ١٢٥.

٤) الشورى، ٣٣.

٥) فصلت، ٣٣.

✁🙰🙰◉ᘎ⬂☺←⌑⇳❸⊘📝⟡✓▫🙞 }.[1]

وفي هذا يقول آية الله السيد محمد باقر الصدر:

والأمر الآخر: أن يبدأ الدعاة الإسلاميون ـ قبل كل شيء ـ بالإعلان عن رسالتهم الإسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى إذا تمَّت للإسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرّين على رفض النور ... عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للانسانية ـ إلّا أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح.[2]

وقد جاء في كتاب «الكافي» للمرحوم الكليني عن الصادق×قوله:

«قال أميرالمؤمنين×: بعثني رسول الله' إلى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلنّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدي الله عزّ وجل على يديك رجلاً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي».[3]

إنَّه أسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى وهارون×،{

✁🙰🙰❶⬂♎⌂⧗♦🙰🙰✎ ☽⊘🖫■❼🗐 ▫🙞❷⬀⬉♦❑⬀♌♦ ☽⊘☼❄❍←⏀

⊂♦⬀☒🙜🗐 * ▫♦☽→❑♦♦ ◉ᘎ♦❍←⏀ 🔔♦❑⬀♦☪ ◉ᘎ⅄⓿⯒🙜✡✡🙰🙰

◉ᘎ⅄➔⌂✁⅄🕮⬉⏀ ③♦☞♦⓿☒📝⅄❷⬉ 🕮❑❑⬃

⑥♦③⬂⬦⌂🙜🗐}.[4]

إنّه الدعوة ـ حتى عند مواجهة الطواغيت ـ عسى أن يهتدوا إلى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرّر عبارة (ادعوك بدعاية الإسلام) في رسالته إلى شاه ايران، وقيصر امبراطور الروم تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي.

---

١) يوسف، ١٠٨.

٢) اقتصادنا، ص٢٧٥.

٣) الكافي(الكليني)، ج٥، ص٢٨.

٤) طه، ٤٣ و ٤٤.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوة إلى الأقطار. وقد ذكرت اسماء بعض الدعاة إلى الله، ومنهم:

عبدالله بن حذافة السهمي ـ مبعوث الرسول’ إلى إيران.

حاطب بن أبي بلتعة ـ مبعوث الرسول ’ إلى مصر لدعوة المقوقس.

دحية الكلبي ـ مبعوث الرسول ’ إلى روما.

عمرو بن أمية ـ مبعوث الرسول’ إلى الحبشة.

سليط بن عمرو ـ مبعوث الرسول’ إلى اليمامة.

عمرو بن العاص ـ مبعوث الرسول’ إلى عمان.

حرملة بن زيد مع وفد معه إلى مدينة (أبلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

المهاجر بن أبي أمية ـ مبعوث الرسول’ إلى ملوك حِمْيّر.

خالد بن الوليد ـ مبعوث الرسول’ إلى همدان (مدينة قرب بحر عمان).

علي بن أبي طالب× ـ مبعوثه الثاني إلى هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان ـ مبعوث الرسول’ إلى الهند.

عبدالله بن عوسجة ـ مبعوث الرسول’ إلى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ـ مبعوث الرسول ’ إلى قبائل ذي الكلا.

وغيرهم ممَّن حمل مهمة الدعوة إلى الشعوب.

وإذا أردنا أن نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا أن نلحظها في بعثات الإيضاح المرسلة من هنا إلى هناك، وفي أساليب توضيح الحقيقية عبر الوسائل السمعية والبصرية. وفي مذكرات الايضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة إلى المؤتمرات الدولية.

وممّا تتميّز به العلاقات الدولية الإسلامية: أنّها تنظر إلى عملية التوعية والايضاح كرسالة الهية ومبدأ ضروري يجب الالتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية أو سياسية أو غيرها تجاه الدول الأخرى.

أمَّا ما نجده من السياسة الماكرة القائمة بالفعل، فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية باعتبارها مناورة سياسية فإذا لزم الأمر، قلبت الحقائق، وتغيرت الموازين.

خامساً: مراعاة العدالة في التعامل:

ويشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي عن الواقع.

·⬧♑♐ ⧫❍⌚⬧♓♑♐ ✋⬧ ⌚⬅❍✵☼❑🕮 ✦✏🙰✁ ⌺⑨♑♑⌧⅄}

➔❑⬧▤⸎✧✵⌚■◘⌺☺⬂♓🙰✁⧫❑ ⧫❑➔♎

🙰☺☺⸎★✏🙰⬧🔔 ✐⚐▫◘♎➔⬂♓🙰✁ ☎✁❑⬀♓🕯❑⬆🕮⧫❑

.{⬁⬆⬄❍✐♐⬂♓🙰🙰♑✉[1]

وأهمّ الأسس عند التعامل الاجتماعي.

☎✁❑⬉✡⧫✌✁⧫⬀ ⧫✗⬅♎🔔⅄✏🙰✁ 🙰◘&⑨❑🕯✵⌚⧫③ }

⬁⬆⬄❍✐♐⬂♓🙰🙰♑✉ ⧫✗✓♎✌⌚▪❑⬧🔔 ☎✁❑⬅☼❑⬀✍

.{★✏ ⧫⬀✏✁⌺⑨◘&➔✸[2]

ومن الطبيعي أن يأتي التأكيد على العدالة حين تثور الإحن والشنآن، ويكاد العدل ينسى من البين، وحينئذ تقول الآية:

✌✈⬃❑⬧🔔 ⬉♌🙰⧫★❑✡⌧⅄ ⬃☠➔⌛❑☪⧫✌⌘❷⇳⬈⧫③ ⬧⧫❑}

🗐 ☎✁❑⬀♓♎⑨⬃➔⬧✍ ·⬧❑🕮 ✁❼■✍⧫⬉

➲⬦⧫❷⬂🔔❑🕮 ⧫❑➔♎ ☎✁❑⬀♓♎⑨⇳⬉🙰✁

.{▤❽⧫❑⬂♐✸☝◘♎♓[3]

وإذا لاحظنا أنّ العدل في التعامل مع الأجانب عن دار الإسلام يلحظ فيه واقعهم القائم، أدركنا البعد الإنساني في هذا الأصل، وهذا ما تؤكّده أحكام

---

١) آل عمران، ١٨.

٢) النساء، ١٣٥.

٣) المائدة، ٨.

الإسلام في الجهاد والعهد والإجارة وغيرها.

وهو ما يفسّر وقوف الدولة الإسلامية إلى جانب قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض، ومقارعة الظلم والطغيان في كل مكان، حتى لو لم يكن الأمر يمسها من قريب، وعملها على نفي العلاقات الظالمة بين الدول.

فليس وقوفنا إلى جانبهم وقوفاً مصلحياً دعائياً، حتى إذا ما تسنّى لنا الأمر ومنحتنا المقادير أزمّتها رحنا نسومهم سوء العذاب، وهو ما نجده من القوى العظمى، شرقيّها وغربيّها وإنّما هو موقف مبدئي أصيل، قائم على أساس متين، متى ما خالفناه ـ وفي أية لحظة ـ خرجنا عن الخط الإسلامي القويم، ودخلنا في عداد المستكبرين، الذين يقول فيهم تعالى:

{[illegible]}.[1]

إنّ القرآن على العكس من ذلك، يعطينا صورة الجماعة المسلمة المتمكنة، بقوله: {[illegible]}.[2]

---

١) محمد، ٢٢ و ٢٣.

٢) الحج، ٤١.

سادساً: مبدأ تأليف القلوب:

وهو مبدأ يمثل ايجابية الشريعة الإسلامية بكل وضوح، كما يعكس واقعيتها في نفس الوقت.

ففي الجو الذي يتم فيه تأليف القلوب، تنفتح النفوس للحقيقة، وتتقرب الى الواقع، والأصل في هذا المبدأ هو: سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، حيث فتح هذا مجالاً للعمل المنظم لتحقيق ذلك، عبر الوقوف إلى جانب كل المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، وجلب القلوب إلى الإسلام.

ورغم أنَّ الفقهاء يختلفون في مساحة هذه القلوب المؤلفة، وهل تختص بغير المسلمين، أم تشمل المنافقين، أم تعم بعض المسلمين ضعيفي الإيمان، إلَّا أنّ الذي يبدو من روح الإسلام واتجاهاته الاقتصادية، ومن أقوال فقهاء الشيعة والسنة ـ ومنهم الإمام الخميني القائد ـ أنَّه مبدأ عام، وأصل يتيح للدولة الإسلامية أن تلحظ المصلحة أينما تكون. ومن هنا فمن الطبيعي أن يشكل عنصراً إسلامياً، له دوره في تحديد العلاقات الدولية، وتقديم المساعدات لمختلف الدول والشخصيات والجمعيات على شتى مذاهبها.

ولئن كان هناك بعض البحث في لزوم العمل بهذا المبدأ في عصر معيّن، وبالنسبة لأشخاص معيّنين، بعد وفاته' فإنّه لا شك في إسلاميته أصلاً، ولزومه في العصور الأخرى.

على أنّنا ننبّه هنا إلى أنّ هذا السهم المعطى للمؤلفة قلوبهم لا يختص مورده بباب الزكاة، وإنَّما نجد الإسلام يسمح للإمام بأن يقوم بالإنفاق بما يحقّق مصلحة الإسلام العليا من أموال الدولة، وتفصيل هذا يذكر في البحوث الاقتصادية الإسلامية.

وبانفتاح هذا الباب نجد المجال السياسي لتطبيقاته واسعاً جداً يشمل كل المعونات الاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تقدمها الدولة في سبيل تقريب القلوب إلى مبادئها... إلاّ أنّ من الواضح فيه ملاحظة مدى ما يعود به من نفع

على القضية الكبرى بغض النظر عن أية منافع سياسية ضيّقة.

سابعاً: احترام العهود والعقود والاتفاقيات الدولية:

وهذا الأصل هو من أهم الأصول التي تعتمدها السياسة الإسلامية الحقّة، وكما قلنا من قبل، فإنّه يستمد من الواقعية التي تتسم بها النظرة الإسلامية من جهة، واحترام مقتضيات الحق من جهة أخرى.

فالقائد الإسلامي يفكّر ملياً في أيّ عهد أو عقد يعقده، ولكنه إذا عقد العقدة ـ مستوفية لكل شروطها ـ التزم بها تمام الالتزام.

❐♌♋♐ ☎ ♎⑨⇧♑⍓➔⬂♍◉✍✍♋✍ ✄❑➔▫⬁❒❒🕮◆❒}

✄✍◉♍⬂➔⍓♑⇧⑨⍓ ✍⌧🔔♍♎ ✌♦○⬄★⬀❑⬩☪}.[1]

والعهود التي تعطى للدول الأجنبية أو الأجانب، تارة تدخل ضمن عقود صرّح بها الإسلام، وحدّد لها قوانينها العامة، فيجب الالتزام بذلك، وأخرى تسير بمنحى مستقل، يرى وليّ الأمر أن يعقدها لأنّها تحقّق المصلحة الإسلامية العليا.

فمثال الأوّل: عقد الذمة، وعقد الهدنة، وعقد الأمان. ومثال الثاني: كل العقود الأخرى والتي تعقد على الصعيد العسكري والاقتصادي، وأمثال ذلك.

وتستمد التعاليم الإسلامية الخاصة بهذا العقد أو ذاك ـ من نصوص القرآن الشريفة، والأحاديث المباركة، وعمل الرسول’.

ففي مجال عقد الذمة: تستفاد بعض الأحكام من الآية الشريفة:

♎♍❑⬉☪♎✌⬁⬧⬉③ ⬧⬧ ♎▫⬄♎🔔⍓✏✍✄ ☎✄❑➔🖬♎✌🕒⬧🔔}

♎✈⬀❑◆⓿⬂♍◉✍✍♋✍ ⬧⬧◆❒ ★✏✍✍♋✍

✍◆✌ ◆♌❑⬉✌⌘⌇❷◘◆⬈⑥ ⬧⬧◆❒ ⌘❷⬁⌘☞⍓✍✄

١) الإسراء، ٣٤.

••◆❑ ⌚⇖🕮➔✎❑←ଓ◆❻◆❑ ✦✎ᏹ✂ ♦⚐▪❷⍓❍

⌘♊🙰✌ ⇗♎📪⍓⬧⬂⧫⑧ᏹ✂ ♦×⇦🙰⑩ ⧴♍❑⇖✡③🙰⑨♦③

✾⍰⌚♦☞⬁⌛⬂⧫⑧ᏹ✂ ☎✂❑➔✍❑⬆🕮 ⧴▫⇦🙰🔔⅄✎ᏹ✂

♊♦⇖ ⬧◘♦③⬃❽⇗⬀⬂⧫⑧ᏹ✂ ☎✂❑⬈➲⬃➔⇖③ 🗐⌀✸☹⍓❍

③♦⑨🖮 ❑♦♎➔☠⬀ 🕒✾⌚⇔⇗❷⇖❑♍⧴}.[1]

وهنـاك عقـود أهـل الذمـة التـي عقـدها مـع نصـارى نجـران وبنـي تغلـب ومجموعات من اليهود.

ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل هذه العقود، وإنّمـا نريـد التأكيـد علـى أنّ مسألة العهود تحتل جانباً مهماً من الفقه الإسلامي، وتستمد خطوطها العريضـة من القرآن الكريم.

ثامناً: التعامل بالمثل:

يقـــول تعـــالى: {✂ᏹ⑧⧫☆⊙&⬀❷⇖ ✂ᏹ💻⬂♦◘❷♦✂⚐⇖

⧱⦰ᏹᏹ⑧⧫☆⊙&⬀❷⌘ 🙰✈✂♦❷◘♦⬂💻ᏹ✂

❑♦✂ᏹ💻⬂♦⬅❷⇖✌♦⌚💣➔ 🔔🙰⌚✾ᏹ⇗⌀ 🗐 ▫⬧☺⍓♊⬖

✂ᏹ⇖⇳☝♦⑨⍓❽▤ ⬊♦⍰■⓿⬂▤⬈☠⬀ ▫⬧ᏹᏹ⇖⇳☞♦⑨←❑✂☎

⇖♦⍰■⓿⬂❍🙰 ⧱⦰☺🙰✞⬃✍⇗ ✌♦ᏹ ✂ᏹ⇖⇳☝♦⑨⍓❽▤

⬊♦⍰■⓿⬂▤⬈☠⬀ 🗐 ❑♦✂ᏹ✍❑☽➔❑✂☎ ✂ᏹ✎⅄

❑♦✂ᏹ⇖⇳⍰■☺←❑☑✂☎ 🕮❑♌❑ ✂ᏹ✎⅄ ✌♦➚⍓

✂ᏹ⑧⧫⬂☺←☞✸☽⇗✓×♦}.[2]

وإذا كان مبدأ القصاص من جهة، ومبدأ جزاء الإحسان بالإحسان مـن جهـة

---

١) التوبة، ٢٩.

٢) البقرة، ١٩٤.

أخرى، مبدأين واقعيّين يرتضيهما المنطق الإنساني في التعامل الفردي والاجتماعي الداخلي، فإنّهما كذلك في مجال التعامل الدولي، بل ربّما عاد أحدهما من الضرورات، إمَّا لردع الإعتداء، وإمّا لجلب القلوب.

تاسعاً: نظام الجهاد بمختلف أنواعه:

وهو باب واسع الأبعاد والفروع، حاول الإسلام فيه تنظيم الأعمال الحربية، مستهدفاً تحقيق الأهداف الإسلامية العليا، من خلال رفع الموانع في سبيل الدعوة الإسلامية، والحفاظ على محورها المتحرك. كل ذلك مع ضمان أكبر لالتزام الأساليب الإنسانية الممكنة ولن نتحدث طويلاً عن هذا الباب لسعته وضيق مجالنا عنه.

كانت هذه بعض الأسس القرآنية للتعامل الدولي، أشرنا اليها في لمحات سريعة، تاركين التفصيل فيها إلى مظانه، وملاحظين أنّه قد يكون البعض فيها داخلاً في إطار البعض الآخر، كما في مسألة المبدئية في التعامل مثلاً، أو نظام الجهاد.

الاتجاهات العالمية لدى النظم

في الواقع هناك اليوم ثلاثة نظم متنافسة هي الإسلام، الاشتراكية، الرأسمالية. وهي تمتلك جميعاً توجّهات عالمية، وهنا أؤكد على أنَّه لا فرق من حيث هذا التعريف بين العولمة والعالمية. وقد ذكرنا أنَّ الإسلام باعتباره آخر حلقة من حلقات الدين الإلهي فقد جاء ليصلح البشرية، باعتباره طريق خلاصها الذي أراده خالق البشرية، وهو بذلك يركّز على الفطرة الإنسانية المشتركة بين أبناء البشر، ويعتمد منطق الحوار والاقناع، ويعرض نفسه باعتباره السبيل الوحيد لخلاص البشرية. هذا الإسلام استخدم، لتحقيق أهدافه، عملية التغيير الفردي والتغيير الاجتماعي، وسعى لحذف الحدود الجغرافية والحدود اللونية واللغوية، وإقامة مجتمع عالمي يطبّق قانوناً واحداً، ويتبع قائداً

واحداً، ويمتلك أحاسيس مشتركة، وأهدافاً انسانية واحدة. وهذا الاتجاه العالمي يبدو في كثير من النصوص الإسلامية، مثل قوله تعالى: {⬀✍➔🕭
③♦🕔✵🕯❒⑩♑⌂🙵 ✂🙵🙵♍☾❑🙵☪⮛ ◗♍♏❄❑♍❼
❻♦🙳⇦❑✌⇱ ✂🙵🙵✎★ ◗♍♏🙵♦⓿⬀⧗➔☠⬀ ♎♦☟♍⑩➔🕗🙵}[1]، وقوله تعالى: {❒♦◗♍♌ ③♦▤♦🕭⑩⇦ ✂🙵✎⅄🕭♍⇦×♦
🗞⬜❒⇱❷⬛⬜✂☎ 🙵♦❷⇱❾⬃🙵♍◗→❑☼♦⌨⌂
🗞♍❒🕯❒🗞🕔⬀🕔✽🕔❷▩♎♍🏱⇔ 🙵♦☺❍🙵 ⬞⬛⬜♍➔⇱❑✂☎
✂🙵✎🕭♏♍🗞⬂❷♦ ❒♦⌂③♦◗→❑🙵⬈❑♌♦ ◗♍♏☼✵❍⇦🕛
✈❍☼◘⤡⇳☪⇱❑♌≺ * ❒♦✌♦🙵 ♎➔❑♦ ◗♍♏♦· ❶♍🗞⬂❷⌧
🙵♋♍◾▫➔⌂🕔⚇♦☟♍✓×♦}[2].

وهناك نصوص كثيرة تؤكد على عالمية الإسلام منذ انطلاقته الأولى خلافاً لما يدّعيه بعض المستشرقين والمؤرخين من أن العالمية الإسلامية جاءت بالتدريج ولا مجال هنا للتفصيل في هذا المجال.

فالإسلام إذاً انطلق باتجاه عالمي وما زال، عبر العصور، يؤكد هذا الاتجاه، ويؤكد وحدة المنطلق الإنساني، والمسير والهدف، هذا هو رأي الإسلام.

أما الاشتراكية فهي أيضاً عندما طرحت فلسفتها عن التاريخ طرحت مسألة المادية التاريخية، والمراحل التي اشتهرت في هذه المادية، حيث تنتقل البشرية من مرحلة العبودية إلى المرحلة الاقطاعية، إلى الرأسمالية التجارية، الى المرحلة الرأسمالية الصناعية، إلى المرحلة الاشتراكية، وبالتالي المرحلة الشيوعية، عبر بعض القوانين ومنها صراع الأضداد الاجتماعية. هذا التصور أعطى الاشتراكية نظرتها العالمية في ايجاد تحوّل عالمي في مسيرة الإنسانية. وواضح أنَّ الاشتراكية اعتمدت في هذا المجال قضية صراع الطبقات،

---

١) الأعراف، ١٥٨.

٢) القلم، ٥١-٥٢.

والثورة والنظام الحديدي الاشتراكي، الذي يوصل المجتمع إلى الجنة التي يتصوّرها الاشتراكيون، وهي الشيوعية[١]، وقد فشلت هذه الرؤية سواء على الصعيد النظري أو على الصعيد التطبيقي في اثبات ذاتها.

أما بالنسبة إلى الرأسمالية فقد انطلقت منذ بداية حركتها دون أساس ايديولوجي[٢]، ولم تكن تهتم بالأساس الايديولوجي، وإنَّما همّها تنظيم الحياة، وأقامت نظامها على أساس الحرية الفردية الرأسمالية، وعندما انطلقت وواجهت اتساع الأفكار المعادية لها، راحت تأخذ من الاشتراكية شعاراتها وتستبدلها بشعارات مقابلة، من قبيل العدالة الاجتماعية؛ حيث استبدلتها بمسألة حقوق الإنسان، والتنمية الاقتصادية حيث استبدلتها بمسألة السوق الحرة ونمو الانتاج، وبالتالي فإنّها أخذت شعار الأممية البروليتارية واستبدلته بشعار العولمة الرأسمالية، إذ عندما انطلقت انطلقت محلية وكان تركيزها على الغرب، ولم تطرح نفسها بشكل عالمي، إلّا بعد أن توفرت ظروف مناسبة لذلك.

وهنا نذكّر بالمراحل التي ذكرها «روبنسون» فقد تصوّر «روبنسون» أنَّ العولمة الرأسمالية مرّت بمراحل هي المرحلة الجنينية، وتبدأ منذ القرن الخامس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر، بسيادة القومية والجغرافية، ثم مرحلة النشوء، التي رآها تستمر حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بتبلور مفاهيم العلاقات الدولية ثم مرحلة الانطلاق في عشرينيات القرن العشرين بظهور المفاهيم الكونية، ثم مرحلة الصراع من أجل الهيمنة حتى منتصف الستينات، حيث ظهرت الأمم المتحدة، ثم مرحلة الاتصال

---

١) للوقوف على تفصيل هذا الأمر، راجع بحوث الشهيد الصدر في اقتصادنا، ص ٥٣ ـ ٢٣٨ ،حول الموضوع.

٢) ن. م. ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

واندماج العالم الثالث، والتعدد الثقافي، وبالتالي تصوّر أوج العولمة في الثمانينات والتسعينات[١]. وهذا التصوّر كما نعتقد مصطنع وفرضي ولا واقع له، لأنَّ الرأسمالية لم تنطلق بنظرة عالمية مطلقاً، وإنَّما كان تركيزها على الغرب والدول الغربية بشكل جغرافي لا غير، ولكن الظروف التي حصلت في القرن العشرين دعت لطرح مفهوم العولمة كما يبدو للباحث. فإنَّ تنامي القدرة الغربية وامتلاكها المعلوماتية الضخمة وقدرة الاعلام النافذ لكل أنحاء العالم من جهة، وكذلك تعاظم القدرة الإسلامية وانتشار النظرة الشمولية الإسلامية، التي شكّلت في نظر الغرب خطراً على كل الحضارة الغربية من جهة ثانية، وانهيار الاتحاد السوفيتي كقدرة منافسة، كل هذه الأمور فسحت المجال لطرح نظرية العولمة على هذا المستوى الواسع.

تعريف العولمة

لا ريب أنّ تعريف العولمة غامض والتعاريف المقدّمة متناقضة ومتنوعة، والحقيقة أنّ الإنسان يدرك من خلال معرفة نوع التفسيرات والتعاريف أنَّ العولمة هي محاولة نفي الحضارات غير الغربية، وتحميل الرأسمالية، ومحاولة فرض الأمركة والهيمنة على العالم. ونذكر في هذا الصدد ثلاث محاولات:

١. تعريف اللجنة الدولية عام ١٩٩٥م وهو يفسرها بالتداخل بين أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك عبر رفض الحدود والانتماء الوطني والاجراءات الحكومية.[٢]

٢. بعض التعاريف العربية للعولمة بأنَّها حقيقة التحوّل الرأسمالي في ظل

---

١) نقلاً عن سيد ياسين ـ مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٨٨م.

٢) مجلة النهج، عدد ٥٠، ربيع ١٩٩٨.

هيمنة الدول المركزية وسيادة نظام عالمي غير متكافئ، وهناك تعريفات اقتصادية أو أدبية أو تعاريف باعتبار اللوازم (للجابري) و(التيزيني) وغيرهما.[١]

٣. تعريف «روزناو» الاميركي ويطرح تساؤلات: هل تنطلق العولمة من التجانس، أو تعميق الفوارق؟ وهل لها مصادر واحدة أو متفرقة؟ وهل لها ثقافة واحدة أو متعددة؟ وبالتالي يعتبر هناك ثلاثة عناصر دخيلة في العولمة، إزالة الحدود وابراز تشابه المجتمعات الكبرى وفرض طريقة حياتها على الآخرين[٢]، ومن هنا نستطيع القول: إنَّ العولمة في الواقع هي محاولة أمركة العلاقات السياسية والحقوقية والاجتماعية، عالمياً، وفرض ثقافة الهيمنة الغربية على الآخرين، فهي من أخطر الأفكار الشيطانية. وقد استفاد الغرب من قدرته التكنولوجية والعلمية والثقافية والعسكرية لطرح هذه الفكرة، كما قام بعض الفلاسفة والكتّاب بالتمهيد النظري لها.

وكلنا يعرف نظرية «هانينغتون» التي تركز على الحضارة الغربية وتعتبرها تتميز بالتسامح والإنسانية والتعددية، في حين تصف الحضارات غير الغربية بالاستبداد والانغلاق على الماضي، والفشل في حل المشكلات الإنسانية، كالفقر والبطالة ومستوى المعيشة، وكثرة الانجاب والديكتاتورية.

وهي تقترح على الغرب أن لا يتعاون مع غيره، ولا يصدّر التكنولوجيا، ويوحّد نفسه اقتصادياً وسياسياً وادارياً، وترى أنَّ الحضارة الغربية تعتمد على الإرث اليوناني والمسيحية الغربية والعلمانية، وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان، وهي أمور تميّزت بها الحضارة الغربية ولا تتحقق في حضارات اخرى.

ويأتي (فوكوياما) ليجعل النظام الرأسمالي غاية التاريخ، ويرى أنَّ

---

١) مجلة الواحة، عدد ١٦، ص ١٥٣.

٢) جيمس روزناو ـ ديناميكية المعرفة.

المجتمعات كلها يجب أن تتجه نحو الرأسمالية، ويجب توفير الشروط السياسية والاجتماعية، وأهمها تطوير البنية الاجتماعية نحو المساواة واللاطبقية واللاطائفية، وايجاد تفسيرات دينية مرتبطة بهذا التطوّر، وكذلك قيام المجتمع النامي لايجاد المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والدولة، كما يجب عدم المبالغة بالتمييز القومي ممّا يدعو للعزلة الحضارية، ويدعو إلى تفسيرات مستنيرة للنصوص الدينية، وينتقد كل الحركات المتطرفة، ويدعو لتوجّه الصفوة لدعم القيم الديمقراطية والحريات، فهو إذن يجعل المجتمع الرأسمالي الغاية التي يجب أن تسير اليها كل الحضارات.[1]

كذلك نجد (بيدهام برايان) المفكر الانكليزي في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة الايكونومست خلال عام ١٩٩٤ يؤكّد أنَّ هناك تشابهاً بين الوضع الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري ووضع اوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي، ويرى أنّ كلا الوضعين متشابهان في توفر الأرضية المناسبة للاصلاحات، وفي نوع المؤسسات الدينية لدى المسلمين ومؤسسات الكنيسة في القرن ١٥ م وفي المستوى البائس لديهم، وفي الشوق لتحسُّن الأوضاع، ويرى أنَّ هناك عاملاً خارجياً يحرك هذه الحالة ويدعمها، ففي الوقت الذي شكّل فيه المسلمون العامل الخارجي لتطوير أوروبا في حينها، فإنّ الغرب اليوم هو عامل دافع للعالم الإسلامي نحو التطور والتقدم ويرى أنَّ التحرك يبدأ من الإسلاميين المتحررين الذين يؤمنون بالديمقراطية، ولابد من التحرك بقوة لدعم هؤلاء، وفي ختام مقالاته يوجّه إلى العالم الإسلامي توصيات ثلاث لكي يتأهل للتعامل مع الغرب والدخول في ركب الحضارة الإنسانية السائدة هي:

١. الانسجام مع الاقتصاد الحديث.
٢. القبول بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

---

١) العربي، العدد ٥١٢، الاستاذ مجد الدين خمش، ص ٣٠.

٣. العمل على تمثل القواعد الديمقراطية وتطبيقها في نظم الحكم.[١]

هذا وقد شملت عملية التمهيد لنظرية العولمة والأمركة المجالات المعلوماتية كما في مجال الانترنيت والفضائيات، كما شملت عملية السيطرة على المنظمات الدولية، فإن استجابت لهذا الهدف وإلاّ تمّ تجاوزها وراح التخطيط لفرض السياسة الأميركية على العالم. وقد استغلّت اميركا حوادث ١١ سبتمبر لتطرح نفسها القوة الأولى في العالم، والمسيطرة على كل مقدراته السياسية كما جاء التخطيط للسيطرة على الثقافات والقيم، والتدخل في التشريعات الاجتماعية، كما رأينا في مؤتمرات الأسرة في القاهرة وكوبنهاغن، ومكسيكو سيتي، وبكين وغيرها حيث تمّ التدخل في الأمور التشريعية الاجتماعية تحت شعار حماية حقوق الإنسان.[٢]

الآثار السلبية للعولمة

لقد وضح للعالم جميعاً الآثار السلبية التي تركتها هذه الفكرة المخرّبة، ولذلك وصفت العولمة بكثير من الأوصاف منها العولمة المتوحّشة أو العولمة المجنونة أو العولمة الفخ، أو وصفت بأنّها إمّا أن تأكل أو تؤكل، وقد ذكرت الدراسات المتنوعة هذه الآثار السلبية التي نشير إلى بعضها:

١. سيطرة القوى الكبرى على حركة الاقتصاد العالمي والمصادر الانتاجية والتبادل المالي والتجارة، حتى قيل: إنَّ هناك ٥٠٠ شركة تسيطر على ٧٠٪ من حجم التجارة العالمية، وإنَّ هناك ٢٠٪ فقط يعيشون في اكتفاء ذاتي في حين يقبع ٨٠٪ في عالم التبرعات.

٢. سيطرة اميركا على وسائط نقل المعرفة.

---

١) راجع مجلة المنهاج، عدد ٢٢، السنة السادسة، ص ٢٤٨، مقال للمؤلف حول هذا الموضوع وقد نقلناه في هذا الكتاب فيما تقدّم.

٢) راجع كتاب: مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة وتداعياته للمؤلف.

٣. كسر هيبة الدول الصغيرة، وقدرتها على النمو.

٤. التدخّل في التقنين الداخلي لباقي الشعوب كما رأينا في مؤتمرات الأسرة وغيرها.

٥. الغزو الثقافي لكل المناطق، ومحاولة استئصال الثقافات الأخرى.

٦. التقليل من شأن المحافل الدولية، واستغلالها لصالح هيمنة القوى الكبرى، وقد رأينا قبل أيام أنَّ رئيس دولة غربية هو رئيس ايطاليا يعلن أنَّ الناتو والقوى الغربية وجّهوا اكبر ضربة للنظام العالمي لاستغلالهم المحافل الدولية.[١]

٧. تلويث البيئة نتيجة الجشع الذي ابتليت به القوى الكبرى، وهناك آثار سلبية كثيرة اخرى للعولمة نعرض عنها فعلاً.

موقف الأمة والخطوات العملية التي يجب أن تتّخذها تجاه العولمة

وقبل بيان هذه الخطوات نؤكد بأنَّ الرفض الانفعالي لن يؤدي إلى نتيجة، وإنَّما يجب التأمل وإتّخاذ الخطوات العملية المدروسة للوقوف بوجه هذا الغزو العالمي الكبير، فيجب علينا في هذا المجال أن نقوم بوضع استراتيجية عملية وواضحة وشاملة، ويتعاون الجميع على وضعها أوّلا، وعلى تنفيذها ثانياً، كما يجب علينا أن نقوم بفضح النظريات التي مهّدت لمثل هذه النظرة التخريبية.

وبالنسبة للاستراتيجية نطرح بعض الخطوات التي نراها مهمة في هذا المجال:

١. يجب علينا أن نعرّي الجانب الايديولوجي للهيمنة الاميركية ومقولات هذا الجانب (القرية الصغيرة، حرية السوق، حرية التدخّل وفتح الحدود وأمثال ذلك).

---

١) وتتابع الأدلة يوماً بعد يوم على هذا الاستغلال فإذا لم تحقق لهم مصالحهم تركوها، وهذا ما شاهدناه من موقف أميركا من معاهدة (كيوتو) ومن المحكمة الجنائية الدولية أخيراً.

٢. يجب علينا حذف هيمنة السوق على الجانب السياسي.

٣. يجب تعميق قيم الإنسان الفطرية مع عرض نظرية الفطرة الإسلامية.

٤. يجب توسيع لغة الحوار بين الأديان.

٥. يجب التأكيد على الهويات الاقليمية وهويات الشعوب وتوعية الشعوب للاحتفاظ بهوياتها وثقافاتها.

٦. يجب الارتقاء بالقدرة العلمية والتنموية للشعوب.

٧. يجب العمل على إعطاء الحريات والحقوق الأصيلة للشعوب.

٨. يجب تقوية المؤسسات الدولية وتعميق استقلالها.

٩. يجب تعميق الثروة الثقافية المتنوّعة.

وفي الاطار الإسلامي يجب علينا بالاضافة لما سبق:

أولاً: أن نعمّق الحوار بين المذاهب اتجاهاً لتكوين الوحدة في الموقف الإسلامي.

ثانياً: يجب العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وتفعيلها في الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي.

ثالثاً: يجب أن نطوّر دراساتنا الاقليمية والعالمية والانفتاح على التاريخ.

رابعاً. علينا أن نقوّي كل عوامل الصمود والتعاون والوحدة، كمسألة اللغة العربية وتعميق هذه اللغة.

خامساً: علينا أن نجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدراسات الدينية ونروّج للاجتهاد الجماعي، وغير ذلك ممّا يؤدّي للوقوف أمام هذا الهجوم العالمي الكبير.

* * *

تقرير موجز عن ندوة
الحوار بين الإسلام والغرب[1]

تناولت هذه الندوة مواضيع مختلفة من قبيل:

١. التفاهم بين الحضارات.

٢. وضع المراة بين الإسلام والغرب.

٣. المهاجرون.

٤. العلاقة بين التجارة والأخلاق.

وقد تناولنا الكلمة في مختلف المواضيع، وهانحن نذكر فيما يلي نصوص الكلمات والتعليقات المطروحة في هذه الندوة على النحو التالي:

١. الموضوع الأوّل: فيه أربعة أحاديث:

الأوّل: كلمة حول «الحوار الثقافي».

الثاني: حول تعدد الثقافات والحوار المتبادل.

الثالث: حول الثقافة الإسلامية والثقافات القومية.

الرابع: تأكيد نزاهة الإعلام.

٢. الموضوع الثاني: وفيه تعليق واحد حول حقوق المرأة وموقعها في الإسلام.

---

١) المنعقدة في مقر اليونسكو في باريس - فرنسا، بتاريخ ١٩٩٧/٣/٥.

٣ـ الموضوع الثالث: وفيه تعليقتان:

الأولى: حول مشكلة المهاجرين واللاجئين.

والثانية: حول العلاقة بين الشيعة والسنة.

٤ـ الموضوع الرابع: وفيه تعليق حول العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق.

الموضوع الأوّل: وفيه أربعة أحاديث

الحديث الأوّل: كلمة في مطلع الحديث عن الحوار الثقافي

أشعر بكثير من الفخر وأنا أحضر هذه الجلسة العلمية الأخلاقية، وأشعر بواجب على أن أشكر السيدة الكريمة «نيكلسون» وكذلك الدكتور «مايور» أمين عام منظمة اليونسكو على ترتيب هذا اللقاء الجميل في هذه المدينة الجميلة. وحسناً فعلت السيدة نيكلسون عندما أعلنت بأنّ هدفنا من هذا الاجتماع هو تبديد الغيوم. أسأل الله أن يوفقنا لتبديد هذه الغيوم.

أعتقد أنّ شعارنا في هذا اللقاء وفي كل لقاء يجب أن يكون هو الواقعية الثقافية، أو فلنعبر عنه بالسلام الثقافي، الحقيقة أنّ علينا أن نقيم توازناً حقيقياً بين الثقافات بعد الاعتراف بتعدُّد الثقافات والتعددية الثقافية، باعتبار أنّ كل ثقافة هي نتاج إنساني ولصالح المجموع الإنساني.

علينا أن نحترم هذا الشعار وهذا التوازن، ولكن هذا طرف، والطرف الآخر الذي نقيم عليه هذا التوازن هو الثقافة الإنسانية المشتركة النابعة من الفطرة أو من الوجدان أو من الخصائص الإنسانيه التي تميز الإنسان كإنسان والتي تعطيه طابعه الإنساني، الذى يتميز به عن الحيوان ـ بطبيعة الحال ـ إن على المنظمات الإنسانية، كمنظمة (عمار) التي لها خدمات جلّى ـ نشهد بها ـ في مناطق ابتليت بالكوارث المصائب الطبيعية والإنسانية، وكذلك من المفروض بالمنظمة العالمية الثقافية (اليونسكو) أن تعيش مع الثقافة الإنسانية المشتركة ـ في الوقت الذي نعترف فيه بثقافة الشعوب ـ هذا هو التوازن الذي

ننشده. المراد إذاً هو تحقيق هذه الواقعية وهذا التوازن.

من الواقعية أن نـرفض أيّـة محاولـة لفـرض الهيمنـة الثقافيـة بـالقوة، سـواء كانت هذه القـوة اقتصـادية أو عسـكرية أو إعلاميـة أو سياسـية. ومـن الواقعيـة الثقافية أيضاً أن يعمل كلٌ منّا على تحسين صورته في ذهن الطرف الآخر.

أشار الأستاذ «مـايور» إلـى الحـوار بـين الحضـارة الإسـلامية والحضـارة الأوربية، على كلا هذين الجانبين أن يحسن صورته في ذهن الآخر، وأن يثبت للآخر أنّه لايريد له إلاّ الخير، وإلاّ بقي التنافر والنزاع.هـذه هـي الحقيقـة التـي أكّدتها السيدة نيكلسون، لكني أضيف أنّ السلام المطلوب يجب أن يكون سـلاماً عادلا، وإلاّ فليس من العدالة أن نهاجم شعباً هجوماً ثقافياً، ثم نمنعه من حقه في الدفاع بحجة أنّ عمله هذا يخالف السلام، وأنّه عمل إرهابى و... إلى آخره.

العدالة أيضاً هي نـداء الوجدان ونـداء المشـتركات الإنسـانية، عنـدما يقـول القـــــــــــــرآن:{✍☠▫◘○○◘♑♍ ☎✂❑←⬧◆☪⌂♉ ♌♐◑◆❐ ▫⬧♐♐♉⇳☪◆⌧⇳ ═○●❑♐}[1] ويقـول أيضـاً: {✂♐⇱⇳⑨♑♍↗❑✂ ♎❑◆ ⌺⬧◆❷⬧⬭◐⌂❐🕮 ◆❑➔♎ ♍♑◘✌✸◑⬂❑◆❽▤}[2]. فإنَّ العدالة مهمة في هذا المجال.

أعـود فأؤكّـد: أنّنـا إذا آمنـا بخصـائص مشـتركة للإنسـان اسـتطعنا أن ننقـذ مفاهيمنا من الإبهام ـ كما يقول الشاعر الإسباني الذي أشار إليه السيد (مـايور) ـ هناك مصطلحات نطرحها: العدالة، الحق، الإنسانية، الأخلاق، المعرفة، هـذه الأمور كلها لاتستطيع أن تمتلك معنى، وتخلص من براثين الإبهـام،إلاّ إذا آمنـا بوجود الفطرة الإنسانية والمشتركات الإنسانية.

علينا إذاً أن نفكر في كمال الإنسان وقيمه، وعلينا أن نخرج هـذا العـالم مـن الفوضى الفكرية والتحميل الفكري.

---

١) الأنفال، ٦١.

٢) المائدة، ٨.

أقول لكم ـ وكثير منكم ربما لم يسمع هذه الآية من القرآن ـ واجه النبى محمد’التهم، كانوا ـ من كل مكان ـ يقولون له أنت مجنون، مجنون. في هذا الجو الفوضوي ماذا يفعل الإنسان الذكي؟ عليه أن يبتكر، كما يقول السيد مايور ـ هنا ليس المجال مجال منطق واستدلال ـ كان القرآن يقول له:

}🔔➔✍⇗ ✆♎☼✵☺⍓👓✏ 📖❒⇖♎➔⇑▤⇗☠
✉♎❑◆◷❍♎⑨⍓□⊛ ☎ 📖❒♌ ✍⬧✆➔❑👌⇖❑✂☎ ✏✶
👌◆⌖⬃♉□♐▤ ❒◆▫➔❷◆◷⑩⍓❽▤ ⚐➔⚐❍
✍⬧☝◆⊞⊠⌛⊙❷⇖❒✂☎ ▤ 👌◆👓 ✉♎◷❀👓❍♎⌛♎▤⇗✉

👌♓♎♊ ♉⬂☪□■⊛} [1] أخرجوا من هذه الفوضى العقلية، ثم فكروا بهدوء وستكشفون الحقيقة ويؤسفني في ختام حديثي هذا أن أقول أنّ ثقافتنا العالمية مبتلاة بأمور ثلاثة تحطّمها، الأمر الأوّل: المصالح الضيّقة لبعض القوى، والثاني: الجهل بالأهداف، الثالث: التعصب المفرط. علينا إذاً لكي نصل إلى تفاهم مشترك، أن نرفض الإصرار على المصالح الضيقة والجهل والتعصب المفرط لنبني عالماً يزخر بالجمال والسلام.

الحديث الثاني: حول تعدد الثقافات والحوار المتبادل (تعليق على إحدى الكلمات)

أعتقد ـ بكل اختصار ـ أنّ التحديات التي تواجهها عملية التفاهم الثقافي اليوم تفرض على كل الغيارى والمفكرين التوصل إلى مثل هذه الآلية المطلوبة.

و ما أود تأكيده هو أنّ علينا ما يلي:

أوّلا: أن نحدد معالم كل ثقافة.

معالم الثقافات ـ اليوم ـ عادت مبهمة مع الأسف، فلها تعاريفها المختلفة ولايستطيع الإنسان أن يقف منها على شيء محدد. فمن الطبيعي أوّلا للمفكرين

---

١) سبأ، ٤٦.

الغربيين أن يحددوا معالم الثقافة الغربية، وللمفكرين أن يحددوا معالم الثقافة الإسلامية. وعندما أقول معالم فإنّي أعني بها المبادئ الأصلية وليست الأشياء التي جاءت دخيلة على الثقافة الغربية أو الثقافة الإسلامية، فإذا رأينا سلوكاً غريباً، من أمثال الطالبان أو من أمثال الكثير من أهل التطرّف فإنّه لايمكن أن يعبّر عن معلم ثقافي للأمة الإسلامية.

إذن:

أولاً: علينا أن نحدد معالم الثقافتين الإسلامية والغربية ، وهما الثقافتان الكبيرتان اليوم اللتان تتنازعان الصدارة في هذا العالم.

وثانياً: علينا أن نحدد المساحات المشتركة كما نحدد نقاط الاختلاف، يعني لايمكننا أن نحدد نقاط الاتفاق إلاّ إذا حددنا نقاط الاختلاف بشكل دقيق.

وثالثاً: علينا أن نعتمد ـ واقعاً في أسلوبنا ـ مبدأ التنوع الحضاري والتنوع الثقافي. وبالتالي نرفض مسألة فرض الهيمنة الثقافية على الشعوب بمختلف أساليب القوة.

و أخيراً: علينا أن نؤكد مسألة اعتماد الموضوعية في الحوار. وأن يكون المتحاورون من ذوى التخصُّص. لايمكن أن نسلّم أمور الثقافة لأناس لاتخصُّص لهم بها، ففي الحوار هناك المبادئ الموضوعية والتخصص والهدفية في الحوار، دون العمل العشوائي. لذا أعتقد أنّ من الطبيعي لنا أن نؤكد المنطقية في الحوار كأسلوب حل سليم للوصول إلى هدفنا المطلوب.

الحديث الثالث: حول الثقافة الإسلامية والثقافات القومية

وددت أن أشير إلى نقاط ثلاث عسى أن تتم ملاحظتها:

أشار أحد المتحدثين إلى أنَّ الثقافة الإسلامية يجب أن تجزّأ إلى ثقافات عربية، فارسية وتركية، وكأنّه أراد أن ينكر أنّ الثقافة الإسلامية تتمتع بمقومات الثقافة الجامعة، والحقيقة أنّ من يطّلع على سير الحضارة الإسلامية يدرك أنَّ الإسلام عندما جاء، أحيى كل هذه الشعوب بعد أن كانت ميتة، أمّا العرب فلم يكونوا يشعرون بأنّهم أمة، حتى القبيلة لم تكن تشكّل وحدة تجمّعية،

وأمّا الفرس فكانوا رغم قوتهم لايملكون ما يسمى بثقافة وحضارة بالمعنى الدقيق للكلمة، على أىّ حال، الإسلام غيّر كل هذه الشعوب وصهرها في بوتقة واحدة وأعطاها مسيرتها الكاملة، لذلك أعتقد أنّ الإسلام جدير بأن يسمّى واضعاً لأسس الثقافة الإسلامية، وأن يتم التعامل بين الثقافة الإسلامية، على اختلاف اجتهاداتها، والحضارة الأوربية لوجود المساحات المشتركة.

هذه نقطة مهمة جدا أودّ أن يتمّ تصحيحها.

النقطة الثانية: أشار الدكتور مجيد في النهاية إلى كلمة جيدة أؤيدها ـ وهي التي تم الحديث عنها ـ وهي أنّ علينا أن نحقق توازنا بين التعددية الثقافية من جهة، المساحات الإنسانية المشتركة بين الثقافات من جهة أخرى.

و النقطة الثالثة: هناك إشارة ـ تمت في البحث ـ إلى أنّ هناك عقبات تقف أمام تلاقح الثقافات وتواصلها. هذه العقبات لخصّت بالأمور الثلاثة التالية:

أوّلا: المصالح السياسية الضيّقة؛ ثانياً: الجهل؛ وثالثاً: التعصب المفرط وأنّ علينا أن نقف ضد هذه العقبات.

الحديث الرابع: تأكيد نزاهة الإعلام (تعليق حول ما قالته الدكتورة هالة)

أودّ أن أشكر الدكتور هالة على عرضها الجميل، واستعراضها لمختلف المشكلات التي يواجهها الإعلام ـ وبالخصوص الإعلام الذي يريد أن يغطّي المساحات الثقافية المختلفة، ويريد أن يكون إنسانياً وحضارياً، وأعتبر عرضها عرضاً يستحق التقويم والدراسة، ولكن أركز على ما قاله السيد هادي، فقد كان جميلا في عرضه عندما قدّم لنا النموذج الحي لصورة تعرض في الغرب عن الإسلام، بأنّه دين إلحادي ينطوي على نفسه، وبأنّه يختلف كلياً عن الاتجاه الثقافي العام، وأنّه يشكل التهديد لكل الحضارات، وأنّ المتدين إنّما يستخدم دينه سياسياً فقط، فالدين آلة سياسية دون أن يشكّل أسلوباً لتكامل الإنسان، وأنّ الخوف من الإسلام أمر طبيعي.

والحقيقة أنّ بعض الكتّاب يقدّم صورة كالحة عن الإسلام.

و عندنا أيضاً في العالم الإسلامي من يقدم صورة كالحة وغامضة عن الغرب، ويعتبر الثقافة الغربية شراً مطلقاً، فيصفها بأنّها ثقافة ضد الإنسانية، وأنّها تكيل بمكاييل مختلفة، ولاتتعامل مع القضايا إلاّ وفق مصالحها، ويعتبر الحضارة الغربية حضارة الجنس والجسد، حيث الآلهة يجب أن تكون مجسدة للشهوة وهكذا يصف الغرب بكل هذه الأوصاف.

أنا أعتقد أنّ كلا الطرفين على خطأ، وأنّ الجوانب الإنسانية في الحضارتين جوانب ضخمة جداً، وهي جوانب مشتركة، لذلك، أنا مع السيد هادي في صعوبة العمل الصحافي، عندما يريد أن يعرض الواقع بعيداً عن هذه التصورات المتناقضة، ومن هنا اعتبر أنّ وظيفة أمثال هذه الجلسات هي وظيفة تصحيحية، وأنّ على المسلمين أن يصححوا صورتهم في ذهن الغربيين، وعلى الغربيين أن يصححوا صورتهم في أذهاننا ـ نحن المسلمين ـ حتى نقف على صخرة مشتركة، ومن الطبيعي جداً أن نؤكّد أنّ النظرات المتطرفة التي تصف الحضارتين بأنّهما شر مطلق، نظرات تنزوي أمام الواقع. عندما يطلّع الغربيون على أنّ الإسلام دين يربّي الإنسان، وعندما يطلّع المسلمون على أنّ الغرب يحمل جوانب إنسانية، حينئذ تنفتح الجوانب المشتركة.

و أريد أن أختم حديثي بآية قرآنية، القرآن يعلّم النبي، هو أكبر المؤمنين بالإسلام، يقول القرآن عندما تحاور إنساناً من غير دينك، عليك أن تدخل في الحوار بذهن بعيد عن الخلفيات، فتقول: لعلي أنا على الخطأ وأنت على الصواب ولعلك أنت على الخطأ وأنا على الصواب، أنّ الآية القرآنية تقول:

{❐◆☽♑✡❄✍ 📖❐❐⬀ ☽♑③✸✍📄➔☠⬀ ♏⬧➔⊠✍■❼📄
♎➔⑨⬦❽ 📖❐❐⬀×♑❼ ⬂✿📄■🕔✍♏✌❿⌨♑✓▫📖}[1] إمَّا نحن أو

---

١) سبأ، ٢٤.

انتم على هدىً أو في ضلال مبين، بهذه الروح العالية الموضوعية يأمر القرآن النبي بالحوار، فهل يمكن أن نعتبر الإسلام ديناً يهدّد الآخرين ويعرض آراءه بعنف؟!

الموضوع الثاني: تعليق على حقوق المراة وموقعها في الإسلام

شكرا للدكتورة....، فقد حدثتنا عن غنى القوانين المصرية بالنسبة لحقوق المرأة إلاّ أنّ الظروف الاجتماعية ربما منعتها من تمتعها بكل حقوقها.

اعتقد أنّ على ندوتنا أن تعلن أنّها ترفض أيّة فروق بين الرجل والمرأة في المجال الإنساني بشكل مطلق، وأنّ علينا أن نؤكّد أنّ هناك اختلافاً في المجال الوظيفي، وفي مجال تكامل عمل كلٍّ من الرجل والمرأة في بناء العائلة، والعائلة هي محور التشكيلة الاجتماعية لدى كل الأديان ولدى كل الشعوب التي تحترم نفسها بشكل كامل، وعلينا أن نرفض استغلال الجنس لتحقيق مكاسب تجارية وإعلامية رخيصة.

و علينا أن نقبل بالتعليم الجنسى ولكن لهدف تحكيم الأسس العائلية، ونفي الأضرار الفيزياوية والمعنوية للاتصالات العشوائية، ثم علينا أن نعلن حماية المرأة في الحروب، أو غيرها من قبيل المرأة العاملة أو المرأة التي تعيش في السجن أو تتعاطى المخدرات، فإنّ مثل هذا الموجود يتعرض بشكل متزايد لاعتداءات أولئك الوحوش الذين يلبسون لباس الإنسانية أحياناً، وأخيراً علينا أن نؤكد حق المرأة في البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للحضارة الإنسانية المشتركة.

الموضوع الثالث: وفيه تعليقان

الأوّل: حول مشكلة المهاجرين

مشكلة اللاجئين والمهاجرين والمبتلين بالحروب والمشكلات الأخرى،

مشكلة إنسانية، هناك مسائل ثلاث حول هذه القضية أطرحها بسرعة.

المسألة الأولى: هناك رأي للإسلام حول المشكلة ـ باعتبارنا في حوار ثقافي ـ فبكل اختصار، أعتقد أنّ الإسلام اهتمّ بهذه المشكلة، وهو يعتبر كل مبتلى من هذه الطوائف من الفئات المحرومة أو من المساكين أو من المستضعفين أو من أبناء السبيل موضع اهتمامه، كما يوجب على كل فرد من أفراد المسلمين ـ أينما كانوا في أنحاء العالم ـ أن يهتمّوا بالقضايا الأساس لهؤلاء، ويوجب على الدولة أن تحلّ مشكلاتهم إلى حدّ رفع الاحتياجات الطبيعية لهم، ولاينظر إلى هوية اللاجئ، أهو مسلم أو غير مسلم؟ أو هو من أبناء هذه المنطقة أو تلك، لا إلى لونه ولا إلى شكله ولا إلى لغته؟ هو لاجئ وكفى، فيجب أن تؤمَّن احتياجاته، وأحكام هذا المعنى موجودة في الكتب الفقهية المعروفة، ولذلك لن أطيل في هذا المجال وأي تقصير بحق اللاجئين يعاقب عليه كل مسلم إن كان قادراً على العمل ولم يقدم على ذلك، وسورة الماعون موجودة في القرآن الكريم، ويمكن مراجعتها.

المسألة الثانية: من بين اللاجئين هناك مشكلة الفئات الأشدُّ تضرُّراً والأقل دفاعاً، وهي مشكلة النساء المهاجرات، المرأة المشرَّدة والأطفال والشيوخ، باعتبار أنَّ قدرة المقاومة لدى هذه الطبقات قليلة في قبال المشكلات. كما أركّز على حماية هذه الطبقات، سواء من الذين يشتركون في صنع المشكلة في الحروب، أو من أولئك الذين يدافعون عن هذه الطبقات وعليهم تأمين احتياجات هذه الطبقات. أيضاً بالنسبة للمرأة هناك حديث مفصَّل، أذكر أنّنا دخلنا فيه في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية، وكان هناك اتّفاق عالمي على لزوم الاهتمام بالمرأة المهاجرة المشردة،و لزوم حمايتها من الاعتداء الجنسي، لأنّها في موقف ضعيف في تلك الحالات، وأعتبر أنّ هذا من الجوانب الإيجابية لوثيقة القاهرة ـ كما خضنا صراعاً عنيفاً ضد اتجاه آخر يدعو إلى التحلل والقضاء على الروابط العائلية، أو الاعتراف بالروابط غير العائلية، والاعتراف بمسألة الأجهاض، وأمثال ذلك، والحمد لله وصلنا إلى نتائج

مرضية هناك في القاهرة، وفي بكين أيضاً، لا أريد أن أدخل في تلك الجوانب، فالحديث مفصَّل.

المسألة الثالثة: في إيران ـ عندنا ـ مشكلة المهاجرين مشكلة عويصة جداً، ربما ايران أكبر دولة ترعى المهاجرين في العالم، عندنا مليونان ونصف مليون مهاجر من العراق وافغانستان وفي فترة من الفترات من الكويت. ايران تحمّلت كل هذا العدد الكبير، وأنتم تعلمون أنّ إيطاليا عندما هاجر إليها مئة وخمسون ألف مهاجر ـ ربما من ألبانيا ـ ضاقت بهم ذرعاً، وهي دولة متقدمة، ولها الحق في ذلك، لأنّ الهجرة تعرقل وتفرض الفوضى في كل الترتيبات الإدارية.

على أيّ حال، ايران تحمّلت هذه الهجرة، وكانت إلى جانبها حالة أخرى، وهي حالة هجرة الإيرانيين من المناطق الحربية، بسبب الحرب التي فرضها العراق على إيران خلال ثماني سنوات. هذه الهجرة ضمت حوالى مليون مهاجر أيضا، نزحوا إلى وسط إيران، فعندنا حوالى أربعة ونصف مليون مهاجر أيضاً، والحالة لم تكن طبيعية فنحن في حالة حرب، ولكن تحمَّل الشعب ذلك، فاحتوينا هذه الهجرة، ابناؤهم دخلوا مدارسنا، وقاسمناهم لقمة العيش، ولم يشعروا إلى حدٍّ كبير بالمحنة، إضافة إلى ذلك، هجرة الأكراد من شمال العراق إلى إيران، وكان هناك مليون مهاجر هاجروا إلينا خلال أسبوعين، إذ هربوا من مناطق الحرب، واحتوينا المشكلة أيضاً وقدّمنا لهم ما نستطيع من خدمات. النقطة المهمة هو أن يشعر الشعب بواجبه.

إذاً أنا بحاجة لأن أؤكد هنا أيضاً لزوم توكيد روح الإخوّة الإنسانية، وضرورة الحماية لها كما نركز على قضية النساء المهاجرات، وأخيراً، أؤكد أنّ على مؤسسات الحماية الدولية للاجئين أن تدعم هذه القضية دونما تمييز، ودونما ملاحظة للاعتبارات السياسية. أعتقد أنّه من الطبيعي جداً أن نؤكد هذا المعنى.

و هنا أودُّ أن أشكر الدكتورة الشيخة من الكويت على توجيهها الشكر،

واعتبر أنّ ما فعلناه هو من واجب أيّ مسلم تجاه أخيه. كذلك أشكر السيدة الدكتورة خديجة على كلماتها الجيدة وتحليلها الطيب حول قضية الهجرة، وربطها بالتاريخ الإسلامي المشرق في هذا المجال. وأشاطرها الرأي بأنّ الكثير من أجزاء عالمنا الإسلامي ـ مع الأسف الشديد ـ لاينسجم مع ذاته الإسلامية، ولايحيى الحياة التي يريدها القرآن الكريم.

الثاني: تعليق على ما أشار إليه الأخ الكريم من أفريقيا الجنوبية بين الشيعة والسنة

الحقيقة هي أنّ الشيعة والسنة جناحان للأمة الإسلامية لتحقيق أهدافها الكبرى.

فإذا ما وجدنا عناصر جاهلة أو عناصر مشبوهة أو ـ اسمحوا لي أن أقول ما قاله الإمام الخمينى(رحمهم الله): « إنّ الذين يفرّقون بين الشيعة والسنة ليسوا من الشيعة والسنة» عناصر مأجورة. ووجدنا بعض الحوادث المؤلمة في باكستان، مثلا، قبل أيام دخلت مجموعة مسلحة إلى محل دبلوماسي كان يسكنه مندوبنا الثقافي ـ ولي إلمام واسع بذلك حيث إنّي مسؤول عن المندوبين الثقافيين الإيرانيين في أنحاء العالم ـ فقتلوه، هو وستة من المستضعفين العاملين معه بحجة مذهبية سخيفة، أعتقد أنّ هذه الحوادث طفيفة رغم أنّها موجعة، وأنّ وعي الأمة الإسلامية سوف يقضي على مثل هذه الحوادث.

السنة والشيعة جزءان لهذه الأمة ولا أجد بينهما ما يدعو إلى مثل هذه الحالات الموسفة. أكرّر، أنّنا جميعاً مع القضية الإنسانية أينما كانت، وأنّنا جميعاً نفكر بما تفكر به مؤسسة عمار من خدمة قضية اللاجئين أينما كانت وأودُّ أن أشكر السيدة نيكلسون على خدماتها الجيدة في قضية خدمة اللاجئين، وأعتبر ماقامت به هذه السيدة ـ ضمن خدمات مؤسسة عمار ـ في جنوب العراق وجنوب ايران وجنوب لبنان، خدمات جيّدة تحتاج منّا لأن نشكرها شكراً جزيلا وحبّذا لو اثيرت في قضايا الإعلام، فكان أكثر انصافاً لهذه

القضية.

الموضوع الرابع: حول العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق

عندي تعقيب على المتحدّثين الذين سبقوني في الحديث، هو تعقيب على العلاقة التي طرحها المتحدّثون بين الاقتصاد والأخلاق، أعتقد أنّ المهم ليس توفير حرية الانتقال فقط، فحرية الانتقال بين السلع والانفتاح الاقتصادي اليوم لايمكنه أن يكون أهمّ المشاكل بشكل مطلق، كما لايمكنه أن يدخل في إطار عالمي موسَّع إلاّ ضمن قيود محددة كما نراه في منظمة التجارة العالمية. الذي اعتقده ـ إذا أردنا أن نتحدّث من الزاوية الأخلاقية ـ أنّ المهمّ هو أن تكون حلولنا للمشاكل الاقتصادية حلولا إنسانية، القرآن الكريم ـ عندما يتحدّث عن المشكلة الاقتصادية عبر التاريخ ـ يطرح السرّ الإنساني لهذه المشكلة، فهو يقول بأنّ الأرض تحوي كل ما يحتاجه الإنسان، الأرض والطبيعة أودع الله تعالى فيها كل ما يسأله الإنسان ويحتاج إليه،المشكلة لاتكمن في شحة الموارد الطبيعية، كما يقول ماركس مثلا، وإنّما تكمن في الشح الإنساني نفسه، تكمن في عدم الاستفادة الطبيعية الجيدة من هذه النعم،عدم العدالة في التوزيع. القرآن يقول بالدقة: {❒◆➚◆✁✍⬧♋▤➚☠✌♓♊ 🗎➔⬎♏⬀ ✌♦🙵
☎✁❒❻❾⬉➔⬧✍ ♌♐⬂◆❒ 🗐 ⬅■❑⬅☺⬅✌⬂♋❒🕯⌺♎
♨♐⬂ 🗏 ✐🙵⌺♎❑⍾⏲⬂♦⬆✌ ⬥⬥ ★✐🙵✁ ✽⬧⌺☺⬀➔♐☼
✁🙵“⬧⬧○✽⏲♊⌘ 🖁⬥➔⬥🖬➔❑⮚⮘ 🗎⬥⊞⊙🙵❻⌧}[1].

الإنسان يظلم حينما لايشكر النعمة، حينما لايعدل في التوزيع، وكفّار حينما لايستفيد من هذه الطبيعة، إنّنا إذا استطعنا أن نؤثّر على ما اسميه بالنية، بالقصد، بالهدف. إذا استطعنا أن نربّي الإنسان ضمنّا النتيجة. الإسلام أيضاً

---

١) إبراهيم، ٣٤.

يقول: «إنما الأعمال بالنيات»، إذا احتفظنا بالاتجاه الخلقي المادي لانستطيع أن نصل إلى نتيجة، اشبعني اشبعك، انفعني انفعك، التعامل المتبادل لايستطيع أن يؤدى إلى نتيجة مطلقاً.

عندما يتعارض الربح المادي مع الوجدان الخلقي فأيّهما الذي يقدَّم؟ هناك من كانوا يلقون كميات كبيرة من القمح في البحر لكي يحتفظوا بمستوى الأسعار،ومئات الألوف يموتون جوعا. أعتقد أنّ علينا أن نعمّق الاتجاه المعنوي بين الاقتصاديين، وهذا الاتجاه المعنوي في الإطار الديني واضح، فالدين كله توكيد المعنويات، وإذا أردنا أن نعبر الإطار الديني إلى الإطار الدولي علينا أن ندعم مؤسسات التبرّع، المؤسسات الخيرية، والحركات الأخرى التي تعمل على تنمية روح التبرّع، هذه الحركات يجب أن تدخل في إطار ميكانيكية معينة، في إطار تقنية معينة لانتشارها، كلما ربّينا في التجار روح التبرّع، ربّينا فيهم الاتجاه المعنوي، ومالم تصلحوا نيات التجار، فلا تتوقعوا ـ وليس من الطبيعي أن تتوقعوا ـ أيّة نتيجة، ولا معنى للخلق إن لم يرجع إلى النية. إذاً أقترح أن ندعو إلى تقنية لتنمية روح التبرع.

إنّ الإسلام يسمّي عملية التبرع بـ «عملية اقراض الله» أي تقديم قرض لله وإن كان ـ سبحانه ـ واهب المال، إلاّ أنّ القرآن يقول: {[illegible]}[1].

* * *

١) الحديد، ١١.

خلاصة القول
أهم القضايا العالقة بين الإسلام والغرب[1]

خمسون عاماً من الحوار واهم القضايا العالقة

مرَّ على بدء المرحلة الأخيرة من الحوار أكثر من خمسين عاماً، ذلك أنّ أخانا المرحوم الفقيد الدكتور عز الدين ابراهيم كان يصرّ على بدئه في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي، وعلى أي حال فقد تنوّعت مواضيع هذا الحوار، وتعدّدت أطرافه ما بين حوار ديني فقط، أو حوار ثقافي بين العالم الاسلامي والغرب، أو حوار عالمي جامع بين مختلف الثقافات الدينية السماوية وغير السماوية،كما تعدّدت الأماكن التي تمَّ فيها، فتارة في الغرب كما في موسكو وبرلين ولندن وجنيف ومدريد وصوفيا وفينا وغيرها، وأخرى في الشرق كما في القاهرة وطهران والرياض وعمّان وبيروت والرباط وجاكارتا وكوالالامبور وطوكيو وغيرها، وكان آخرها ما تمَّ بمبادرة خادم الحرمين الشريفين في مدريد.

وكان من الضروري أن تقيَّم هذه المسيرة وحبّذا لو تمَّ التقييم بشكل جامع في مؤتمر عام.

---

١) قدم إلى المؤتمر الثالث عشر للجنة التنسيق والعمل الإسلامي المشترك التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مكة المكرمة ١٤٢٤ هـ ق.

ولا نرى مانعاً في البدء بدراسات فردية أو مجموعية حول هذا الأمر، وربما كان هذا البحث المتواضع يحوي إشارة مفيدة في هذا السبيل.

نعم لقد أثمرت هذه المسيرة التي أراها خيّره رغم ما فيها من نقائص، فصدرت على إثرها قرارات دولية كما في قرار عام ٢٠٠١ حول تسمية العام بعام حوار الحضارات، وتبعها القرار المقدم من اسبانيا وتركيا حول (تحالف الحضارات)، وربما كان للصدمة التي أحسَّ بها العالم نتيجة الفكرة الخطيرة التي كتب عنها هانتنغتون حول (صراع الحضارات) وكونها تعبّر عن نزعة لدى اليمين الحاكم آنذاك في اميركا، نعم ربما كان لها الأثر الكبير المعكوس والمنعكس في فكرة (حوار الحضارات).

كما كان لقرار الكنائس الكاثولوكية في الستينيات الأثر البالغ في دفع فكرة الحوار المسيحي مع سائر الأديان الى الأمام.

ويلاحظ بوضوح أنّه كانت تعرض مسيرة الحوار عموماً إشكاليات:

إحداها:الشكوك التي كانت تراود الطرف الاسلامي أو الشرقي دائماً في نوايا الطرف الغربي من هذا الانفتاح، وذلك نتيجة التاريخ الغربي المليء بالظلم والخداع والاستعمار،وكذلك نتيجة التعامل المستمر بعنجهية وازدواجية واستعلاء حتى يومنا الحاضر.

والثانية: عدم اعتراف الطرف المسيحي أو الغربي بوحيانية الاسلام أو قدرته على تقديم نظام حضاري مرموق يمكنه أن يشكّل بديلاً محترماً لكلٍّ من النظامين الاشتراكي والرأسمالي.

أمّا الثالثة: فهي عدم فسح المجال بشتّي السبل لشعوب العالم الثالث ومنه العالم الاسلامي لتطوير نفسها والخلاص من حالة التبعية المقيتة، والتخلف المريع.

هذه الإشكاليات وغيرها كانت تمنع دائماً من وصول المسيرة الى نهايتها المنشودة.

ورغم ذلك فقد كانت هناك نتائج ايجابية تمثّلت في تحقيق تفاهمات دينية

وأخلاقية وسياسية واجتماعية وحقوقية كثيرة، وهي كلّها تبرّر استمرار العملية وانتظار نتائج أكبر في المستقبل.

إلَّا أنّنا إذا دخلنا في شيء من التفاصيل نجد هناك قضايا عالقة بين العالم الاسلامي والغرب تستحق الوقوف عندها بتأمل.

إذا أخذنا الغرب بمعناه العريض، وأخذنا الإسلام بمعناه الشامل للحضارة والأمة الإسلامية اليوم، فإنّنا سنجد في البين قضايا عالقة كثيرة تحتاج إلى اتخاذ موقف حضاري من قبل الطرفين عبر حوار هادئ، فأمّا التوافق، ولو على حدٍّ أدنى، وأمّا التعامل الحضاري الإنساني مع فرض إبقاء التناقض على حاله.

ورغم كثرة المسائل وتنوّعها، خصوصاً إذا ما أردنا أن ندخل المسائل الفلسفية إلى جانب المسائل الخلقية والاجتماعية بل والسياسية أيضا، إلاّ أنّنا نستطيع التعرض إجمالا إلى أهمّها.

ونحن نعتقد أنّ القرآن الكريم والسنّة الشريفة أعطتنا منهجاً تامّاً رائعاً للحوار مع الآخر، حدّدت فيه معالمه وقواعده قبل عملية الحوار وأثناءها، من حيث المقدمات والأهداف والأجواء وحتى اللغة، فإذا ما توفّر لدى عقلاء الطرف الآخر منهج سليم ونية صادقة أمكننا من خلال نقاط التماس المكتوبة والمرئية والمسموعة أن نطرح هذه القضايا على بساط البحث، آملين الوصول إلى نتائج مرضية أو على الأقل التفهّم المتبادل للموقف الآخر وبالتالي التفاهم حول الأطر الإنسانية لتغليف الخلاف إذا لم يتم حله.

كما نعتقد ـ خلافاً لبعض النظرات التي نرى فيها شيئاً من التطرّف ـ أنّ هناك مجالات كثيرة للالتقاء وتوحيد الموقف، خصوصاً مع وجود طبقة منصفة تتأثر بالموقف المنطقي وتتعامل معه بإنسانية. وأمامنا الكثير الكثير من المبدئية التي نشهدها في العالم الغربي، وهي مستعدة حتى للتضحية في مجال تأييدها لقضايانا العربية والإسلامية.

فلندخل بهذه الروح وهذا الأمل في مجال عرض أهم هذه القضايا، وكما يلي:

الأولى: النظرة العدائية والروح الصليبية والعنف

عادة ما يخيّم الحقد على هذه العلاقة من الجانبين معاً نتيجة التماس التاريخي والصراع المستمر على مدى قرون، وقد اختلط ذلك بتفسيرات دينية ومصالح قومية أخرى توسعية وعنصرية، ممّا ترك في النفوس خليطاً من العدائية المريبة، مع قدر عظيم من التعميم والتفسير بعين السخط لمختلف المواقف حتى لقد ترسّخت النظرة العدائية للغرب، بقضه وقضيضه، في نفوس المسلمين بقدر ما ترسخت الروح الصليبية تجاه المسلمين في نفوس أبناء الغرب.

ونحن نشهد ذلك في تصريحات على مستوى لدى الطرفين وتتصاعد الوتيرة بعد الحوادث الكبيرة، وهذا مانراه في الحملة العدائية الشعبية ضد المسلمين في الغرب مثلا والتي تضاعفت خلال عام واحد ١٦ مرة بشهادة الـ «FBI» الأمريكية، كما نشهده في الطرف الإسلامي الذي بدأ يرمق كل ماهو غربي بشزر ويود لو يقضى عليه بأية وسيلة حتى ولو كانت مرفوضة إسلامياً ودوليا كما نجده في انفجارات جزيرة بالي باندونيسيا مثلا.

وهنا تنطرح قضية عالقة أخرى ترتبط بهذه الروح العدائية وهي قضية (الإرهاب والعنف) فهي معلولة بلاريب لتلك الروح، وهي نار مستعرة إذا لم يتم السيطرة عليها، فهي لاتبقي ولاتذر.

فمن جهة نجد الغرب يئنُّ من جراحه في الحادي عشر من سبتمبر وغيرها، ومن جهة أخرى يئنُّ المسلمون من جراحهم في فلسطين وأفغانستان وغيرها.

و من جهة ثالثة ينصب الغرب نفسه مدّعياً وقاضياً ومنفذاً في هذه المسألة مع اعترافه بأنّ الإرهاب لم يتحدد تعريفه ولم يتم الفصل بين مصاديقه وموارد المقاومة المشروعة دينياً ودولياً بل نجده يطرح الثنائية اللامعقولة: «فإمّا أن تكون معنا أو فأنت إرهابي».

تماماً كان الشيوعيون المتشددون يطرحون ثنائية: ـ إمّا أن تكون شيوعياً أو فأنت لاتفهم الشيوعية ـ وحينئذ يغلق باب البحث ويفتح باب العنف.

الثانية: مسألة الحرية الطبيعية والاجتماعية

ربما يتصور أنّ الغرب يركّز على مسألة الحرية التي يمنحها المجتمع للإنسان ويتّهم الإسلام بتحديده لها، ولكن الحقيقة أنّ الغرب دأب على اتّهام الإسلام برفضه للحرية الطبيعية (أي التي يمتلكها الإنسان بطبيعته الإنسانية)، متّهما إيّاه بالجبرية؛ لأنّه يؤمن بالقضاء والقدر.

و كنت أحسب أنّ هناك سوء فهم فردي من قبل بعض الغربيين حينما طالعت ما نقله الدكتور محمد حسين هيكل عن الكاتب الأمريكي (واشنطن ارونك) حين ألف كتاباً عن الرسول الأكرم ’ وشرح فى خاتمته قواعد الإسلام الأساسية ومنها عقيدة الجبر، فردّ عليه المرحوم هيكل بشكل مناسب ولكنّني وجدت (ويل ديورانت) يؤكد سوء الفهم هذا ويجعل الاعتقاد بالجبرية من المظاهر الواضحة في الفكر الإسلامي[١].

بل وجدت كاتباً إنكليزياً في عصرنا الحاضر هو ابراهام برايان يكتب عن الحضارة الإسلامية متهما إيّاها بالجبرية[٢].

و لا أجدني بحاجة ولا في موضع الإجابة بعد وضوح مبدأ الاختيار الإنساني في القرآن الكريم: {◐☞⚙☼✲✍ ⚠⊡⑨⊡③⬀☾◆⏲○🡐 ✂☙⑤○○⌛☞⓿✍• ☽☞✌□✍ ⅄⊠✍☞☙☯❷☯✂ ☐◆☽☞✌□✍ ☞⊠▦→❏❻⏲✂}[٣] ولكنّها شبهة يجب أن تزال من الذهن الغربي، وحتى المثقف منه وإلاّ كان لها آثارها التحليلية الاجتماعية أيضاً.

وعلى أيّ حال فما زال الغرب يتهم الإسلام بتحديد الحريات الاجتماعية كما يتّهم المسلمون الغرب نفسه بمنح الحريات الفردية المجال الواسع ممّا يحوّلها إلى حريات حيوانية مخرّبة فيجب إذن أن يجتمع الطرفان وتحدد المساحات

---

١) قصة الحضارة، ج ١٣، ص ٥.

٢) سلسلة مقالات في الاكونومست اللندنية عام ١٩٩٤.

٣) الإنسان، ٣.

المشتركة، وهو أمر ممكن إلى حدٍّ كبير.

الثالثة: مسألة العلاقة بين السلام والعدالة

انطلقت دعوة الحوار بين الأديان على أسس منطقية سليمة، وراحت تترك أثرها الجيد في مجال تحقيق التفهمّ والتفاهم المنشود وتقليل مناطق الصدام، وتوفير مجالات التعاون المستمر على صعيد خدمة القضية الإنسانية والقضية الدينية والقيم المعنوية.

ونحن نرجو لها التوسع من مرحلة التفاهم بين المتخصصين إلى مرحلة صيرورتها ثقافة عامة تعشقها الشعوب وتتعامل على أساس منها في مختلف قضايا التماس الحضاري بعيداً عن محاولات الاستغلال والتشكيك.

و من أوليات قضية الحوار ـ أيّ حوار كان ـ ضرورة الانطلاق من قناعات متّفق عليها مسبقاً.. لتكون هذه القناعات هي الأضوية الكاشفة التي تحلُّ العقد وتفتح السبل المسدودة لعملية الحوار، وتقضي في موارد الخلاف.

وما نتصوّره أنّ الإيمان بالفطرة هو من القناعات المشتركة بين جميع الأديان السماوية:

والمقصود بالفطرة هو أنّ الإنسان مخلوق إلهي أودعت الحكمة الإلهية في وجوده وطينته الأصلية مجموعة من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول والغرائز، التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له.

إنّ الأديان إنّما جاءت لتثير له دفائن العقول ـ كما يعبر الإمام علي× وتهيّئ الجوّ المناسب لبروز هذه الطاقات الكامنة على سطح حياته فتهديه سبيلا إنسانياً يختلف كل الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي لاتتمتع بما يتمتع به من طاقات.

أمّا القضايا البديهية فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة؛ معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الأشياء وتلك من قبيل: الإيمان بمبدأ العلية، والإيمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين، ارتفاع النقيضين) و(بعض القضايا الأخرى). فهذه قضايا مغروزة

في القناعة والوجدان الإنساني لايحتاج للاستدلال عليها وإلاّ دخل في طريق مسدود؛ لأنّ الاستدلال نفسه يتوقف عليها كما هو واضح. أمّا القدرات العقلية فهي نفس قدرة النفس الإنسانية على التأمل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكلّيات، والقيام بقياس الأشياء للوصول إلى تصورات جديدة والتخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم.. أنّ هذه القدرة الذهنية هي من مختصّات الإنسان، وهي سرّ مسيرته التكاملية وإبداعه ونموّه.

و أمّا الميول الغريزية فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه للاستفادة من طاقاته في هذا المجال:

ومن هذه الميول: ميله نحو الكمال، والسير نحو الكمال المطلق، ومحاولة سدّ جوانب العجز في وجوده، والركون إلى هذا المطلق القادر وأداء حقّه وشكر نعمه والقيام بحق طاعته. فهذه أمور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وإن اختلفت تجلياتها وتعدّدت أساليبها. وربما غطّت الشبهات على هذه الميول وكبتتها.

ومنها أيضاً غريزة حبّ الذات والعمل على تحقيق طموحاتها، فهي من الغرائز الأصلية في الإنسان والتي لايمكن تجاوزها والقضاء عليها، كما تصوّرت الماركسية يوماً ما أنّها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية.

و منها: التذوق الفني والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخربها هذا الكون.

و لسنا نريد استعراض كل العناصر الفطرية، وإنّما نريد أن نطلق هذه الحقيقة هي: أنّ الاقتناع بأنّ (العدالة شيء حسن دائماً) و(أنّ الشيء الحسن ينبغي فعله) هي من القناعات الفطرية التي لاتحتاج إلى دليل... فإذا اقتنع الإنسان بأنّ الموضوع المعين حسن اقتنع بأنّه ممّا ينبغي فعله دونما تشكيك، فهو موضوع مطلق، كما أنّ من المواضيع المطلقة حكم الوجدان الإنساني بأنّ قضية (إطاعة المنعم الحقيقي، والمالك الحقيقي للكون والإنسان) هي قضية

مطلقه لاتتخلّف أيضا. هناك من القضايا التي زرعت في الوجود الإنساني كمصاديق لمسألة العدالة (أصلا) الصدق، والأمانة، والرحمة، والإيثار، والسلام.

فهذه الأمور حسنة في أصلها، ونقصد من عبارة (في أصلها) أنّها قد تطرأ عليها بعض الحالات التي تفقد معها حسنها الطبيعي الفطري وتخرج من كونها تجليات للعدالة ومصاديق واقعية لها لتعود من تجليات الظلم والتعدي.

السلام العالمي والموقف منه

قلنا لاريب في كون الأمان مطلباً إنسانياً فطرياً يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة (حب الذات). وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان... فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنّما يجب تأمين جوّ طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو آفاقها المنشودة.

و تأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، ممّا يمهّد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي.

فيجب إذن التفاهم حول هذه العلاقة نظرياً لنصل إلى التفاهم حول المصاديق.

النقطة الرابعة: المحورية الحضارية

من الطبيعي جداً أن يقدّم الإسلام نفسه محوراً وأنموذجاً للحضارة الإنسانية باعتباره خاتمة النماذج الحضارية، التي قدّمها خالق الإنسان بمقتضى لطفه واعتبار الأمة الإسلامية النموذج والشاهد على كلّ الناس:

{[illegible]}[1].

و قد قدّم الغرب نفسه ـ محوراً حضارياً ـ يجب أن تقتدي به الأمم، بل اعتبر نفسه غاية التاريخ ونهايته ـ كما يعبّر فوكوياما المفكر الأمريكي الياباني الأصل - ورغم أنَّ صموئيل هانينغتون قد اختلف معه في السبيل فقال بفكرة الصراع الحضاري إلاّ أنّه يتّحد معه في النتيجة، وهي انتصار الحضارة الغربية الليبرالية على كل الحضارات في النهاية. وهي فكرة ردّدها برايان الآنف الذكر ولكن عبر التوسل إلى العالم الإسلامي لكي يطوي بعض المراحل ليصل إلى هذا المستوى «وقد تصور أنّ العالم الإسلامي يمرُّ في القرن الخامس عشر الهجري بنفس ما مر به العالم الغربى في القرن الخامس عشر الميلادي من نهضة أوصلته إلى هذا المستوى اليوم».

و هذه الفكرة ردّدها سياسيون وقانونيون غربيون آخرون وبشيء من الاستعلائية والمقارنة المجحفة.

وفي رأيي أنّ ترك الأمور على إجمالها والمقارنة بين المجملين لن يؤدي إلى نتيجة، فعلينا أن نحلّل كل حضارة إلى مبادئها التفصيلية، ثم نقوم بمقارنة هذه المبادئ إلى بعضها، معتمدين على المفروضات الإنسانية المشتركة والوجدان المشترك آملين الوصول إلى نتائج مشتركة وإلاّ بقينا ندور في حلقة مفرغة.

النقطة الخامسة: العالمية والعولمة

---

١) البقرة، ١٤٣.

و هنا أيضاً لنسمح لكل طرف كي يطرح تصوّره، ثم لنتّفق على المبادئ الأساسية التي تعتمد القبول بالتعددية والتعاون والنظام العالمي المشترك خدمة لكل البشرية وتفادياً لإهدار طاقاتها وإمكاناتها.

في الواقع هناك اليوم ثلاثة نظم متنافسة هي الإسلام، الاشتراكية، الرأسمالية. وهي تمتلك جمعياً توجُّهات عالمية، وهنا أؤكد على أنّه لافرق من حيث هذا التعريف بين العولمة والعالمية. وقد ذكرنا أنّ الإسلام باعتباره آخر حلقة من حلقات الدين الإلهي جاء ليصلح البشرية، باعتباره طريق خلاصها الذي أراده خالق البشرية، وهو بذلك يركّز على الفطرة الإنسانية المشتركة بين أبناء البشر، ويعتمد منطق الحوار والإقناع، ويعرض نفسه باعتباره السبيل الوحيد لخلاص البشرية، هذا الإسلام استخدم، لتحقيق أهدافه، عملية التغيير الفردي والتغيير الاجتماعي، وسعى لحذف الحدود الجغرافية والحدود اللونية واللغوية، وإقامة مجتمع عالمي يطبّق قانوناً واحداً، ويتّبع قائداً واحداً، ويمتلك أحاسيس مشتركة، وأهدافاً إنسانية واحدة. هذا الاتجاه العالمي يبدو في كثير من النصوص الإسلامية، مثل قوله تعالى: {⍾⬀➔⍾⬁ ③♦🕐❃🕯❒③⑩♑⍓⍣

⍣⍣🕯⍣❒🕯❒⍣⍣⋎ ☽⍣⍣❒⍣❼ ❻♦⍣←❑✌⇖ ⍣⍣✎★

☽⍣🕯⓿⬀⌛→☠⬀ ♎♦⍣⍣⑩➔🕐⍣} [1]، وقوله تعالى: {❒♦☽⍣♌

③♦▤♦🔔⑩← ⍣⍣✎⍣🔔⍣⇦✖♦ ⍣⍣⊠▦⊠❷⇖❒⍣☎

⍣♦❷⇖❾⍣⍣☽→❑☼♦⌨⍓ ⍣⍣🕯❒⍣⬀🕐❀🕐❷⍣♎⍣⍣⇔

⍣♦☺❍⍣ ⍣⊠▦⍣➔⇖❑⍣☎ ⍣⍣✎🔔♏⍣⍣⍣❷♦

❒◆③♦☽→❑⍣⇗❑♌♦ ☽⍣☼❃❍← 🕐 ✈❍☼❑⇗⇳☪⇖❑♌⊀ *

❒◆♦⍣⍣ ⚖➔❑◆ ☽⍣•· ❶⍣⍣❷⊠

---

١) الأعراف، ١٥٨.

◉ℯ𝓇&◘▫➔⌂◷◷☺♦✍&✓×♦{ .[١]

و هناك نصوص كثيرة تؤكد على عالمية الإسلام منذ انطلاقته الأولى، خلافاً لما يدّعيه بعض المستشرقين والمؤرخين من أنّ العالمية الإسلامية جاءت بالتدريج ولامجال هنا للتفصيل في هذا المضمار.

فالإسلام إذا انطلق باتجاه عالمي ومازال، عبر العصور، يؤكد هذا الاتجاه، يؤكد وحدة المنطلق الإنساني، والمسير والهدف، هذا هو رأي الإسلام، أمّا الاشتراكية فهي أيضاً عندما طرحت فلسفتها عن التاريخ طرحت مسألة المادية التاريخية، والمراحل التي اشتهرت في هذه المادية، حيث تنتقل البشرية من مرحلة العبودية إلى المراحل الاقطاعية، إلى الرأسمالية التجارية،المرحلة الرأسمالية الصناعية، إلى المرحلة الاشتراكية، وبالتالي إلى المرحلة الشيوعية، عبر بعض القوانين ومنها صراع الأضداد الاجتماعية.

هذا التصوّر أعطى الاشتراكية نظرتها العالمية في إيجاد تحول عالمي في مسيرة الإنسانية. وواضح أنّ الاشتراكية اعتمدت في هذا المجال قضية صراع الطبقات، والثورة والنظام الحديدي الاشتراكي، الذي يوصل المجتمع إلى الجنّة التي يتصوّرها الاشتراكيون، وهي الشيوعية[٢]، وقد فشلت هذه الرؤية سواء على الصعيد النظري أو على الصعيد التطبيقي في إثبات ذاتها.

هذا بالنسبة إلى الاشتراكية، أمّا بالنسبة إلى الرأسمالية؛ فقد انطلقت منذ بداية حركتها دون أساس إيديولوجي[٣]، ولم تكن تهتمّ بالأساس الإيديولوجي، وانّما همّها تنظيم الحياة، وأقامت نظامها على أساس الحرية الفردية الرأسمالية، وعندما انطلقت وواجهت اتساع الأفكار المعادية لها، راحت تأخذ

---

١) القلم، ٥١-٥٢.

٢) للوقوف على تفصيل هذا الأمر، راجع بحوث الشهيد الصدر في اقتصادنا، ص ٥٣ - ٢٣٨، حول الموضوع.

٣) ن. م، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

من الاشتراكية شعاراتها وتستبدلها بشعارات مقابلة، من قبيل العدالة الاجتماعية؛ حيث استبدلتها بمسألة حقوق الإنسان، والتنمية الاقتصادية، حيث استبدلتها بمسألة السوق الحرة ونمو الإنتاج،بالتالي فإنّها أخذت شعار الأممية البروليتارية واستبدلته بشعار العولمة الرأسمالية، إذ عندما انطلقت انطلقت محلية وكان تركيزها على الغرب، ولم تطرح نفسها بشكل عالمي، إلاّ بعد أن توفرت ظروف مناسبة لذلك.

النقطة السادسة: العولمة الاجتماعية ومشاكل السكان والتنمية

الملاحظ في مسيرة التفكير الاجتماعي الغربى والحاكم في النهاية على مسيرة صياغة الوثائق الاجتماعية الدولية ومنها وثيقة القاهرة ووثيقة كوبنهاغن ووثيقة بكين وغيرها، أنّ هناك منطلقات تحكم هذه العقلية وأهمّها ما يلي:

أوّلا: منطلق نظرية مالتوس القائلة بأنّ معدلات النموّ الإنسانى أسرع من معدلات النمو الطبيعي للموارد والامكانات في الطبيعة.

ثانياً: منطلق أنّه لايمكن بل لاينبغي أن توضع العقبات أمام الاستجابة الحرّة للغرائز الجنسية؛ لأنّ ذلك يؤدي للكبت، والتمرد، ويخالف حقوق الإنسان.

ثالثاً: عدم الإيمان بما يسمّى بالقيم الإنسانية أو القيم الأخلاقية الاجتماعية، بل تصوَّر أنَّ توفّر مثل هذه القيم في المجتمع يؤدّي إلى عدم الاستجابة للثقافة الغربية ـ على المستوى العالمي ـ ولذا يجب العمل على محوها اجتماعيا لكي تنفتح الشعوب أمام عملية الغزو الثقافي الجامع وفرض التصوّرات الغربية لا على الأذهان فحسب بل وحتى على القوانين الفرعية الاجتماعية في المجالات المدنية باعتبارها عملية إدخال لروح حقوق الإنسان في المجالات القانونية، وباعتبار الغرب قيّما مزعوماً على حقوق الإنسان هذه، وهي أخطر مراحل هذا الهجوم حتماً.

رابعاً: الروح العلمانية التي واجه بها الغرب سلطة الكنيسة وتخلّص من

براثنها ليتّجه الاتجاه المادي ويصنع حضارته التي جمعت بين هذا الاتجاه والتقدُّم العلمي، ومن هنا فهو يتصوّر أنّ منهجه هذا هو الذي يجب أن ينفذ في شتى أنحاء العالم.

وهو بذلك يتحسّس من كل ما هو ديني أو يمتُّ إلى الدين بصلة، ومن هذه المنطلقات وأمثالها جاء هذا التخطيط الرهيب ليعتمد الأسس التالية:

١. تأييد التحرُّر الكامل من القيود الدينية وخصوصاً في المجال العائلي والاجتماعي.

٢. تقليل النمو السكاني بشتّى الوسائل، ومنها الأجهاض.

٣. فرض المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان على الساحات الفكرية والعملية والقانونية.

٤. التأكيد على فكرة العولمة الاجتماعية وتدخُّل الأمم المتحدة في ثقافات الشعوب وبنيتها الاجتماعية.

ونلاحظ أنّ الإسلام لايعترف بمجمل هذه المنطلقات؛ فالقرآن الكريم يؤكّد أنّ الله تعالى أودع في الطبيعة كل ما يحتاجه الإنسان، وهو أمر يستنبطه الوجدان الإنساني الذي يلاحظ كل هذا الانسجام والتخطيط في الكون.

ولكنّ الذي أوجد المشكلة في الواقع هو ظلم الإنسان في توزيع المحصول الطبيعي توزيعاً عادلا، وكفره بأنعم الله تعالى: {❒◆➚◆✁✍♦🖲♑▤➚☠
✌♓⧫🙵 ☊♏➔🗎 ✌♐⧫🙵 ♌❒⬄❐☺⬅❑■⬅ 🗐 ❒⧫◗♎♌
✍♦➔⑨❻❒✁☎ ☼♎➔⬀☺⌂❖⧫✿ ✁🙵✍★ ♦♦
✌⬆⧫⬂⏲❐❑♎⌂🙵✍ 🗏 ◗♎♍♦ ✁🙵"⧫♦♦○✿⏲♊⌘
🖲♦➔♦🖪➔❑🏳⋖ 🗎•🖽⊙🙵❻⌧}[1].

كما أنّ الغرائز هي دوافع عمياء صمِّمت في وجود الإنسان لتحقّق له

---

١) إبراهيم، ٣٤.

المضي في المسيرة ولكن تحت هداية عقلية وتخطيط تشريعي واقعي، فلا يمكن أن يطلق لها العنان، وإلاّ تحوّلت إلى عواصف هوجاء تعصف بالوجود الإنساني، كما أنّ الإيمان بالقيم الأخلاقية نابع من الإيمان بالله تعالى وهو مقتضى الفطرة الإنسانية والوجدان، ومن طلب ما عدا ذلك فقد بخس الإنسانية حقّها وأخرجها إلى حيوانية عجماء {[illegible]}[1].

وأخيراً فإنّ الإسلام دين الحياة المترابطة ولايمكن أن تنتظم الحياة إلاّ به، فالعلمانية مرفوضة جملة وتفصيلا، وعلى هذا الأساس فإنّ النتائج التي اعتمدها هؤلاء مرفوضة أيضاً.

إلاّ أنّ هناك نقطة مهمة تجب ملاحظتها أيضاً، وهي أنّ هناك بدائل مشروعة تطرح نفسها في البين فيجب توخّيها وعدم اتّخاذ الموقف السلبي الكامل، فمسألة تنظيم العائلة أمر لاحظه الإسلام وسمح به بل وربما أوجبه إذا تطلّبت المسيرة الاجتماعية ذلك نتيجة للظروف الطارئه. فإذا عاد النمو السكاني خطراً على منطقة ما وتخطيطها ـ نتيجة عوامل لا يد للدولة الإسلامية فيها ـ كان من الممكن لولي الأمر أن يأمر بذلك كما أمكن للأفراد أن ينظّموا المسيرة وفقاً لما يحقق المصلحة الاجتماعية، والأب والأم هنا أحرار في مسألة التنظيم هذه. ولكن ذلك إنّما يتمّ بالطرق المشروعة وليس الإجهاض أحدها قطعاً، فهو أمر غير مسموح به إلاّ في الحالات النادرة كتعرّض حياة الأم للخطر أو ابتلاء الجنين بمرض عضال غير قابل للعلاج مثلا.

و حقوق الإنسان بمعناها الحقيقي يضمنها الإسلام ويعمل على توفيرها للأفراد في إطار واقعي سليم.

و للإسلام مفهومه الخاص عن العولمة إذ يقيمه على أساس من الفطرة

---

١) الأعراف، ١٧٩.

الإنسانية، وهي مشتركة بين أفراد البشر لاتنمحي وإن كانت آثارها قد تضعف وتقوى.

وعلى أيّ حال فينبغي التعامل بحذر وإيجابية مع الوثائق المطروحة وإلاّ ابتلينا بسلبياتها فرضاً وخسرنا إيجابياتها.

أمّا المشكلة التعليمية (التعليم للجنسين)، فإنّه ليس للإنسان أن يتصور تحفظاً للإسلام في مجال التعليم، فالإسلام دين العلم، وهو يحبّذ تعليم الإنسان في أيّة مرحلة كانت. فلامشكلة لدينا في تعليم الإنسان حقوقه الفردية والاجتماعية، ولا مانع مطلقاً من كشف الحقائق أمام الإنسان.

إنّما الإشكال يكمن في أن يستغل التعليم وأساليبه لتحقيق أهداف لا إنسانية وحينئذ يقف الإسلام ضد هذا الاستغلال.

وتعليم مسائل الجنس والعلاقة الجنسية وآثارها من الأمور الطبيعية، للتوقّي من الآثار السلبية للجهل، وللتخطيط للإشباع الحكيم، وتحقيق هدف الخلقة الإنسانية في ضمان استمرار النوع البشري، ليقوم بإعمار الأرض وبناء المجتمع الصالح وتنظيم العلاقات الاجتماعية وكذلك لإشباع حاجته الجنسية الطبيعية والتمتُّع بالحياة.

كل ذلك أمر طبيعي، وطبيعي أن يدعو له الإسلام ويحبّذه، إلاّ أنّ الخطريكمن في عملية الاستغلال، ذلك لأنّه يمسّ جانباً حساساً مشتعلاً في حياة الإنسان خصوصاً الإنسان الشاب ومن هنا يأتي عنصر الاستغلال الأمر الذي يدعو إلى الاحتياط، ومن هنا أيضاً أصرّ الوفد الإسلامي الإيراني في كل هذه اللقاءات على أن يكون التعليم في السنّ المناسبة وتحت إشراف الوالدين مستهدفاً الحيلولة دون الانتهاء إلى نتائج سلبية فردية أو اجتماعية، جسمية أو روحية. ومن هنا فإنّ المطلوب أن توضع خطة حكيمة لتعليم أولادنا وبناتنا ما يحتاجون إليه من معلومات ترتبط بهذا الجانب، وأحكام هذا الباب متناثرة في أبواب فقهية متعدّدة مثل الطهارة، والنكاح والعقوبات وغيرها.

أمّا التستُّر على الأمر بحجة الاستحياء، وعدم هتك الأسرار فهو إلى حدٍ ما طبيعي، ولكن لايعني أن لاتنقل المعلومات اللازمة لنوقعهم أو نعرّضهم للوقوع في هذة الخطيئة أو القلق.

و حول مشكلة الإجهاض، فهناك بعض الدول التي تبيح الإجهاض في قوانينها الداخلية بشكل طبيعي، وهناك الاتجاه الآخر الذي تقوده الكنيسة، وهي تحرّم أيّة عملية إجهاض مطلقاً بل أيّ عملية تنظيم للنسل وتخطيط للأسرة من خلال أقراص منع الحمل وأمثالها، اللهمّ إلاّ ما كان من قبيل التخطيط للمقاربة الجنسية في الأوقات التي يقلُّ فيها احتمال انعقاد النطفة كبعض الأيام في الشهر.

وهناك الاتجاه الإسلامي الوسط، فهو يمانع فيها ويحرّم القيام بالإجهاض منذ انعقاد النطفة، ولا مانع من القيام بكل عمل يقف بوجه هذا الانعقاد كالعزل الذي أحله رسولالله' لأصحابه.

كما لا يمانع من الإجهاض إذا تعرّضت حياة الأم للخطر المحقّق، أو ابتلي الجنين بمرض عضال لايقبل العلاج، على بعض الآراء طبعاً.

و على أيّ فيجب أن لايحبّذ هذا العمل ولايعتبر وسيلة لتنظيم النسل مطلقاً.

ولكن إذا تمّ السماح لهذه العملية شرعاً فيجب أن يتمَّ بالطرق الصحيحة المأمونة بلاريب.

كما أنّ الإسلام يحرم مطلقاً أن تقوم الأم بهذه العملية لعدم الرغبة في الانجاب، أو لوجود بعض النتائج السلبية، الاقتصادية والاجتماعية.

إنّ الجنين مهما كان السبب في تكوّنه (حتى ولو كان ذلك محرماً) إنسان محترم، له حق الحياة. ولا يجوز الاعتداء عليه ويجب توفير كل الظروف الملائمة لتكامله وولادته صحيحاً سالماً.

وتبقى هناك مسألتان:

١ ـ مشكلة الشباب: لجيل الشباب بمقتضى طبيعته الحيوية وتحولات حياته،

الكثير من المشاكل، وأنماط السلوكات التي يفرط فيها أحيانا ولايجد متنفّساً لها في المجتمع أحيانا أخرى. من قبيل المشاكل الجنسية ومشكلة الزواج، والنزوع للتحرر من أيّة قيود، والتمرد على التقاليد، وانطراح التساؤلات العديدة وقلق الشخصية وتردّدها بين الطفولة والرجولة ومشاكل التعليم.

وهذه الحالات تتطلّب منا مواجهة حكيمة ـ كما أسلفنا ـ من خلال الدراسة الميدانية، واللقاءات الودية والحرة، والعمل على ملء الفراغ الشبابي بشتّى الأساليب الإيجابية والابتعاد عن جوّ العنف والتحلّل والتمرّد، وتوفير فرص التعويض الإيجابي بدلا من كبت العقد النفسية، وإشاعة الأخلاق الفاضلة بالحكمة والموعظة الحسنة، بدلا من استخدام أساليب الوأد، والإجابة على التساؤلات وأمثال ذلك.

٢ـ مشكلة المراة: للمرأة أيضاً مشاكلها الخاصة بها، من قبيل المشاكل الاجتماعية التي قد تعتور الزواج، كمشاكل الطلاق، ومشاكل الضعف في مواجهة الحالات العنفية كالحرب والتهجير والتقاليد المجحفة، ومشاكل الدخول في المعترك الإجتماعي الإداري والاقتصادي والسياسي والتعليمي، فينبغي إذن العمل الجاد على اكتشاف هذه المشكلات، ووضع الحلول المناسبة مسترشدين بالحلول الإسلامية الأصلية، ورافضين لكل حالات التطرّف المقيت، الذي يسلب المرأة حقوقها الإنسانية الإسلامية ويقعدها عن المساهمة في عملية البناء الاجتماعي الواسع بل في العملية الحضارية الإنسانية أسوة بالعظيمات من النساء اللواتى تركن بصماتهن على الصعيد التاريخي.

إنّها طاقة كبرى يجب أن لانكفر بنعمتها ونتركها هكذا تذوب وتنزوي، بل نعمل على أن تسخّر لصالح الإنسانية.

النقطة السابعة: الديمقراطية

إنّ الليبرالية الغربية تمنح كل السلطات للشعب، فله التقنين والتعيين للحكام.

إلاّ أنّ الديمقراطية الغربية تتحوّل إلى مجرد حقوق اسمية في كثير من

الأحيان حينما يتدخّل المال والتزوير والتحالفات المصلحية.

في حين يرى الإسلام أنَّ الدين بمقتضى انطلاقه من خالق الإنسان له الحق في تعيين نوع تدخّل الإنسان في مجال التقنين والتعيين. ومن خلال هذا المبدأ قام الإسلام بالأمور التالية:

١. عالج الجانب الثابت من الحاجات الإنسانية بأحكام ثابتة لاتتناولها يد التغيير. نعم قد تتغير أساليب التطبيق باختلاف الزمان والمكان والاجتهادات، كاختلاف أساليب تطبيق التكافل والتوازن الاجتماعى باختلاف المجتمعات الإسلامية.

٢. فسح المجال للحاكم الإسلامي في التشاور مع الأمة لتحقيق المصالح المتغيرة وإشباعها بأفضل الطرق في مجال المباحات.

٣. وضع الشروط اللازمة لانتخاب الكوادر التنفيذية على كل المستويات وبالتالي نستطيع أن نعبّر عن الحكم الإسلامي بأنَّه حكم الشعب ضمن الإطار الديني.

إذن فهناك نقاط إلتقاء كثيرة يمكن التوصّل فيها إلى حد مشترك مع الديمقراطية الغربية.

النقطة الثامنة: العلمانية

و هي فكرة نشأت في أحضان غربية ونتيجة صراعات بين أنصار التحرّر والتزمّت الكنسي انتهت إلى عزل الكنيسة عن الحياة الاجتماعية ـ تقريباً ـ بالتالي فصل الدين عن الحياة.

إلاّ أنّ طبيعية الإسلام وتعاليمه الحياتية وتخطيطه لأسلوب الحكم وتطبيقاته العملية تتناقض مع هذه الفكرة.. ونحن لا نرى مجالا للتفاهم على حد مشترك في هذا المجال.

النقطة التاسعة: حقوق الإنسان

وفي هذه النقطة لانجد اختلافاً كبيراً في المفهوم وفي نوعية القيود التي

يجب أن تقيّد هذه الحقوق، من حيث ضرورة كون هذه الحقوق معقولـة إلاّ أنّ الاختلاف قائم في مجالات أخرى من قبيل (منشأ الحقوق) وهل هو الإنسان ذاته الذي يقرّرها ويقرّر حدودها ومصاديقها وبالتالي يتبع الأمر اجتهادات الإنسان، أم هو الله خالق الإنسان ومالكه، وهو الذي يمتنّ بها على هذا المخلوق، ثم يعيِّن له حدود هذه الحقوق والتي تضمن أن يكون استفادة الإنسان منها محقّقة لتكامله الفردي الاجتماعي وغير مخلّة بالتوازن المطلوب، بعد أن كان الحق ذا طرفين: من له الحق ومن عليه الحق.

و على أيّ حال فنحن نعتقد أنّ الإيمان بنظرية الفطرة الإنسانية ضروري للإيمان بالحقوق الإنسانية، فالإنسان الذي يمكن أن نتصوّر له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبعه عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه مادام إنسانا، فـإذا انقلـب إلــى وحــش فقـد هــذه الحقــوق {❒◆•• ✍♦▤↗❑☼🡐❑✃☎ ♦×⇦&🔔⅄✎🙾🔔☒🖎 ☎✃❑⓿○■💧 ⅄✎🙾✃ ▫♦🕯❒💧○❁🙢♑🡐☠⬀ 🕮❒☼▦🡒❍❁&⬃☠⬀ 🗐 🕮❑🡑❒🕯🙢♦🕒✵⬦🙰①🙞 ♎🡒☠⬉ ✃🙾🙢⬂▦☒🕒○⬁◗🡒❑♍🙞}[1].

والحقيقة أنّنا إذا لم نؤمن بالفطرة الإنسانية فقدنا المعيار في تشخيص الحقوق وربما كان الذين كتبوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينطلقون من هذا المنطلق ـ دون أن يشعروا أو يصرّحوا بذلك ـ حينما قرّروا في مقدمة الإعلان «ضرورة معرفة الحيثية الذاتية للإنسان لتحقيق الحرية والعدالة والسلام».

وبالتالي نجد اختلافا واسعاً بين الغرب والإسلام في مصاديق هذه الحقوق إلاّ أنّ هذا لايعني عدم إمكان الوصول إلى مساحات مشتركة كثيرة، وهذا يتّضح من المقارنة بين الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان[2].

النقطة العاشرة: دعم الحركة الصهيونية

---

١) الحشر، ١٩.

٢) راجع كتابنا (حول الدستور الإسلامي)، ص ١٥٧.

إنّ العداء بين الحركة الصهيونية والأمة الإسلامية بات قوياً لاتزيده الأيام إلاّ رسوخاً؛ نتيجة الطبيعة العنصرية من جهة والتأصُّل الاجرامي لدى الصهاينة من جهة أخرى. وها نحن نتجاوز قرناً من الزمان ملؤه التعدّي على حقوق المسلمين المعترف بها دولياً وقد تجاوزت انتهاكات العدو الصهيوني العشرات بل المئات من قرارات الأمم المتحدة وبشكل يندى له جبين الإنسانية.

إلاّ أنا نجد الغرب وعلى رأسه اليوم أمريكا يقف مدافعاً عنه وداعماً له بشتّى أنواع الدعم، بل ومتجاوزاً حتى شعاراته هو من حماية حقوق الإنسان، بل معتبراً إيّاه النظام الديمقراطي المقدّم للعالم الثالث.

و الغرب بهذا يثبت كذب منطق حمايته لحقوق الإنسان، ويكيل بمكيالين في هذا المجال، ويثير حقد العالم الإسلامي بل حقد كل إنسان يحترم إنسانيته.

هذا وقد حاول الكثيرون الوصول إلى بعض المساحات المشتركة ولكن كل هذه المحاولات تحطّمت على صخرة الطبيعة العنصرية والعدوانية الصهيونية، وهي مسألة لا نجد فيها أيّ مجال للمساومة.

* * *